ثورة العرب

مقدماتها ـ اسبابها ـ نتائجها

بقلم

أحد أعضاء الجمعيات العربية

الملك فى العرب

يطلب من ملتزمة نشره مكتبة الهلال باول شارع الفجالة بمصر

ثورة العرب

مقدماتها - اسبابها - نتائجها

﴿ بقلم احد اعضاء الجمعيات العربية ﴾

الملك في العرب

الحرب الاوربية والشرق — المسألة الشرقية وفروعها — المسألة العربية وادوارها — العرب والترك في الماضي — العرب والاتحاديون — تأليف الجمعيات العربية واسبابه
المؤتمر العربي الاول ونتائجه — نيات الاتحاديين ومعداتهم — الاتحاديون والاسلام والعرب
تفاقم الخطب — انفجار البركان
المبايعة بالملك على العرب
مستقبل العرب — وصية
شهيد وتحية
مجاهد

(طبع في مطبعة المقطم في مصر)
في ٩ دسمبر سنة ١٩١٦ و١٣ صفر سنة ١٣٣٥

« اهداء الكتاب »

الى ارواح شهداء الوطن

« سليم الجزائري وعبد الغني العريسي ومحمد المحمصاني »
« وتوفيق البساط وجلال البخاري واحمد طباره »
« ورفيق رزق سلوم وعبد الحميد الزهراوي »
« وعبد الكريم الخليل وشفيق المؤيد »
« ورشدي الشمعه وشكري العسلي »
« وعبد الوهاب المليحي »
« وسيف الدين الخطيب »
« وعارف الشهابي »
« وغيرهم »

آثاركم في العلى متضحات السنن
وموتكم بعثنا يا شهداء الوطن

مقدمة

مضت قرون على العرب الكرام كانوا فيها خالدين الى الاستكانة صابرين على احكام الزمان الجائرة صبر الكريم اذا جرحت نفسهُ الكبيرة . فان هذه الامة الكريمة التي شهد لها التاريخ بالمجد والسؤدد والارتقاء . هذه الامة التي اقرّلها العالم اجمع بالتفوق والسبق الى العلوم والاختراعات . هذه الامة التي دوخت الامصار ونشرت لواء فتوحاتها من نهر السند الى الاتلانتيك . هذه الامة التي بلغت من العظمة والسيادة ما لا يطمع معهُ بمزيد اصيبت اخيراً بعزة نفسها فسقطت من اسمى درجات المجد الى حضيض الانحطاط . ولكن هذا السقوط لم يكسر شوكة إبائها ولا اطفأ شعلة الحماسة في صدرها ولكنهُ طمى عليها برماد الظلم فاضطرها الى الاستكانة والصبر زمناً طويلاً كان السعد فيهِ مرافقاً للترك . فأخلد العرب الى ظل شوكتهم عن طيبة خاطر ورضوا من الغنيمة بصيانة معالم قوميتهم والاحتفاظ بدينهم الشريف حتى اذا هبت عليهم رياح الاتحاديين في السنوات الاخيرة وسل فوق رؤوسهم سيف الاستبداد قاطعاً اواصر قوميتهم مشتتاً شمل عنصرهم مفككاً عرى دينهم واتحادهم سفت تلك الرياح الرمال المتراكمة فنفضوا عنهم غبار الاستكانة والضيم وهبوا في وجه الظلام طالبين الاستقلال بشفار السيوف . ورفع جلالة الملك الحسين امامهم راية الحرية فجعلوا حولها من مهجهم وأكبادهم حصوناً ومعاقل لحمايتها

هذا كل ما يعرفهُ الرأي العام عن ثورة العرب وأسبابها وقد جهل اموراً خطيرة الشان عن ماضي هذه الثورة وحاضرها ومستقبلها فرأينا ان نجمل منها في هذا الكتاب ما يسمح المقام بنشره الآن على ان نعود الى طرق هذا الموضوع قريباً ان شاء الله

ولما كانت ثورة العرب من نتائج هذه الحرب وكانت المسألة العربيـة من فروع المسألة الشرقية التي اعلنت الحرب الاوروبية من اجلها رأينا ان نأتي في مقدمة هذا الكتاب على وصف المسألة الشرقية وبيان فروعها واظهار مشاكلها نظراً لملاقتها العظيمة بمسألة العرب ، وذلك ليكون القراء على بينة من سير الاحوال في الماضي والحاضر وما قد تكون عليـهِ في مستقبل الزمان في غرب آسيا وبلاد البلقان



الفصل الاول

الحرب الاوربية والشرق

المسألة الشرقية وأدوارها وفروعها

مسألة البواغيز — مسألة مكدونية — مسألة البانيا — مسألة البوسنه والهرسك
مسألة نوفي بازار — مسألة ارمينية

المسألة العربية

أعلنت الحرب الاوربية من أجل الشرق وستنتهي من أجل الشرق بحل المسألة الشرقية حلاً نهائياً معقولاً . فالعاصفة التي هبت في العالم القديم في سنة ١٩١٤ قد تؤثر في أوربا من الوجهتين السياسية والاجتماعية ولكنها ستقلب البلقان وغرب أسيا من حال الى حال فتنقرض دول قديمة وتقوم على أنقاضها دول جديدة وتذل أمم وتعتز أمم أخرى ويكون ذلك في مصلحة الكون

المسألة الشرقية في الماضي

عرّف رجال السياسة وكبار الكتاب المسألة الشرقية بقولهم : « انها نزاع شديد بين الامة التركية والامم التي تحت حكمها أو التي كانت تحت حكمها من جهة ودخول الدول العظمى في هذا النزاع لسد اطماعها وتحقيق آمالها المتناقضة من جهة أخرى » وقد ظهرت هذه المسألة في عالم الوجود بظهور الترك في أوربا وتعقدت بدخول روسيا في مصاف الدول العظمى واصرارها على حلها حلاً يلائم مصلحتها. وكانت بروسيا أكبر مزاحمة لروسيا في أوربا وكانت النمسا أكبر مزاحمة لها في الشرق فنشأ عن ذلك أن بروسيا جعلت تدخل في مسائل الشرق على

قلة مصالحها فيه رغبة في عرقلة مساعي روسيا وان سياسة النمسا الاوربية كان محورها الشرق وغايتها جعله في إمن من روسيا جارتها القوية

وقد كانت المسألة الشرقية سبباً في معظم المشاكل التي وقعت في العالم من القرن السادس عشر الى اليوم وبلغت أقصى شدتها لاول مرة في التاريخ بعد انهزام العثمانيين في معركة كالنبرج وابرام « المحالفة المقدسة » التي كانت ترمي الى طرد الترك من أوربا وتقسيم الشرق بين روسيا والنمسا . وقد أسفرت تلك المحالفة عن حروب عديدة مع الدولة العثمانية انتهت بمعاهدتي كارلوفيتز (سنة ١٦٩٩) وباساروفيتز (سنة ١٧١٨) اللتين جلا الترك بمقتضاهما عن هنغاريا وترنسلفانيا واسكلافونيا وبودالیا وقسم من البوسنه وقسم آخر من سربيا

ولم تكتف دول « المحالفة المقدسة » بضم هذه البلاد المترامية الاطراف الى أملاكها بل رأت ان الوقت قد حان للقضاء على الدولة العثمانية قضاء مبرماً فاتفقت على تقسيمها وكادت تنجح في تحقيق آمالها لولا مداخلة فرنسا في الامر ونجاح المركيز دي فيلنيف سفيرها في الاستانة في ابرام معاهدة بانفراد على مايوافق مصلحة الدولة العثمانية

وفي سنة ١٧٦٨ تعقدت مشكلة بولندا التي كانت فرعاً من المسألة الشرقية فأصرت الامبراطورة كاترينا على تعيين البرنس بونيانوفيسكي خلفاً للملك اوغست الثالث على عرش بولندا . فوقفت فرنسا في وجهها واقنعت السلطان مصطفى الثالث باعلان الحرب عليها ففعل لانه رأى ذلك في مصلحة بلاده . وقد أسفرت تلك الحرب عن انتصار الروس على نهر الدانوب وحرق الاسطول العثماني في معركة جشمه الشهيرة (سنة ١٧٧٠) وابرام معاهدة كوجوك قينارجي (١٧٧٤) التي وضعت الدولة العثمانية تحت رحمة روسيا فجعلت تعمل على خرابها من الخارج والداخل ايضاً . فاتفقت مع النمسا سنة ١٧٧٢ على جعل الاستانة

عاصمة امبراطورية يونانية جديدة تحت سلطتها وأخذت تحث العناصر البلقانية على اعلان الثورة وخلع النير التركي عن اعناقها. وكان أساس معاهدة سنة ١٧٧٢ بين روسيا والنمسا أن تعطى روسيا البلقان الشرقي أي مولدافيا وفلاخيا و بلغاريا والدردنيل وأن تحتل النمسا البلقان الغربي أي سربيا والبوسنه والهرسك ومكدونيه والبانيا . وعدلت هذه المعاهدة سنة ١٧٨١ على أساس استقلال العناصر البلقانية تحت سيادة روسيا والنمسا ولكن الدول العظمى لم تكن تسمح بهذا التقسيم من غير أن تأخذ حصتها فكلفت فرنسا الكونت دي سوكور أن يتفق مع روسيا على تقسيم الشرق وأن يتنازل لها وللنمسا عن البلقان مقابل ضم سورية ومصر الى فرنسا

وقد تعذر عليهم هذا الاتفاق لاسباب لامجال لذكرها الآن فطلبت فرنسا مساعدة انكلترا للوقوف في وجه الروس والنمسويين فلم تجبها الى طلبها واضطرت الدولة العثمانية أن تفدي نفسها بمقاطعة القرم في معاهدة سنة ١٧٨٣. وفي سنة ١٧٨٧ دخل العثمانيون في حرب جديدة مع روسيا والنمسا بسبب بولندا ففازوا في بدء الامر على الروس وقهروا النمسويين في معارك عديدة ولكن خانهم الحظ في النهاية فانهزمت جيوشهم شر انهزام واضطروا الى ابرام معاهدة ياسي . وقد رضيت الامبراطورة كاترينا بتلك المعاهدة لان أنظارها كانت متجهة الى بولندا فى ذلك الحين

المسألة الشرقية

في القرن التاسع عشر

قال بونبارت بعد انتصاراته الشهيرة في ايطاليا للمسيو بوريان صديقه وكاتم أسراره « ان أوروبا وكر فأر وليس ثمت امبراطوريات عظيمة الآ في الشرق » وقد وجه ذلك الفاتح العظيم كل أفكاره الى الشرق فاجتاح مصر وهاجم سورية ولو لم تقف أمامه حصون عكا لصار الشرق على غير مانعرفه اليوم

ثم عاد بونبارت الى فرنسا وأنشأ تلك الامبراطورية العظيمة بعد مادوخ أوروبا كلها . ولكن أفكاره لم تتحول عن الشرق فاتفق مع قيصر روسيا على تقسيمه في معاهدة تلست وكتب اليه سنة ١٨٠٨ يقول « يجب أن نكون أعظم مما نحن بالرغم عنا لان الشرق يحتاج الى رجال عظام» ولو أخلص نبوليون لقيصر روسيا لاتفقا على تقسيم الشرق ولكنه كان يعلله بهذه الآمال لحمله على محاربة انكلترا رغبة منه في انتهاز الفرصة لتدويخ الشرق وسد أطماعه . فما لبث ان اختلف معه على أمرين الاول عزمهُ على توسيع بولندا والثاني اصراره على منع الروس من الوصول الى الاستانة والدردنيل

وقد خرجت الدولة العثمانية سليمة من حروب نبوليون الكبير ولكن مساعي روسيا والثورة الفرنسوية بثت في الامم البلقانية فكرة جديدة هي فكرة الثورة والاستقلال فبينما كانت الدول الاوربية تساوم في بيعها وشرائها كمتاع في السوق كانت هي تستفيق من سباتها وتعد أسباب استقلالها. وكانت الدولة العثمانية قبل سنة ١٨١٢ تحارب أعداءها الذين في الخارج فقط فصارت بعد ذلك التاريخ تحارب الامم التي تحت حكمها أيضاً محاولة القضاء على فكرة الاستقلال في تلك الامم تارة بالوعد وتارة بالوعيد . ولكنها فشلت في مساعيها لسوء سياسة ولاة الامر فيها وكانت نتيجة ذلك استقلال سربيا والجبل الاسود واليونان ورومانيا وبلغاريا

هـذا وقد سقط نبوليون الكبير وتضعضعت امبراطوريته المترامية الاطراف فاستعادت النمسا وبروسيا نفوذهما وأخذتا تحذوان حذو ذلك الفاتح العظيم لامتلاك العالم ولـكن المسألة الشرقية فرقت بين أعداء نبوليون بعد اتفاقهم عليه فنمت انكلترا روسيا من عبور نهري الفستولا ونستر والتقدم الى الاستانة وأوجست النمسا خوفاً من تقدم الروس الى جبال كرباتيا والبروسيين الى بوهيميا واتفقت انكلترا والنمسا على روسيا وبروسيا اللتين اتفقتا على تقسيم الشرق في معاهدة كاليش فاستردت فرنسا بعض نفوذها بسبب هذا الخلاف بين أعدائها وكانت سياستها ترمي الى الوقوف في وجه النمسويين في البلقان وفي ايطاليا والى منع بروسيا من سيادة الممالك الالمانية . وقد ظهر استقلال العناصر البلقانية في مصلحة روسيا في بادىء الامر فغضبت انكلترا لذلك وجعلت تتقرب من الدولة العثمانية فعاونتها على محمد علي الذي كانت تؤيده فرنسا وحاربت روسيا معها في حرب القرم الشهيرة . وجاء مؤتمر باريس يختم تلك الحرب في مصلحة الدول كلها فسلمت روسيا بعد انكسارها وزال الخطر مؤقتاً عن الدولة العثمانية وحبست انكلترا الاسطول الروسي في البحر الاسود وتمكنت بروسيا من تقوية نفوذها في المانيا ووعدت الامة الايطالية وبعض الامم البلقانية بالاستقلال . وأما فرنسا فعملت على ازالة كل آثار مؤتمر فينا ونجحت في ذلك ولـكنها نزعت من يدها السلاح الذي استعمله تليران في ذلك المؤتمر وهو جعل الممالك الالمانية الصغرى في جانبها فسمحت للنمسا وبروسيا بسد اطماعهما في الدنمرك (١٨٦٤) وغضت الطرف عن انضمام ممالك المانيا الشمالية الى بروسيا (هس وهانوفر وفرنكفورت سنة ١٨٦٦) فكانت نتيجة ذلك انها تركت وشأنها في حرب السبعين التي خاضت غمارها من غير استعداد بعد ما سمحت لبروسيا في بسط سيادتها على المانيا

المسألة الشرقية بعد مؤتمر برلين

وقد كان مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨ شؤماً على اوربا ولا سيما البلقان فما المسائل التي استبهمت واستغلق حلها والحروب التي ثار نقعها وعظمت مصايبها الا نتائج ذلك المؤتمر. واذا اراد مؤرخ محقق ان يكتب تاريخ الحرب الناشبة اليوم رجع في عللها واسبابها الى ذلك المؤتمر المشؤوم الذي قضى على آمال بلغاريا قبل نشأتها بمنعها من بلوغ البحر المتوسط وجعل سربيا الدولة السلافية تحت رحمة الجرمان باقفاله طريق الادرياتيك في وجهها وإيذانهِ للنمسا باحتلال البوسنه والهرسك تقريراً للامن فيهما واضاع على الجبل الاسود ثلثي الاملاك التي كان يؤمل الاستيلاء عليها بحصره في بلاد جبلية لا مورد للرزق فيها واضطر رومانيا الى التنازل عن بسارابيا مقابل مستنقعات دوبريجه ووضع الدولة العثمانية تحت وصاية اوربا وسمح للدول العظمى ان تدخل في شؤونها وقضى على آمال اليونان -- لانها كما قال اللورد بيكونسفيلد مازحاً — ذات مستقبل مجيد لا تخسر شيئاً من الانتظار. فترك بذلك مواطن للخلل واسباباً لتشعب المطامع نشأ عنها اشتداد الخلاف بين الصقالبة والجرمان واحتكاك مصالحهما في البلقان احتكاكاً زاد المسألة الشرقية تعقيداً وأضرم نار هذه الحرب الآكلة

البلقان والمسألة الشرقية

البلقان اساس المسألة الشرقية ومحورها بلاد واقعة الى الجنوب الشرقي من اوربا تشمل البوسنه والهرسك وسربيا والبانيا واليونان ومكدونيه وبلغاريا وتراقيه ورومانيا وتقطن فيها أمم عديدة يصعب على الكاتب ان يعين اماكنها الحالية تعييناً دقيقاً لكثرة الانقلابات التي طرأت عليها ولكن الامم البلقانيه كانت غيورة على قوميتها تحفظتها سليمة جهد طاقتها فاليونانيون بعد ما زال ملكهم قصد معظمهم جنوب البلقان واستوطنوا الموره وتساليا والقسم الجنوبي من

مكدونيه والبانيا ولما غزا الهون اوربا اضطر قسم من الصقالبة الى عبور الدانوب في القرن الخامس للميلاد فحلّ الكرواتيون على ضفاف الساف والداف وفي استريا ودلماسيا ونزل السربيون في ما يلي ذلك جنوباً ثم عبر البلغاريون نهر الدانوب ونزلوا في سهول البلقان الجنوبية والشمالية

والبلغاريون كالهون والمجر والترك من التورانيين الذين اتوا من اسيا. وكانت هذه الامم تزحزح بعضها بعضاً على التوالي وهذا يوضح اختلافها الحالي على تعيين حدود البلاد التي تقطن فيها . ففي القرن العاشر للميلاد انتصر البلغاريون على السربيين وبسطوا ملكهم في القرن الحادي عشر على مكدونيه والبانيا حتى على ضواحي الاستانة ثم قامت دولة الكرواتيين فقهرت البلغاريين وامتنعت في البلاد التي يسكنها السربيون اليوم . وفي القرن الثاني عشر تأسست الدولة الفلاخية البلغارية فاعتزت زمناً طويلاً وعقبتها الدولة السربية فبلغت ذروة العزة والمنعة في القرن الرابع عشر للميلاد وكانت مملكة دوشان الاكبر تمتد من ضواحي الاستانة الى ماوراء مكدونيه وسربيا .

وبدأ الترك يهددون اوربا بجيوشهم الجرارة في القرن الرابع عشر للميلاد فاتحد السربيون والفلاخ والكرواتيون والبلغاريون عليهم ولكنهم غلبوا على امرهم في معركة قوصوه الشهيرة سنة ١٣٨٩ وصار البلقان كله تركياً بعد سقوط الاستانة سنة ١٤٥٣

ولما أخذت دولة الترك تنحط في اوربا جاهر معظم العناصر البلقانية بفكرة الاستقلال. وكانت النمسا تطمع بان ترث الدولة العثمانية فساعدت على نمو هذه الفكرة ووقفت روسيا في وجهها بحجة انها حامية الصقالبة والارثوذكس فنشأ عن ذلك خلاف شديد بين هاتين الدولتين . وهذه خلاصة الحوادث التي وقعت في البلقان في أواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن . ففي عهد الامير

ميلان ابرانوفيتش الذي صار بعد ذلك ملكاً على سربيا ثار سكان البوسنه على الدولة العثمانية فساعدهم السربيون ولكنهم غلبوا على أمرهم وانهزمت جيوشهم شر انهزام سنة ١٨٧٧ ولما أعلنت روسيا الحرب على الدولة العثمانية في السنة التالية من أجل بلغاريا هب السربيون الى مساعدتها وشاركوها في انتصارها فاعاضتهم من ذلك في معاهدة سان استفانو (٣ مارس سنة ١٨٧٨) باعطائهم بلدة نيش ومقاطعة نوفي بازار واعطت امارة بلغاريا قسماً من مكدونية على شاطيء بحر ايجه وبلدتي فرانيا وبروت . ولكن هذه المعاهدة لم ترض الدول العظمى ولا سيما النمسا التي تطمع بسلانيك فاتفقت مع المانيا في معاهدة برلين على اضعاف نفوذ روسيا في البلقان والقاء الشقاق بين الدول البلقانية فاعطت سربيا بروت وفرانيا وأخذت منها البوسنه والهرسك وأكرهت بلغاريا على التنازل عن دوبريجه لرومانيا مقابل بساربيا التي ضمتها روسيا الى أملاكها فبذرت بذلك بذور الشقاق بين الامم البلقانية ولا سيما البلغاريين والسربيين

والبلغاريون ليسوا من العنصر السلافي كما يتوهم فريق من الناس بل ان استبداد الترك جعلهم في الماضي يتقربون من السربيين للوقوف في وجه عدوهما كليهما . وقد حافظ السربيون على استقلالهم الديني في حين ان الكنيسة اليونانية ضمت البلغاريين اليها وكادت تقضي على كيانهم الديني والقومي . فلما عبر الروس نهر الدانوب تنبه البلغاريون لانفسهم ورغبوا في توحيد قوميتهم فوجدوا ان العصيان لا ينفعهم لقربهم من الاستانة بخلاف السربيين ورأوا ان خير الطرق المؤديه الى غايتهم ولو بعد حين هي الانفصال عن الكنيسة اليونانية . وقد قابل الباب العالي طلبهم بارتياح عظيم فعين الاكسرخس رئيساً دينياً لهم سنة ١٨٧٠ رغبة منه في القاء الشقاق بين الامتين الجارتين فنجح نجاحاً تاماً . وكان اول عمل عمله بطريرك الاستانة انه القى حرماً دينياً صارماً على

البلغاريين وعلى رئيس كنيستهم الجديد

وكانت النمسا من جهة اخرى لا تألو جهداً في القاء بذور الشقاق بين البلغاريين والسربيين فقامت تقنع السربيين بأن معظم سكان مكدونية منهم وأن البلغاريين هم الاقلية فيها قاصدة بذلك ان تحول انظارهم عن البوسنة والهرسك وتوجهها الى مكدونية . ولما اعلنت الروملي الشرقية انضمامها الى امارة بلغاريا حملت النمسا حكومة بلغراد على اعلان الحرب عليها بحجة اختلال التوازن في البلقان ولكن الامير الكسندر باتنبرج امير بلغاريا في ذلك الحين كان قائداً محنكاً فانتصر على السربيين انتصاراً باهراً واحتل بلدتي بروت وفرانيا ولم يجل عنهما الا بعد دخول النمسا فعلاً في الامر

وقد اعلن الدستور العثماني والحال كما تقدم في البلقان فرأت فيهِ الامم البلقانية قضاء على آمالها وكانت الحال في مكدونية من جهة اخرى تزداد سوءاً من يوم الى يوم فأصدرت الجمعيات الثورية فيها في اواخر نوفمبر سنة ١٩١١ منشوراً حولت فيهِ انظار العالم المتمدن الى ظلم الترك لغير المسلمين واضطرت بلغاريا وسربيا الى ابرام معاهدة سرية ضد الدولة العثمانية في ١٣ مارس سنة ١٩١٢ يعمل بها الى آخر سنة ١٩٢٠. وقد جاء في تلك المعاهدة ان بلغاريا تعطى الاملاك الواقعة شرقي نهر ستروما وان سربيا تعطى البلاد الواقعة شمالي جبال شار بلانينا وغربيها وانهما تلجآن الى تحكيم القيصر في حل كل خلاف يقع بينهما . وأما من الوجهة العسكرية فقد تكفلت سربيا بحشد ١٥٠ الف جندي وتكفلت بلغاريا بمهاجمة العثمانيين بمئتي الف جندي وتكفلت الدولتان باعلان الحرب على رومانيا اذا شدت ازر العثمانيين . وفي ٢٠ مايو سنة ١٩١٢ وقعت اليونان على هذه المعاهدة وفي ٨ اكتوبر اعلن الجبل الاسود الحرب على الدولة العثمانية وفي ١٨ منهُ اعلنت الحرب البلقانية الاولى

المسألة الشرقية وحروب البلقان

ولم يمض على اعلان هذه الحرب شهر ونصف حتى اضطرت الدولة العثمانية ان تطلب من الدول التوسط في امر الصلح فعقدت الهدنة في ٣ دسمبر وافتتح مؤتمر السفراء في لندن في ١٦ منهُ برئاسة السير ادورد جراي . وظلت المفاوضات اكثر من شهر فكانت نتيجتها ان الدولة العثمانية اعترفت بضم مكدونية وأبيروس وجزيرة كريت وقسم من بلاد تراقية الى البلقانيين ولكنها ابت ان تتنازل عن ادرنه وعن جزر بحر ايجه فرفع سفراء الدول العظمى في الاستانة بلاغاً مشتركاً الى الباب العالي الحوا فيهِ بتسليم ادرنه الى بلغاريا وتحكيم الدول العظمى في مسألة الجزر وكان بلاغهم هذا غاية في الشدة فرأى كامل باشا الصدر الاعظم في ذلك الحين ان يستشير عظماء الدولة وقوادها ورجالها السياسيين في الامر فدعاهم الى مجلس عال عقد في دولمه باغجه برئاسة جلالة السلطان في ٢٢ يناير سنة ١٩١٣ فقرر هذا المجلس ان يقبل مطالب الدول العظمى ويبرم الصلح في الحال

ولكن وزارة كامل باشا سقطت في اليوم التالي اثر حادثة الباب العالي وخلفتها وزارة محمود شوكت باشا الاتحادية فأبلغت الدول العظمى في ٣٠ يناير ١٩١٣ رغبتها في المحافظة على اذرنه مفتاح الاستانة وعلى جزر بحر ايجه وانقطعت المفاوضات في لندن بعد هذا البلاغ وعادت الحرب فاتقدت نارها اتقاداً شديداً اضطر الدولة العثمانية ان تطلب توسط الدول لابرام الصلح ولو على الاساس الجديد الذي وضعهُ البلقانيون وهو جعل حدودهم الشرقية خطاً يمتد من رودستو على بحر مرمرا الى ملتره بروني شرقي ميديا على البحر الاسود

ولما رأت النمسا ان اشقودره اوشكت ان تسقط بيد الجبليين طلبت رفع الحصار عنها (في ٢٥ مارس سنة ١٩١٣) ثم جعلت تهدد الجبل الاسود

بالحرب بعد ما حشدت جيوشها على حدودهِ بحجة سقوط القنابل على قنصليتها في اشقودره ومقتل قسيس نمسوي في ايبك . وقد اقنعت حكومة فينا الدول العظمى بوجوب اكراه الجبل الاسود على الخضوع لمشيئتها واتفقت معها على اعلان الحصر البحري على شواطئهِ . وفي تلك الاثناء سقطت اشقودره بيد الجبليين فأغضب ذلك النمسا وتهددت حكومة الجبل الاسود بالحرب . وقد رأت روسيا ان تخضع للنمسا مرة ثانية بعد سنة ١٩٠٩ خوفاً من وقوع حرب اوربية عامة فاقنعت الجبل الاسود بالجلاء عن اشقودره اكراماً للنمسا وكان لدخول النمسا فيشؤون البلقان احسن وقع في الاستانة فجرأ حكومتها على رفض مطالب البلقانيين بجعل حدودهم الشرقية خط رودستو — ملتره بروني واضطر البلقانيون الى ابرام الصلح في لندن في ٣٠ مايو سنة ١٩١٣ على الاساس الذي رضيت بهِ وزارة كامل باشا وهو جعل حدود تركيا في اوربا خطاً مستقيماً يمتد من اينوس على بحر ايجه الى ميديا على البحر الاسود . ولكن صلح لندن لم يضع حداً للمشاكل البلقانية . فتعقدت مسألة البانيا التي اوجدتها النمسا لمنع سربيا من الوصول الى الادرياتيك . وكانت هذه المسألة مسألة دولية لان الدول العظمى قبلن ان يكن حكماً فيها بمقتضى معاهدة لندن ولان كلا منهن ذو مصالح لا يستطيع اغفالها

وفي تلك الاثناء قام الخلاف فيما بين البلقانيين فطلبت بلغاريا من اليونان أن تجلو عن سلانيك وتسلمها اليها فرفضت اليونان هذا الطلب وقالت انها لاتسلم سلانيك الا بالقوة وكانت معاهدة ١٣ مارس سنة ١٩١٢ بين بلغاريا وسربيا تقضي بتحكيم قيصر روسيا في قومانوفو واسكوب وكيتشافو ودبرا وتقسيمها بين الدولتين . ولكن سربيا انتهزت فرصة انشغال البلغاريين أمام جتالجه وقالت انها احتلت هذه المدن احتلالاً دائماً ثم رفضت أن تعمل

بمقتضى معاهدتها مع بلغاريا بحجة انها اضطرت الى الرضى باستقلال البانيا لأسباب دولية وانها قامت بأكثر مما يجب عليها في محاربة العثمانيين . وقد أوصى القيصر الفريقين بالحكمة والتأني ودعاهما الى قبول حكمهُ فقالت بلغاريا (في ١١ يونيو سنة ١٩١٢) انها تقبل حكمهُ في الاراضي التي ورد ذكرها في المعاهدة فقط وبعد ما تجلو الجيوش السربية عنها واما سربيا فقد قبلت التحكيم ولكنها رفضت الجلاء عن الاملاك المتنازع عليها

وقد أفهمت رومانيا بلغاريا في تلك الاثناء انها لاتكتفي بمدينة سلستره التي احتلتها بمقتضى معاهدة بطرسبرغ (١٥ ابريل سنة ١٩١٣) بل تطلب تعويضاً آخر اذا وقعت الحرب بين البلقانيين ولكن بلغاريا لم تعبأ بتهديدها فأقدمت على الحرب مع علمها بأنها مهددة من الجهات الاربع من العثمانيين شرقاً والرومانيين شمالاً والسربيين غرباً واليونانيين جنوباً

وفى ٣٠ يوليو طلبت بلغاريا الصلح واتفقت مع اعدائها على عقد مؤتمر بلقاني فى بخارست

معاهدة بخارست

وفي ١٠ أغسطس سنة ١٩١٣ أبرمت معاهدة بخارست التي وضعت بموجبها خريطة البلقان على مانعرفها قبل الحرب الاوربية

وكانت تلك المعاهدة شؤماً على الشرق فأضرمت نار الحقد بين البلقانيين ووسعت المجال لاطماعهم وتباين مصالحهم ولم تحل مشكلاً واحداً من مشاكلهم الداخلية بل اكتفت بصلح وقتي أقامتهُ على أساس فاسد لايثبت أمام زوابع السياسة ولا يقوى على مقاومة تيار الضغائن والاحقاد لانها اضطرت فريقاً منهم الى ترك أراضي واسعة كانت له أوكان يؤمل ضمها الى بلاده على مبدأ العنصرية ولم تحقق آمال الفريق الآخر في تقسيم تلك

الاراضي تقسيماً عادلاً يتفق مع مصلحة العناصر التي فيها

أوربا بعد معاهدة بخارست

وقد ظنت الدول العظمى أن نجاح مؤتمر بخارست في تسوية المشاكل البلقانية كان باهراً جداً فوجهت أنظارها الى المسألة الشرقية ورغبت في حلها حلاً نهائياً باتاً. فتم الاتفاق بين النمساوسربيا بشأن سكة حديد البلقان في أوائل مايو سنة ١٩١٤ ونالت ايطاليا امتيازاً بانشاء سكة حديد بين أزمير وآيدين في ١٧ مايو مقابل جلائها عن الجزر العثمانية التي احتلتها في الحرب الطرابلسية. فصرح المركيز دي سان جوليانو في مجلس النواب الايطالي في ٢٦ مايو بأن « سياسة ايطاليا في الشرق الأدنى ترمي الى المحافظة على سلامة الاملاك العثمانية » ونشرت صحف انكلترا وفرنسا وروسيا في ٢١ ابريل و٢٣ منهُ أثر مقابلة ملك انكلترا لرئيس الجمهورية الفرنسية والاجتماع الذي عقده سفراء دول الاتفاق الثلاثي بلاغاً رسمياً جاء فيه : «ان الدول الثلاث ستبذل جهدها في المحافظة على التوازن الاوربي والسلم العام » .

ونشرت صحف المانيا وايطاليا والنمسا بلاغاً رسمياً أثر اجتماع وزير خارجية ايطاليا بوزير خارجية النمسا في ابازيا وزيارة الامبراطور والملم للامبراطور فرنز جوزف في فينا في ٢٢ مارس سنة ١٩١٤ وللملك فكتور عمانوئيل في البندقية. وقد ورد في ذلك البلاغ « ان دول التحالف الثلاثي اتفقت على حل المشاكل العديدة التي نشأت عن الازمة البلقانية حلاً سلمياً» ثم اتفقت انكلترا والمانيا بشأن سكة حديد بغداد والملاحة في دجلة واتفقت فرنسا والمانيا على سكك حديد الاناضول وأجابت الدولة العثمانية روسيا الى مطالبها في شأن أرمينية وقبلت اقتراح الدول العظمى باصلاح ولايات الاناضول الشرقية

ولكن مسألة البانيا مع ذلك كله كانت تزداد اشكالاً من يوم الى

يوم لان فشل البرنس فيد في حفظ الامن فيها جعل ايطاليا والنمسا في نزاع دائم بسبب اطاعها وفتح عين اليونان على بلاد ابيروس التي اغتصبت منها ونبه بلغاريا الى انتهاز الفرص التي تسنح للانتقام من جارتيها سربيا واليونان

وقدوصف أحد كبار الكتاب السياسيين حالةأو ربا في تلك الاثناءفقال « ان الموقف الحالي مع ظواهره السلمية عبارة عن اختلال التوازن في الشرق اختلالاً لاتستطيع الدول اغفاله وتنازع المصالح الاوروبية تنازعاً لاسبيل الى اجتنابهوارتباك المسائل الشرقية ارتباكاً لايزول الاَّ بامتشاق الحسام »

فروع المسألة الشرقية

لقد عرّفت المسألة الشرقية مع من عرّفها من السياسيين بانها « نزاع شديد بين الامة التركية والامم التي تحت حكمها أوالتي كانت تحت حكمها من جهة ودخول الدول العظمى في هذا النزاع لسد اطاعها وتحقيق آمالها المتناقضة من جهة أخرى » ولهذه المسألة المعقدة التي كانت السبب الجوهري في اعلان الحرب الاوروبية فروع عديدة أهمها المسألة العربية — وسنأتي على وصفها في الفصول التالية — ومسألة البواغيز ومسألة مكدونية ومسألة البانيا ومسألة البوسنه والهرسك ومسألة نوفي بازار والمسألة الارمنية

« أ — مسألة البواغيز »

فمسألة البواغيز يمكن اجمالها في مايلي : هل تفتح البواغيز (البسفور والدردنيل) للبوارج الروسية فقط أو لبوارج جميع الدول ؟ ففتحها لروسيا فقط يجعل حكومة الاستانة حارساً على بابها بل في قبضة يدها . وفتحها لبوارج جميع الدول يضر روسيا ضرراً عظيماً ويترك الاستانة والدردنيل عرضة لاطماع الدول صاحبات الاطماع في الشرق الادنى . واذا أعطيت روسيا البواغيز والاستانة فكيف يكون حال رومانيا وبلغاريا بل حال الدول العظمى ذوات

المصالح في البحر المتوسط . واذا ظلت البواغيز والاستانة بيد العثمانيين فالضرر عظيم على كل الدول ولاسيما روسيا ورومانيا. فكيفما ادرنا الطرف نرى ان مسألة البواغيز كانت ولا تزال من أعظم مسائل الشرق الادنى للاسباب التي نبسطها في سياق كلامنا

لما كان البحر الاسود بحيرة عثمانية كان الباب العالي حراً في اقفاله وفتحهِ والتصرف فيه كيفما يشاء ولكن وصول روسيا اليه وقيام دولتين جديدتين على شاطئهِ الغربي وضعف الدولة العثمانية الى غير ذلك من الحوادث التي وقعت في القرن الماضي غيرت تلك الحال من وجهتيها السياسية والقانونية تغييراً تاماً زاد في اشكالها وغموضها . فالقوانين الدولية تقضي من جهة « بجعل البحار المشتركة حرة للجميع على السواء » وتعترف من جهة أخرى « بان لكل دولة من الدول حق الانتفاع بامِلاكها دفاعاً عن كيانها » ولكن هذين المبدأين الصحيحين لا يستطاع تطبيقهما على البواغيز لان جعل البحر الاسود حراً بحجة انه بحر مشترك طبقاً للمبدأ الاول ينفي المبدأ الثاني الذي يمنح الدولة العثمانية حق الانتفاع باملاكها والعكس بالعكس. هذه هي عقدة العقد من الوجهة القانونية

وأما من الوجهة السياسية فان لكل دولة من الدول العظمى والدول البلقانية رأياً في المسألة لاتحيد عنهُ ومصلحة لاتريد اغفالها ولا شيء يوضح للقراء تباين المصالح الدولية في هذه المسألة اكثر من مراجعة تاريخها في القرنين الماضيين فان بطرس الاكبر لما احتل شواطيء بحر ازوف عرض على بساط البحث مسألة الملاحة الحرة في البحر الاسود وكان هذا البحر لا يزال عثمانياً فرفض الباب العالي ذلك بتاتاً ومنع روسيا في معاهدة بلغراد ١٨ سبتمبر ١٧٣٩ من انشاء سفن حربية في بحر ازوف والبحر الاسود . وقد وضعت روسيا نصب عينيها مسألة الوصول الى البحر الاسود من ذلك الحين فتمكنت بعد انتصارات الامبراطورة

كاترينا الثانية على العثمانيين من ابرام معاهدة كوجوك قينارجى (١٠ يوليو سنة ١٧٧٤) وجعل الملاحة حرة فى البواغيز وفتح مضيق الدردنيل لاسطولها فى البحر المتوسط مع بقاء البسفور مقفلاً فى وجهه

وفى القرن الثامن عشر اتفقت الدولة العثمانية مع روسيا وأبرمت معها معاهدتين الاولى فى ٢٣ دسمبر سنة ١٧٩٨ والثانية فى ٢٣ سبتمبر سنة ١٨٠٥ تكفلت بهما بفتح البواغيز للاسطول الروسي ومنع البوارج الاجنبية من دخول البحر الاسود

وفى ٥ يناير سنة ١٨٠٨ فتحت انكلترا موضوع الدردنيل ثانية وأبرمت معاهدة جديدة مع الباب العالي وبعض الدول العظمى منعت بموجبها كل السفن غير العثمانية من دخول البحر الاسود أو الخروج منهُ فغلّ الباب العالي يده بهذه المعاهدات المتناقضة وقضى على حرية تصرفهِ فى أملاكه وكانت هذه المعاهدة ضد روسيا وفي مصلحة دول الغرب البحرية ولكن روسيا انتقمت لنفسها باكراه الباب العالي في معاهدة هنكار اسكله‌سي (٢٦ يوليو سنة ١٨٣٣) على اقفال البواغيز فى وجه الدول البحرية التى تعلن الحرب عليها

وقد بات الدردنيل من ذلك الحين مرسحاً للسياسة الاوربية فكانت الدول العظمى تدخل في أمرهِ تارة لمصلحة روسيا وتارة ضدها متبعة تقلب الحال

وفي سنة ١٨٤١ تمكنت انكلترا من الغاء معاهدة هنكار اسكله سى وأبرمت معاهدة لندن (١٣ يونيو سنة ١٨٤١) التي تقضي باقفال البواغيز واقامة الباب العالي « بوليساً » على الدردنيل والبسفور وكانت معاهدة لندن موجهة ضد روسيا لانها لم تبحث في اقفال البواغيز الا في أبان السلم فكأنها تركت للباب العالي حرية فتحهِ في أبان الحرب للدولة التي تهاجم روسيا من البحر الاسود وهذا ماوقع فعلاً في سنة ١٨٤٥ لما دخلت أساطيل الحلفاء فى ذلك الحين بحر مرمرا لمهاجمة شواطيء روسيا

وفي سنة ١٨٥٦ أبرمت معاهدة باريس وجاء فيها « ان البحر الاسود بحر محايد لا تدخله البوارج الحربية ولا يجوز لروسيا انشاء ترسانات على شواطئه (المادتان ١١و١٢)

وفتحت مسألة البواغيز في معاهدتي لندن (سنة ١٨٧١) وبرلين (سنة ١٨٧٨) فاتفقت الدول على أن « تبقى مقفلة وأن لا تدخلها البوارج الحربية الا باتفاق الدول العظمى وفي الاحوال المعينة في المعاهدات السابقة »

ولما أعلنت روسيا الحرب على الدولة العثمانية ووصلت جيوشها الى أيا استفانوس دخلت الاساطيل البريطانية مضيق الدردنيل لمنع الروس من الوصول الى الاستانة بحجة أن معاهدتي لندن وبرلين تركتا للباب العالي حرية فتح البواغيز أو اقفالها حسبما تقتضي الاحوال ولكن انكلترا عينها منعت الباب العالي سنة ١٩٠٢ وسنة ١٩٠٤ من فتح البواغيز للاسطول الروسي بحجة ان معاهدتي لندن وبرلين تقضيان عليه بتنفيذ قرارات الدول العظمى في هذا الشأن

فهذا التناقض الغريب في تفسير المعاهدات التي تتعلق بالبواغيز يدل على أن الباب العالي كان يسير دائماً مع تيار السياسة وان المعاهدات لم يكن لها شأن في نظره ونظر الدول العظمى أيضاً فان الاساطيل الانكليزية وأساطيل الدول المتحالفة دخلت البواغيز في سني ١٨٠٧ و١٨٥٤ و١٨٧٨ باسم معاهدتي لندن وبرلين ثم منعت الاساطيل الروسية من دخولها سنة ١٩٠٢ والخروج منها سنة ١٩٠٤ باسم تينك المعاهدتين أيضاً ودخلتهما البارجتان الالمانيتان جوبن وبرسلو في ١١ أغسطس بالحجة عينها

« ٢ ـ مسألة مكدونية »

نشأت المسألة المكدونية عن تعذر قسمة مكدونية على مبدإ العنصرية لاختلاط العناصر فيها اختلاطاً لا يمكن معه حسم الاشكال حسماً مرضياً عادلاً

وقد اتفقت روسيا والنمسا في مقابلة الامبراطورين في مرسزتاغ على تعيين لجنة مختلطة لاحصاء العناصر في مكدونية على الاساس الّتي جرت عليهِ اللجنة الاوربية في الروملي الشرقية سنة ١٨٧٨. ولكن هذه اللجنة لم تعين ولو عينت لذهبت اتعابها ادراج الرياح . يؤيد ذلك ما نراهُ من اختلاف الحكومات البلقانية والاحصائيين الاجانب انفسهم في هل عدد سكان مكدونية البلغاريين مليونان او هو مليون ونصف او هو ستون الفاً وهل عدد الفلاخ مئة الف او سبعون الفاً وهل عدد السربيين مليونان وسبعون الفاً او ليس هناك سربيون على الاطلاق وهل عدد الترك ست مئة الف او مئة وعشرون الفاً وهل عدد الالبانيين ثلث مئة الف او مئة الف فقط ؟؟

على ان هذه الفروق العظيمة في هذه الارقام اثبتها الاحصائيون في كتبهم وتقاريرهم وايدوا كل رقم منها بحجج زعموا صحتها وأسندوها الى ادلة اوردوها . وأما سبب هذا التناقض العجيب فيرجع الى ان العناصر البلقانية كانت تزحزح بعضها بعضاً على التوالي قبل دخول الترك في اوربا ثم اندمجت فصارت امة واحدة في الظاهر تجمعها جامعة الدين وظلت على هذا المنوال الى ان انبثق لها فجر الحرية والاستقلال في اوائل القرن الماضي

وبديهي ان الادوار العديدة والانقلابات الكثيرة التي طرأت على العناصر المكدونية أزالت كل الفروق التي كانت بينها . فاللغة لم تعد كافية للتمييز بينها لان الاحوال اضطرت فريقاً كبيراً منها أن يتكلم بلغة غير لغتهِ . ولا يؤخذ اختلاف المذاهب حجة في الاحصاء لان بلغاريا لم تستقل دينياً الا منذ ست وأربعين سنة ولان فريقاً كبيراً من البلغاريين تابع للكنيسة اليونانية ولان السربيين فريقان فريق تابع لبطريركية الفنار اليونانية وفريق للاكسرخس البلغاري . وأما التاريخ فلا يستطيع الاحصائيون أن يستندوا اليهِ في مايختص

بمكدونية لان كل أمة من الامم التي تقطن فيها حكمت فى دورها واندغمت فيها الامم الاخرى . لذلك كان أحسن حل للاشكال جعل مكدونية دولة مستقلة ولكن رجال السياسة اختلفوا فى الامر فذهب بعضهم الى وجوب منحها الاستقلال التام وجعلها دولة دستورية حرة تكون اللغة الفرنسوية لغتها الرسمية وقال آخرون بل يجب جعلها ولاية مستقلة يتفق الباب العالي مع الدول العظمى على تعيين حاكم مسيحي لها يعضده في مهمته مجلس اداري تنتخب العناصر أعضاءهُ بالطريقة النسبية . ولما اختلفت أوربا في حل مسألة مكدونية ورأت فيها خطراً على السلم العام ألحت على الباب العالي في اجراء الاصلاح فيها فأظهر رغبتهُ في ذلك بعد اعلان الدستور واصدر لائحة اصلاحية قرر فيها زيادة عدد الجندرمة الف جندي في ولاية اشقودره ومثل ذلك في ولاية قوصوه وانفاق مئة الف ليرا على انشاء « قره قولات » جديدة للجندرمة في ولايات سلانيك ومناستر وأشقودره ويانيا وربط هذه « القره قولات » بالاسلاك التليفونية ثم عين سنة ١٩١٢ لجنة اصلاحية للنظر في شؤون مكدونية برئاسة الحاج عادل بك وزير الداخلية في ذلك الحين وجعل بين أعضائها بعض كبار الموظفين في وزارات المالية والحربية والحقانية والمعارف والاشغال العمومية والجنرال بومان باشا والكولونل فولون والقائمقام رجائي بك

ولكن هذه الخطة لم ترق حكومة الاتحاديين التي ترغب في تتريك جميع العناصر العثمانية فلما اشتد ساعدها حتى الغت جميع النظامات التي تقرر تنفيذها في مكدونية فلم ترض بالمراقبة الاجنبية وعزلت الموظفين البلغاريين والروم وعينت مكانهم موظفين اتراكاً وأبت ان تنفق اموال مكدونية الاميرية على اصلاح مكدونية ورفضت قبول العرائض بغير اللغة التركية وأصدرت قانوناً جديداً سمتهُ قانون الاجتماعات لالغاء الجمعيات اليونانية والبلغارية والسربية

والالبانية ثم جمعت السلاح من البانيا ومن ولايتي مناستر وسلانيك وملأت سجون اسكوب ومناستر وأشتيب وسلانيك وكونشاني وبلانكا وغيرها بالبلغاريين والاروام والسربيين وجاءت بعدد كبير من اتراك البوسنة والهرسك الى مكدونية لمزاحمة العناصر التي فيها فظهرت بوادر الثورة في الحال وتكاثرت حوادث القتل والاغتيال وبدأت العصابات البلغارية واليونانية تعيث في الارض فساداً فاهتزت لذلك اعصاب جمعية « الثورة » البلغارية و « لجنة تنظيم الامور الداخلية » وألفت جمعية ثورية جديدة في بلغاريا باسم جمعية « الاخوة الحمر » جعلت شعارها شمساً وتحتها سيفان مشتبكان فوق جمجمة انسان . وقد اوفدت لجنة « تنظيم الامور الداخلية » سنة ١٩١٢ وفداً الى عواصم الدول التي وقّعت على معاهدة برلين لتذيع اخبار فظائع الترك وتستفز اوربا الى الدخول في شأن مكدونية . وكتبت جمعية « الاخوة الحمر » الى الحكومة العثمانية سنة ١٩١٢ تقول « باسم الحرية والنهضة والارتقاء نعلن الثورة في بلاد البلقان . وسنقابل الارهاب بالارهاب والقسوة بالقسوة ونشهر السيف المنغمس في الدم في وجه القوة والظلم . فاحتشدوا يا ابناء الوطن العزيز ورجال الثورة الاشداء حول علم الثورة المقدس الذي يكفل لنا الخلاص من ربقة الذل والاستعباد »

هكذا كانت مكدونية قبل اعلان الحرب البلقانية وقد صارت كذلك بعد معاهدة بخارست ولكن حقد البلغاريين على الترك تحول الى حقد على السربيين وكان سبباً في دخول بلغاريا الحرب الاوربية ضد سربيا

« ٣ ـ المسألة الالبانية »

البانيا أو البلاد التي يسكنها العنصر الالباني شرقي الادرياتيك تشمل البانيا التي استقلت في حرب البلقان وقسماً من مكدونية السربية ومن بلاد ايبروس عدد سكانها مليون ومئة واربعون الفاً منهم ثماني مئة الف من المسلمين

ومئتان واربعون الفاً من الارثوذكس ومئة الف من الكاثوليك

والالبانيون يختلفون عن سائر العناصر البلقانية بلغتهم وأخلاقهم وعاداتهم التي حفظوها على توالي الايام . فالالباني أو « ابن النسر » يعبد الشرف ويهوى الحرية ولا يقيم على الضيم فأقل اهانة تلحق به يعقبها انتقام دموي هائل

ولم يشد الالبانيون دولة في زمن من الازمان ولكنهم شوهدوا في جميع الحروب والغزوات فاجتاحوا الشرق مع اسكندر الكبير وحاربوا الرومانيين مع بيروس وقاتلوا الصقالبة بعد وصولهم الى البلقان واشتركوا مع السلطان مراد في معركة قوصوه ثم انقلبوا على الترك في زمن اسكندر بك الزعيم الالباني الشهير وحاربوهم دفاعاً عن حريتهم واستقلالهم

وقد رأى السلاطين العثمانيون ان يحسنوا معاملة الالبانيين ويستميلوهم اليهم بالحكمة واللين فأعفوهم من الضرائب والاموال الاميرية وعينوا منهم الصدور العظام واجتنبوا الدخول فى شؤونهم الداخلية فتطوع الالبانيون فى الجيش العثماني عن طيبة خاطر واعتنق معظمهم الاسلام

وقد ظهرت الفكرة القومية فى البانيا فى اوائل هذا القرن متأثرة بحوادث مكدونية وأخذت تنتشر يوماً فيوماً الى ان بلغت حدها الاقصى أثر اعلان الدستور العثماني فاجتمع بعض زعماء الالبانيين فى تيرانوفو والبسان وطلبوا من الحكومة ان تجعل اللغة الالبانية اللغة الرسمية فى بلادهم ثم عقدوا اجتماعاً آخر فى مناستر طلبوا فيه ان تنشأ مدارس جديدة فى البانيا وأن تكتب اللغة الالبانية بالحروف اللاتينية . فارتعدت فرائص الترك من جراء ذلك لانهم ادركوا ان البانيا حصنهم الوحيد فى اوربا وأن ابتعادها عنهم يقضي عليهم بالرحيل الى آسيا فرغبوا فى القضاء على الفكرة القومية فيها وعهدوا الى بدري باشا والي اشقودره فى ذلك الحين في اتخاذ التدابير اللازمة لذلك (سنة ١٩١٠)

فأسرع بدري باشا الى تنفيذ اوامر الاستانة ومنع الالبانيين من حمل السلاح في المدن فعدوا ذلك اهانة لهم وأعربوا عن استيائهم من سياسة الحكومة العثمانية . ثم عقب ذلك شنق بعض زعماء الالبانيين في الاستانة اثر خلع السلطان عبد الحميد واقرار الحكومة على احصاء سكان البانيا توطئة لتجنيدهم وفرض الضرائب عليهم فشقوا عصا الطاعة وجاهروا بالعصيان فجاءهم شوكت طورغود باشا بجيش كبير وقمع ثورتهم بشدة لم يسبق لها مثيل وأصدر امرهُ بجمع السلاح منهم . ولكن السلاح الذي جمعهُ كان قديماً وظل السلاح الجديد بيد الالبانيين فغنموا اول فرصة سنحت لهم وأعلنوا الثورة هذه المرة باسم القومية وطلبوا الاستقلال الاداري التام وتدريس اللغة الالبانية وحدها في مدارسهم بعد ما تكتب بالحروف اللاتينية وانفاق الاموال الاميرية كلها على اصلاح بلادهم

وقد انتشرت الفكرة القومية بسرعة عظيمة في البانيا فتمدت المفكرين الى جميع طبقات الشعب وحلمت الشبيبة وبعض الزعماء باستقلال البانيا التام وجعلها واسطة لابرام اتفاق بلقاني متين ومحوراً تدور عليه سياسة البلقان المقبلة

وأما الترك فرفضوا اجابة الالبانيين الى مطالبهم وجردوا عليهم حملة كبيرة ولكنها لم تستطع الثبات أمامهم فاكرهت على التقهقر الى ماوراء أشقودره . ولما أرسلت الحكومة طورغود باشا لشد أزر هذه الحملة على الالبانيين الذين في الشمال ثار المردة الذين يسكنون في جنوب أشقودره بشرق واشترك المسلمون والمسيحيون في الحرب . فأدركت الحكومة حرج موقفها ونهجت خطة المسالمة واللين في البانيا فأصدر خليل بك وزير الداخلية في ذلك الحين أمراً بفتح المدارس الالبانية وزار السلطان محمد رشاد سهل قوصوه في ١٦ يونيو سنة ١٩١١ وأصدر عفواً عاماً عن الذين اشتركوا في العصيان . وفي ٢١ منهُ دعا

طورغود باشا زعماء المالِيسوريين الى اجتماع في توزا فرفضوا ذلك لعدم ثقتهم بهِ ودارت رحى القتال ثانيـة في ٢٤ يونيو. ولـكن المالِيسوريين الذين رفضوا مفاوضة طورغود باشا لشدة كرههم لهُ كانوا يفاوضون في تلك الاثناء صدر الدين بك معتمد تركيا في شتينه . فوعدهم بفتح المـدارس المقفلة واصلاح الطرق وادارة بلادهم على أساس اللامركزية مقابل اخلادهم الى السكينة

على ان الترك لم يفوا بوعودهم هذه المرة أيضاً لانهم كانوا يخشون أن تقتفي العناصر العثمانيـة أثر الالبانيين في طلب اللامركزية الواسعة فتفاقم الخطب ودخلت المسألة الالبانية في شكل جديد لان بعض الدول لم يكن ينظر نظرة المتفرج الى مايجري في البانيا فنبه سفراء هـذه الدول في الاستانة الباب العالي الى الخطر الذي يتهدده ودافعوا عن مطاليب الالبانيين دفاعاً شديداً . وكانت النمسا ترقب سير الحوادث الالبانية بكل دقة واهتمام بحجة انها حامية الكاثوليك منذ انتصار البرنس شارل على العثمانيين في معركة باساروفيتز سنة ١٧١٨ وان مؤتمر برلين أيد تلك الحقوق المزعومة وجعل البانيا في منطقة نفوذها

ولم تـكن النمسـا لتغض الطرف عن البانيا لانها الطريق التي تؤدي الى البحر والحصن الذي يمكن توقيف الصقالبة عنده فنشأ عن ذلك تفاقم الخلاف بينها وبين الصقالبة من جهة وبينها وبين ايطاليا من جهة أخرى لان ايطاليا تعد نفسها وارثة الرومانيين ويهمها بحر الادرياتيك دفاعاً عن شواطىء بلادها

وفي شهر مايو سنة ١٩١١ تعكر صفو الصلات السياسية بين البـاب العالي والجبل الاسود بسبب التجاء الثائرين الالبان اليه فحشدت الحـكومة العثمانية جيشها على الحدود وقررت اعلان الحرب على حكومة شتينه لولا دخول روسيا في الامر وتصريح المسيو جاريكوف سفيرها في الاستانة لرفعت باشا وزير الخارجية في ذلك الحين « بأن روسيا لا تسمح للدولة العثمانية بالاعتداء على الجبل الاسود »

فاضطر الباب العالي أن يسحب جيوشهُ من الحدود وأن يصدر أمرهُ بالعفو عن الثائرين الماليسوريين ويعفيهم من الخدمة العسكرية ومن دفع الاموال الاميرية ويسمح لهم بتقلد السلاح وتدريس اللغة الالبانية في المدارس الرسمية في البانيا ويمدهم بانشاء الطرق في بلادهم ويعيضهم من الخسارة التي لحقت بهم بسبب الحرب

وقد رأى الالبانيون ان مارضيت بهِ الدولة قليل عليهم ورآه الترك شيئاً كثيراً منهم. لذلك لم يكن بدّ من فتح مسألة البانيا ثانيةً سنة ١٩١٢. وكانت الثورات الالبانية من أكبر العوامل التي جرأت البلقانيين على اعلان الحرب على الدولة العثمانية في الحرب البلقانية ومن أهم الاسباب التي حملت ايطاليا على شد أزر الحلفاء في الحرب الاوربية دفاعاً عن مصالحها في البانيا والادرياتيك

« ٤ ــ مسألة البوسنه والهرسك »

جاء في المادة الخامسة والعشرين من معاهدة برلين مانصه « يعهد الى النمسا في احتلال مقاطعتي البوسنه والهرسك احتلالاً مؤقتاً وفي ادارة شؤونهما» ومنطوق هذه المادة يدل على رغبة أوربا في ابقاء البوسنه والهرسك تحت سيادة الدولة العثمانية كما يتضح من مناقشات المؤتمر. فقد وافق اللورد سلسبوري مندوب انكلترا على تلك المادة «لانها لاتمس سيادة الدولة العثمانية » وقال المسيو ودينكتون مندوب فرنسا « ان النمسا ستمثل دور بوليس أوربي في البوسنه والهرسك » وقال الكونت اندراسي مندوب النمسا « ان حكومته تعد مسألة البوسنه والهرسك مسألة أوربية بحتة » وقال المسيو تورتشاكوف مندوب روسيا « ان حكومته تقبل بان تحتل النمسا مقاطعتي البوسنه والهرسك احتلالاً موقتاً بالنيابة عن أوربا » وقال المندوبون العثمانيون — صفوت باشا ومحمد علي

باشا وقره تيودوري باشا — انهم يوافقون على ذلك « لانهم لا يرون فيه مايمس السيادة العثمانية »

تكفلت النمسا بادارة شؤون البوسنه والهرسك على أساس الحرية والعدل والنظام اقراراً للامن فيهما فألفت لهما حكومة حسنة ولكنها وضعت نصب عينيها القضاء على العنصر السلافي فيهما قضاء مبرماً فاغتصبت حق تسمية الاساقفة ونزعت حقوق الاكليروس الارثوذكسي وأقفلت الكنائس بحجة انها قديمة البناء ومنعت الاحتفال بالاعياد الدينية القومية وأثقلت عاتق الاهلين بالضرائب الجديدة وأقفلت المدارس الوطنية ومنعت تدريس التاريخ السربي وغلت عنق الصحف غلاًّ لم يسبق له مثيل فاعلنت بذلك حرباً عواناً على السربيين خصوصاً وعلى الصقالبة عموماً

لم تكتف النمسا بذلك كله بل انتهزت فرصة اعلان الدستور العثماني وضمت البوسنه والهرسك الى أملاكها (سنة ١٩٠٨) مع احتجاج سكانهما واحتجاج الدولة العثمانية وسربيا وبعض الدول الموقعة لمعاهدة برلين. وقد قابلت هذه الاحتجاجات بدهشة واستغراب قائلة « انه لم يطرأ شيء جديد على البوسنه والهرسك وان التقاليد التاريخية تربط حكومة المجر بهما فلا سبيل الى انكار هذا الحق عليها » وقد لجأت النمسا الى التاريخ لتأييد مدعاها واشباع اطماعها ولو كان التاريخ وحده حجة لاسترجاع الاراضي لطالب العثمانيون باسترجاع هنغاريا التي بقيت نحو قرنين في قبضة يدهم . ولو كانت حقوق النمسا التاريخية على البوسنه والهرسك اكيدة قديمة العهد لما أبرمت مع سربيا سنة ١٨٧٠ معاهدة سرية (نشرت سنة ١٩٠٨) جاء في المادة الثانية منها ما نصه : « تتكفل النمسا باعطاء سربيا البوسنه والهرسك اذا ساعدتها في محاربة الدولة العثمانية »

وقد كان ضم البوسنه والهرسك الى النمسا ضربة شديدة على سربيا والجبل

الاسود فقال المسيو نيكولا يفتش رئيس وزارة سربيا سابقاً في تقرير رفعهُ الى المجالس النيابية في أوربا : « ان مستقبل سربيا والجبل الاسود يتوقف على الطريقة التي تحل بها مسألة البوسنه والهرسك لان ضمهما الى النمسا يفصل بين الدولتين السلافيتين ويمنع سربيا من بلوغ الادرياتيك ويجعل الجبل الاسود تحت رحمة جارته الجرمانية » وقد اضطرت روسيا الى الرضوخ لمشيئة النمسا لانها كانت غير قادرة على الدفاع عن مصالح الصقالبة في البلقان بعد فشلها في الحرب اليابانية

ولما أعلنت الحرب البلقانية أملت النمسا فوائد عظيمة من اختلاف البلقانيين واحتكاك المصالح الدولية في الشرق وكادت تغري ايطاليا بمهاجمة سربيا لولا دخول رومانيا في الامر ونجاح مؤتمر بخارست في ابرام الصلح — مؤقتاً — بين البلقانيين

« ٥ ـ مسألة نوفي بازار »

ولم تكن مسألة البوسنه والهرسك المسألة الوحيدة التي حامت حولها الظنون واحتكت فيها مصالح النمسا وسربيا بل كان هناك مسألة أخرى لا تقل عنها أهمية وشأناً وهي مسألة سنجق نوفي بازار . فقد سمحت المادة الخامسة والعشرون من معاهدة برلين لحكومة النمسا والمجر « بان تضع حامية نمسوية في نوفي بازار — على طريق سلانيك — حين الحاجة » ففصلت بذلك بين الدولتين السلافيتين (سربيا والجبل الاسود) وأقفلت طريق الادرياتيك في وجه سربيا وفتحت طريق مكدونية وسلانيك والبحر المتوسط والاستانة أمام الجرمان . وقد أعطت هذه المادة النمسا موقعاً حربياً من أحسن المواقع وأمنعها تستطيع أن تنقل اليه جيوشها بكل سرعة وأن تتحكم منهُ في سهل قوصوه ونهري مورافا والواردار وتجعل الامم السلافية في البلقان تحت رحمتها وفي منطقة نفوذها الاقتصادي

« ٦ ـ المسألة الارمنية »

ارمينية او جيورجيا او البلاد التي يسكنها الارمن تمتد من جبال اراراط الى قلب الاناضول ومن البحر الاسود الى شمال العراق وتشمل قسماً من القوقاس والاناضول وبلاد ايران وعدد سكانها من الارمن نحو ثلاثة ملايين نسمة منهم مليون وأربعماية الفاً في البلاد العثمانيـة اي في ولايات سيواس وأرضروم وبتليس ووان وديار بكر ومعمورة العزيز التي تدعى الولايات الشرقية الست. والارمن هم الاقلية في كل هـذه الولايات ولذلك كانت مسألتهم من اعقد المسائل الشرقية

بثت حوادث الشرق الادنى الفكرة القومية في الارمن العثمانيين في اوائل القرن الماضي وكان زعماؤهم فريقين فريقاً يطلب الاستقلال الاداري فقط وفريقاً يرمي الى جعل أرمينية القديمة كلها مملكة مستقلة وهذا الفريق الاخير كان يكره الروس والعثمانيين على السواء

وقد بدأت الشبيبة الارمنية او ارمينية الفتاة تطالب الباب العالي بحقوقها منذ سنة ١٨٣٩ فانتخبت مجلساً من العوام لمراقبة خطة البطريرك رأس الامة الارمنية وشد ازره في المسائل السياسية ثم تمكنت سنة ١٨٦٣ من جعل انتخاب الاكليروس عاماً ومن تأليف مجلس ملي جديد من اربعماية عضو مهمتهُ انهاض الامة سياسياً وعلمياً واقتصادياً . وقد نهج الباب العالي في بدء الامر سياسة الحكمـة واللين مع الارمن العثمانيين لمنعهم من الالتجاء الى روسيا فنحهم استقلالاً ادارياً اوسع من الاستقلال الذي منحتهُ روسيا لاخوانهم في القوقاس وفتح باب المناصب في وجوههم فاكتسب صداقتهم واخلاصهم وانتفعت الدولة بهم انتفاعاً عظيماً . وقد قال أحد الصدور العظام « قوام الدولة اثنان السيف والقلم فالسيف للالبانيين والقلم للارمن »

ولكن مصاعب جمة كانت تحول دون اصلاح الحال في ارمينية على أساس وطيد الاركان أهمها عنفوان الاكراد وتعصبهم وضعف الارمن وقلة عددهم

وكان اضطهاد الاكراد للارمن يزداد يوماً فيوماً الى ان شبت حرب سنة ١٨٧٧ . فلما توغل الروس في البلاد العثمانية هاج الاكراد وذبحوا الارمن في بعض قرى الاناضول فنشأ عن ذلك اهتمام الامبراطورية الروسية بشؤون ارمينية في معاهدة ايا استفانوس واكراه الحكومة العثمانية على قبول المادة الثانية وهي : « يتكفل الباب العالي باجراء الاصلاح اللازم في الولايات التي يسكنها الارمن وبرفع الضيم عنهم وحفظ الامن في بلادهم ومنع الاكراد من الاعتداء عليهم » وخافت انكلترا عاقبة دخول روسيا فى شؤون الدولة العثمانية فابرمت مع الباب العالي معاهدة - في ٤ يونيو سنة ١٧٧٨ - جاء فيها « ان الباب العالي عقد النية على اجراء الاصلاح في اسيا الصغرى وتحسين حال سكانها من مسلمين ومسيحيين » ووافق الباب العالي على ذلك في مؤتمر برلين ايضاً ولكنهُ اهمل أمر التنفيذ في ارمينية كما اهمله في سائر البلاد العثمانية . وكان احتكاك المصالح البريطانية والروسية في اسيا الصغرى من اكبر العوامل التي جرأت الباب العالي على النكث بعهوده وشد ازر الاكراد السفاحين . فذهبت ارمينية فدية لاختلاف الدول الاوربية واحتكاك مصالحهن في الشرق الادنى

اسود الضياء في عيون الارمن من جراء ذلك فحملوا على الحكومة العثمانية في صحف الغرب حملات شديدة وقاموا بمظاهرات عديدة في عواصم اوربا لحمل حكوماتها على الدخول في شؤونهم فحقد الباب العالي عليهم حقداً شديداً حتى ان سعيد باشا المشهور برزانتهِ قال — وقد كان صدراً اعظم في ذلك الحين — « ان المسألة الارمنية لا تحل الاّ بازالة الارمن من الوجود »

ثم جعلت الحكومة العثمانية تحرض الاكراد على الارمن اقتصاصاً منهم

وتفرض عليهم ضرائب لا طاقة لهم على احتمالها فرفضوا اداءها ووقعت المذابح من جراء ذلك في موش وساسون وتالوري وشنيك وسمال وغيرها بين ١٢ اغسطس و ٤ سبتمبر سنة ١٨٩٤ . ودخلت انكلترا في الامر فطلبت من الباب العالي ان يعين لجنة تفتيش للبحث عن المجرمين فاجابها الى طلبها ولكنهُ اكتفى بعزل والي بتليس فقط مع ان لجنة التفتيش القت تبعة المذابح على كثيرين من القواد والضباط والموظفين الملكيين . وفي ٢ مايو سنة ١٨٩٥ سلمت الدول العظمى مذكرة مشتركة الى الباب العالي في شأن ارمينية فرفض العمل بها واوضح الاسباب التي حملتهُ على ذلك في مذكرة سلمها الى سفراء الدول العظمى في الاستانة في ٧ يونيو سنة ١٨٩٥

وفي ٣٠ سبتمبر قامت الجمعيات الارمنية بمظاهرة سلمية في الاستانة ومشى رجال الشرطة مع المتظاهرين لحفظ الامن ولكن شاباً متحمساً اطلق مسدسهُ على ضابط عثماني فقتله وبدأت مذابح الارمن في الاستانة وفي جميع بلاد الاناضول التي يسكنها الارمن . وفي ٢٠ اكتوبر سنة ١٨٩٥ ابلغ الباب العالي الدول العظمى انهُ رضي بمطالبهن في ما يختص بارمينية فغضب الاكراد لذلك وقاموا على الارمن وذبحوا منهم مئة الف نسمة على اقل تقدير . ولما رأى الارمن ان اوربا لا يهمها امرهم عنَّ لهم ان يقوموا بعمل يضطرها الى الدخول في شؤونهم فهجموا على البنك العثماني في الاستانة في ٢٦ اغسطس سنة ١٨٩٦ . ولكن عبد الحميد كان قد احتاط لهم فحرض رعاع الاستانة عليهم فذبحوا منهم ستة آلاف نسمة في يومين . وقامت قيامة صحف الغرب احتجاجاً على هذه الفظائع وبلغ الهياج في انكلترا اشده فاضطرت حكومة لندن الى الدخول في الامر وطلبت من الدول العظمى ان توافقها على ابلاغ السلطان عبد الحميد « ان مواصلة هذه الفظائع تؤدي الى ضياع عرشهِ » وكان ذلك في ١٦ سبتمبر سنة ١٨٩٦

وفى ٢١ اكتوبر سلمت الدول العظمى مذكرة شديدة اللهجة الى الباب العالي قالت فيها « انها مستعدة لان تعيد الامن الى نصابه بالقوة » ولكن هذه المذكرة لم تأت بالفائدة المطلوبة لان فرنسا كانت تخشى اطماع انكلترا في الاناضول ولان روسيا مانعت في استقلال ارمينية . فلم توفق الدول الى القيام بعمل مشترك دفاعاً عن الارمن

وفى اكتوبر سنة ١٨٩٦ زار القيصر باريس فاسفرت زيارته عن اتفاق فرنسا وروسيا على الدفاع عن سلامة الاملاك العثمانية وشد ازر الباب العالي في اجراء الاصلاح في ارمينية . وعزل جواد باشا من منصب الصدارة في تلك الاثناء وخلفه سعيد باشا الملقب بالصغير (كوجوك) فعاد الامن ظاهراً الى نصابه في ارمينية واتجهت انظار اوربا الى مسألة مكدونية وقد دخلت فى دور جديد

وفى شهر يوليو سنة ١٩٠٨ اعلن الدستور العثماني فقابله الارمن بسرور لا يوصف ولكن سرورهم لم يطل امره بسبب مذابح اطنه فى شهر ابريل سنة ١٩٠٩ فاحتج المونسنيور ارشاروني بطريرك الارمن على تلك المذابح احتجاجاً شديداً وطلب معاقبة المجرمين وتحسين حال الارمن فقابلت الحكومة طلبه بالمماطلة والتسويف واضطر الى تقديم استعفائه فى ١٢ سبتمبر سنة ١٩١٣

وقد رأت روسيا ان مصلحتها تقضي عليها بمساعدة الارمن بعد اعلان الدستور العثماني فرفع المسيو دي جيرس سفيرها فى الاستانة تقريراً مسهباً الى الباب العالي عن ارمينية اثر استعفاء المونسنيور ارشاروني . وعقد مندوبو انكلترا وفرنسا والمانيا وروسيا وسويسرا اجتماعاً فى باريس فى ٣٠ نوفمبر سنة ١٩١٣ للنظر فى اصلاح الولايات الشرقية الست التي يسكنها الارمن . وكانت الدولة العثمانية منهمكة بالحرب البلقانية فى تلك الاثناء فقبلت ان تعين لجنة

خصوصية من ثلاثة اعضاء مسلمين وعضوين ارمنيين وعضو كلداني برئاسة مستشار اجنبي لاصلاح الجندرمة وتسوية الخلاف بين الاهلين

وفي ٨ فبراير اتفق الباب العالي مع روسيا على اصلاح البلاد الارمنية وجعلها منطقتين لكل منهما مفتش اجنبي يعينهُ الباب العالي بموافقة الدول العظمى

وقد قال احد الساسة العثمانيين بعد اعلان الحرب الاوربية « ان اطماع روسيا في الاناضول والبواغيز ستحملنا على خوض غمار الحرب في جانب اعدائها ضد حليفتينا القديمتين فرنسا وانكلترا »

وهكذا كانت مسألة ارمينية سبباً من اسباب الحرب الاوربية العظمى التي تؤدي حتماً الى حل المسألة الشرقية وكل فروعها حلاً نهائياً معقولاً على اساس العنصرية

الفصل الثاني

﴿ المسألة العربية ﴾

نبذة جغرافية ـ نبذة تاريخية ـ العرب والترك في الماضي ـ العرب والاتحاديون
ظهور الجمعيات العربية ـ المؤتمر العربي الاول ـ اعماله ـ
موقف الاتحاديين ازاءه

تُعرّف المسألة العربية بما عُرفت به المسألة الشرقية لانها فرع منها فهي «نزاع شديد بين الترك الذين استأثروا بالسلطة فى الماضي وعقدوا النية على الاستئثار بها في المستقبل أيضاً مع جهلهم وفقرهم وقلة عددهم من جهة والعرب الذين يطلبون المساواة باسم الحق والقانون والقوة من جهة اخرى. واهتمام اوربا بهذا النزاع ودخولها فيه سداً لاطماعها وتحقيقاً لآمانيها المتناقضة» وقد كانت المسألة العربية من اهم أسباب الحرب ولا سيما الحرب العثمانية لان اطماع المانيا فى البلاد العربية بلغت حداً لم يسع انكلترا وفرنسا وروسيا السكوت عنهُ ولان الاتحاديين الذين تآمروا على كيان العرب مع الالمان لم يروا بداً من دخول الحرب شداً لازرهم ورغبة فى انتهاز الفرصة لضرب الامة العربية ضربة لا تقوم لها قائمة بعدها. فقد قال أحد زعماء الترك في هذا الشان ما تعريبهُ: «لا أمل لنا بعد الآن بان نحكم البلاد العثمانية كمستعمرة تركية ولا سيما البلاد العربية التي فتحها أجدادنا بالسيف لان حكومتنا صارت دستورية لسوء الحظ ولاننا نحن الاقلية في الدولة. فاذا خضنا غمار الحرب الاوربية وحالفنا النصر قضينا على العناصر غير التركية اعظم قضاء وكفلنا الحكم لعنصرنا زماناً طويلاً. واذا انكسرت جيوشنا وضاعت بلادنا فلا نخسر شيئاً لان مستقبل

الدولة ليس لنا ولان الحكم ذاهب من يدنا على كل حال. ومن بعدنا الطوفان »

اقتلوني ومالكاً واقتلوا مالكاً معي

والمسألة العربية ظهرت في عالم الوجود بانقراض دولة العرب وتعقدت بظهور غلاة الترك من الاتحاديين واستلامهم زمام الامور وايرادهم الدولة موارد الحتوف واحتقارهم للاسلام والعرب وجورهم واستبدادهم وطغيانهم

نبذة جغرافية

والبلاد العربية هي البلاد التي يحدها من الشمال جبال طورس ومن الشرق ايران وخليج فارس وبحر عمان ومن الجنوب البحر المحيط الهندي ومن الغرب البحر الاحمر والبحر المتوسط وتشمل سوريا والعراق وشبه جزيرة العرب

سورية — وتقسم سورية الآن الى ثلاث ولايات وهي حلب والشام وبيروت ومتصرفيتين وهما القدس وجبل لبنان وعدد سكانها من البدو والحضر لا يقل عن ثلاثة ملايين ونصف مليون نسمة

العراق — ويقسم العراق الى ثلاث ولايات وهي بغداد والموصل والبصره والى متصرفية واحدة هي متصرفية الزور ويشمل قسماً من ولاية ديار بكر وعدد سكانه من بدو وحضر يزيد على ثلاثة ملايين وسبعماية الف نسمة

شبه جزيرة العرب — وتقسم شبه جزيرة العرب الآن الى عشرة اقسام وهي الحجاز واليمن وعسير ونجد وحضرموت وعمان والقطر والبحرين والكويت وبادية الشام

(١) الحجاز — بلاد واقعة غربي جزيرة العرب بين اليمن وعسير واشهر مدنها مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة والطايف وليث وينبع واشهر اسرها وقبائلها الشرفاء وهم سلالة الشريف ابي نمي القرشي وقريش وهذيل وسبيع

والبقوم وبنو مالك وابن الحارث والحجادلة وفهم وحرب وبنو سالم وبنو مسروح وعُتيبه وسُليم ومطير وثقيف وجهينه وغيرهم

(٢) اليمن — تقسم بلاد اليمن الى قسمين : جبل وتهامه فاشهر مدن جبل صنعاء ومناخة وعمران وذمار وأشهر مدن تهامه بيت الفقيه وباجل وزبيد . وفي اليمن مواني عديدة اشهرها الحديدة

واشهر قبائل اليمن حاشد وبكيل والعود والشعر وعمار وبنو الاهدل والجرائح والزرانيف وغيرهم

(٣) عسير — وبلاد عسير قسمان أيضاً تهامه وجبل فاشهر مدن تهامه صبيا وأبو عريش واشهر مدن جبل ابها ومحايل ورغدان والنماص . وفي بلاد عسير مواني عديدة أشهرها قنفده وجيزان واشهر قبائل عسير غامد وزهران وشمران وخثعم والمحلف ومعاوية وبنوسلول وبنوشهر وبنو عمرو وزبيد وقحطان وشهران وربيعه وكنانة وبنوقيس وبنو مروان وبنو عبس وبنو زيد وبنوشهاب وبنوحسن وغيرهم

(٤) نجد — وتقسم نجد الى ثلاثة أقسام الاول العروض او العارض او الرياض حيث امارة ابن السعود والثاني الجبل أو جبل شمر أو جبل طي وعاصمتهُ حائل وهو امارة ابن الرشيد . والثالث القصم وهو عبارة عن امارتين امارة آل سليم وامارة آل مهنا

(٥) حضرموت — بلاد واقعة بين اليمن وعمان . فالبلاد المجاورة لليمن عبارة عن سلسلة من الاكام اعلى قة فيها ترتفع عن سطح البحر نحو ٢٤٠ متراً . والبلاد المجاورة لعمان عبارة عن سهل واسع . وحضرموت بلاد خصبة وكثيرة المياه اهم موانيها ومدنها المكلّة والشحر وشبام وتريم ومريط وسجه واهم قبائلها آل ابو زيد وآل أبو رشيد وآل مرعي والعوامر والعوايثة وبنو تميم

(٦) عمان — بلاد واقعة الى الجنوب الشرقي من شبه جزيرة العرب عاصمتها

مسقط وسلطانها تيمور بن فيصل وتقسم اداريا الى تسع مقاطعات وهي قطر وشرجه وراس الجبل وباطنه وجبل اخضر (مسقط) وظهيره وسور وجبلان وظفار وعدد سكانها نحو مليونين واهم مدنها مسقط وسور والبيضاء وشوه ورستاق

(٧) القطر — بلاد واقعة الى الشمال الشرقي من شبه جزيرة العرب مساحتها السطحية ٤٣ الف وخمس مئة كيلومتر مربع واهم مدنها البداع وكره واميرها الحالي عبد الله بن قاسم

(٨) البحرين — يطلق هذا الاسم على بلاد واقعة بين عمان والاحسا وعاصمتها هجر وعلى جزائر في خليج العجم أميرها الحالي الشيخ عيسى آل خليفة

(٩) الكويت — ميناء بحري على خليج العجم وامارة مستقلة أميرها الحالي الشيخ جابر الصباح بن الشيخ مبارك الصباح المتوفي في اواخر سنة ١٩١٥

(١٠) بادية الشام — أو بادية الشام والعراق وتسكنها قبائل شتى أهمها الرولا وشيخها نوري الشعلان واولاد علي وشيخهم رشيد بن سمير وبنو صخر والحلف وغيرهم فى بادية الشام وعنزه وشيخهم الاكبر فهد بن عبد المحسن وطي وشمر وزبيد والاماره وبنو لام وغيرهم في العراق

وفي شبه جزيرة العرب صحاري واسعة لا تزال مجهولة الى الآن ولا يعرف احد بالتدقيق عدد العرب فى شبه الجزيرة ولكنهم على كل حال لا يقلون عن ٢٥ مليون نسمة

نبذة تاريخية (١)

العرب من الامم السامية (نسبة الى سام بن نوح) فنهم امم بادت بانقراض العصور الاولى واشهرهم عاد وثمود وطسم وجديس ومنهم امم بقيت هم بنو قحطان وبنو عدنان ، فالقحطانيون ويسمون بالعرب العاربة هم بنو يعرب بن قحطان

(١) من مقالة لمجلة فتاة الشرق الصادرة في ٢٠ اكتوبر سنة ١٩١٦

الذي يقال انه اول من تكلم بالعربية واتخذ بلاد اليمن مسكناً . اما العدنانيون فينسبون الى اسماعيل بن ابراهيم . وكان ابراهيم قد انزل ولده اسماعيل مع امه هاجر بمكة وبنى البيت الحرام فكثر نسله هناك

مدنية العرب قبل الاسلام — كان للعرب مدنية عظيمة قبل الاسلام في اليمن والحيرة والشام والحجاز . ففي اليمن كانت قاعدة الملك صنعاء وكان المالكون فيها اقيال حمير . ومن ملوك حمير بلقيس وكانت معاصرة لسليمان بن داود ملك بني اسرائيل باورشليم

وكان ببلاد اليمن قصور عظيمة منها قصر غمدان بظاهر صنعاء وله غرف شهيرة يسمونها المحاريب وهو محكم البناء بديع الصنع

واما في الحيرة فكان الملوك من لخم احدى قبائل اليمن التي وصلت بعد سيل العرم ومن اعظم ملوكهم جذيمة الابرش والنعمان بن امرىء القيس وهو الذي بنى قصر الخورنق وقصر السدير وهما من اعظم المباني العربية

اما في الشام فكان الملك في آل غسان وهم من قحطان رحلوا من اليمن بعد سيل العرم واول من تولى الشام منهم جفنة بن عمرو وهو الذي تنسب اليه ملوك الغساسنة فيقال آل جفنة .

وبنى جفنة بالشام مصانع عديدة . وتعاقب ملوك غسان على الشام وما والاها واتسعت مدنيتهم وعظم عمرانهم

اما في الحجاز فكان التقدم والرياسة لقريش ولكنهم لم يكونوا يسمون ملوكاً

وهكذا بقية القبائل العربية فانهُ لم يكن لهم ملوك وانما كان لهم رؤساء ومشايخ وقضاة . وكلما كان الرئيس اقدم محتداً واوسع ثروة كان احترامه اعظم وكان مُعظم العرب اميين لا يقرؤون ولا يكتبون بل يعتمدون على

حفظهم في حفظ الخطب والاشعار الى ان اخذوا الخط من الامم المجاورة وآخر من وصل اليهم الخط عرب الحجاز . ثم ساعد الاسلام بعد ذلك على نشره بين الافراد . ولذلك لم تكن للعرب في ذلك العهد علوم مدونة وانما كانت عندهم محفوظات يتوارثونها تقليداً

العرب بعد الاسلام — سار العرب بعد الاسلام في خمسة عصور مختلفة بالنسبة الى الانقلابات السياسية والاجتماعية التي مرت بهم

(١) عصر الخلفاء الراشدين — وهو يمتد من وقت ظهور الاسلام الى سنة ٤١ هـ وفيهِ تهذبت اللغة بوجود القرآن الشريف وما فيهِ من فصاحة و بلاغة وكثرت مسمياتهـا واصطلاحاتها لاختلاط العرب بالامم الاخرى التي افتتحوا بلادها وامتزجوا باهلها.واثر هذا الاختلاط في نفوسهم وآدابهم ولكن ثمار هذا التأثير لم تنضج الا في عصر الامويين

(٢) العصر الاموي — وهو من سنة ٤١ الى سنة ١٣٢ هـ اذ كانت الدولة العربية في حوزة الامويين بالشام منذ بويع معاوية بالخلافة سنة ٤١ هـ . حتى قهرهم عليها العباسيون سنة ١٣٢ . وقد احدث انتقال الدولة العربية الى بني امية انقلاباً عظيماً في التاريخ العربي . فقد كانت في زمن الراشدين خلافة فصارت في عهـد الامويين ملكاً وكانت شوروية فاصبحت أرثية . وانتقلت كرسي الخلافة الى الشام فاوجب ذلك احتكاكها بالدول الاخرى فاقتبس أهلها تمدن الامم المجـاورة وعلومهم وأوجدوا تمدناً خاصـاً بهم و وضعوا علوماً وآداباً اقتضاها ذلك التمدن . وفي جملة ما وضعوهُ علم النحو لان الفساد كان قد تطرق الى اللغة بمخالطة الاعاجم فوضعوا قواعد لضبطها ، واهتموا لتدوين التاريخ في اللغة العربية. وأول ما شرعوا به كان التاريخ الاجنبي وقصدهم به فائدة الخلفاء واطلاعهم على أحوال الامم الاخرى ليقتبسوا من أخبارهم كل محمدة

وقد أزهر الشعر في زمن الامويين وارتقت الخطابة وراجت سوق الادب وكثر الشعراء ونظموا في كل باب

وفي عصرهم وضع الفقه والتفسير والنحو وفيهِ رسخت اللغة العربية وضبط الخط وفيهِ بدىء بنقل العلوم الطبيعية الى اللغة العربية

(٣) العصر العباسي – وهو من سنة ١٣٢ الى سنة ٦٥٦ هـ . أي مدة خمسة قرون ونيف . وقد تقلبت الاحوال فيها على ما اقتضتهُ السياسة والاجتماع

ففي القرن الاول بلغت الدولة العربيه قمة المجد والسيادة والثروة . وساعد خلفاؤها على انتشار العلم واكرام العلماء والادباء . فنبغ عندهم النحاة واللغويون والمؤرخون والشعراء والفقهاء والمفسرون والمحدثون والفلاسفة والاطباء . وعلى الجملة فان الدول العربية لم يكن لها مثيل في العالم قاطبة من حيث العدل في الاحكام والاهتمام لامور المملكة وتفاني الخلفاء في الحرص على رفاهية شعبهم وصيانة مصلحتهِ وترويج العلم والادب بين أفرادهِ

وجعل العباسيون عاصمة ملكهم بغداد على حدود بلاد الفرس الذين كانوا قد نصروهم في حروبهم . وجعلوا اكثر وزرائهم وقضاتهم ورجال حكومتهم من الفرس بعد ان كان كل رجال الدولة في أيام الامويين من العرب. والفرس أهل مدنية قديمة وكانوا يومئذ في نهضة علمية بدأت في زمن كسرى انوشروان فكان البرامكة يساعدون أهل العلم ويبذرون الاموال بسخاء استحثاثاً لقرائحهم فكانت لهم بذلك أياد بيضاء في نقل العلم القديم الى العربية

أما في القرن الثاني فقد تسلط الاتراك على أمور الدولة واستبدوا بالاحكام وقد بدأ استبدادهم في أيام المتوكل على الله الذي كان يكره الشيعة العلوية وهم من الفرس فاستبد المتوكل فيهم وقرّب الاتراك منهُ لينصروهُ عليهم فطمعوا به ثم اتفقوا مع ابنهُ المنتصر على قتلهِ فقتلوهُ وكان ذلك أول جرأتهم على الخلفاء. واستفحل

أمر الاتراك بعد ذلك وزادوا استبداداً وبطشاً واصبح الخلفاء آلة في أيديهم

وفي القرن الثالث دالت دولة العرب في الشرق ، أما الاندلس فكانت في أوج الرقي والثروة وقد راجت فيها سوق الادب ونبغ العلماء والكتاب والشعراء والادباء والفلاسفة والصناع الماهرون .وكان في قرطبة ـ عاصمة الملك في الاندلس ـ مكتبة عظيمة لم يكن في العالم مثلها.فقد ذكر ابن خلدون والمقري انها كانت تحوي ٤٠٠٠٠٠ مجلد . ومتى كانت البلاد على مثل هذا الرقي العلمي فلا عجب ان بلغت الدرك الاسمى من العمران والفلاح

وكذلك مصر في عصر الدولة الفاطميـة العربية فانها نالت حظاً من الفلاح والرفاهية لم يكن لها مثله في زمن من الازمان

الا ان الحال لم تكن على هذا المنوال في البلاد التي دخلها الاعاجم حيث اخذ الفساد يتطرق الى الاحكام بما بثته المنازعات والتحزبات من بذور الشقاق والتخاذل . فتفرق رجال الاحكام شيعاً واحزاباً وكان من وراء تفرقهم ان استظهر عليهم اعداؤهم فتضاءلت سلطتهم شيئاً فشيئاً ودالت دولتهم وانكمش ظل ملكهم في بقع صغيرة من الارض بعد ان كانوا قد بسطوا سلطانهم على بلاد العرب وسورية جملة ورفعوا اعلامهم من ضفاف الكنج شرقاً الى شواطىء البحر الاتلانتيكي غرباً ومن ضفاف نهر لوار شمالاً الى اواسط افريقيا جنوباً واحتلوا جانباً من بلاد الروم وانتشر اريج فتوحاتهم وانتصاراتهم في انحاء الارض شرقاً وغرباً

وقد نتج عن ذلك تفرق العلماء والادباء هرباً من الظلم والاستبداد للاعداء الذين قهروهم واخذوا يصبون عليهم جام تعصبهم وانتقامهم فخبا بذهابهم ضياء العلم واظلم وجه المدنية وتسرب اليأس الى القلوب

وفي القرن الرابع ظهرت الدولة السلجوقية فلم تكتف بان تكون فرعاً للدولة العباسية بل ظهرت بمظهر الدولة المستقلة وقد ساعدها على ذلك

انقسامات الدولة العباسية فاكتسحتها وبلغ اتساع المملكة السلجوقية من حدود الصين الى آخر حدود الشام . ودخلت بغداد في قبضة يدها سنة ٤٧٠ هـ.

وفي هذا العصر ايضاً دالت دولة الاندلس وانقسمت الى امارات صغيرة فضعف العرب فيها وجعل الافرنج يغتنمون ضعفهم ويسترجعون بلادهم الى ان ذهبت جميعها من ايديهم وفرّ آخر ملك من ملوك الاندلس في سنة ٨٩٧ هـ . وهو ابو عبد الله بن علي

وعند سقوط دولة العرب بالاندلس كانت دولة الاتراك على أشد ما يكون من قوتها وأبسط ما يمكن من سلطانها فلم تأخذ بيد أولئك التعساء بل وقفت مكتوفة الايدي تنظر بارتياح الى ما يجري من ثل عروشهم حتى يتفرد الاتراك بالسلطة والخلافة على المسلمين . ولا بأس من ان نورد في هذا المقام ما عاتب به الاتراك في مرثيته للاندلس أبو البقاء الرندي اذ يقول :

يا راكبين عتاق الخيل ضامرة ... كأنها في مجال السبق عقبان
وحاملين سيوف الهند مرهفة ... كأنها في ظلام النقع ميزان
وراتعين وراء البحر في دعة ... لهم بأوطانهم عز وسلطان
أعندكم نبأ من أهل أندلس ... فقد سرى بحديث القوم ركبان
كم يستغيث بنا المستضعفون وهم ... قتلى وأسرى فما يهتز انسان
ألا نفوس أبيات لها همم ... أما على الخير أنصار وأعوان

وفي القرن الخامس تفاقم خطب العرب ولا سيما بعد الحروب الصليبية التي أثارها الفرنج على سورية وفلسطين

وفي اوائل القرن السادس ظهر جنكيزخان القائد المغولي وحمل على الممالك الاسلامية وكانت حينئذ مقسومة الى اتراك وعرب فاكتسحها وخرّب اكثر مدنها واحرق مكاتبها ومثّل باهلها تمثيلاً فظيعاً . وجاء من نسله هولاكو ففتح

بغداد وقتل خليفتها المستعصم سنة ٦٥٦ وفر من نجا من العباسيين الى مصر فانتقلت الخلافة العباسية اليها

(٤) العصر المغولي – وهو من سنة ٦٥٦ – ٩٢٣ . أي نحو ثلاثة قرون كان العالم الاسلامي فيها تحت حكم المغول والترك والعرب. امتدت سلطة المغول فيهِ من حدود الهند شرقاً الى حدود سوريا غرباً. وحكم الترك من حدود سوريا شرقاً الى حدود مصر غرباً وساد العرب في ما وراء ذلك غرباً الى شواطىء الاتلانتيك وفي اليمن

وكانت مصر والشام حينئذ فى حوزة المماليك وهم أتراك وشراكسة ابتاعهم فى أول الامر السلطان الصالح نجم الدين أيوب وقربهم اليهِ ليكونوا لهُ عوناً على أعدائهِ فتكاثروا وعظم شأنهم رويداً رويداً وأخيراً استأثروا بالاحكام وظل الملك فى يدهم نحواً من ١٣٢ سنة

وكانت اسيا الصغرى في حوزة الترك. وكانت العراق وفارس في سلطة المغول

وفى آخر هذا العصر دالت دولة الاندلس على ما قدمنا وانحصرت سيادة العرب فى اليمن والمغرب وكانت اليمن امارات صغيرة فى زبيد وصنعاء وعدن .أما المغرب فتولتهُ دول صغرى في تونس والجزائر ومراكش بعضها عرب وبعضها بربر

(٥) العصر العثماني – نشأت الدولة العثمانية باسيا الصغرى في اثناء العصر المغولي ولما قويت شوكتها فيها اجتاز العثمانيون البحر الى أوربا ففتحوا القسطنطينية سنة ٨٥٧ هجرية (١٤٥٣ مسيحية) واكتسحوا ممالكها واماراتها حتى حاصروا فينا ورفعوا أعلامهم على شبه جزيرة البلقان

فلما اضطربت سياسة مصر وفسدت فيها الاحكام حمل السلطان سليم عليها وعلى الشام ففتحهما وألحقهما بالبلاد العثمانية سنة ٩٢٣ هـ

واستوى سلاطين آل عثمان على عرش الخلافة من ذلك الحين

وكانت الحكومة العثمانية من نوع الحكم المطلق أشبه ما يكون بحكم الطغاة ارادة السلطان فيه فوق كل ارادة فينقض ويثبت ما شاء من الاحكام وليس ثمت قيد ولا معارض

ونشط سلاطين آل عثمان في بدء حكمهم الى زيادة الفتوحات وتوسيع المملكة حتى سنة ٩٧٤ هـ . أي الى أواخر عهد السلطان سليمان الثاني . ومنهُ أخذت قوة العثمانيين تضعف بما كان منهم من القسوة في معاملة الامة وقلة التدبر في تنظيم أحوال المملكة والجيش. فتالبت عليها القوات الاوربية من جهة ونخرت الفتن قلبها من جهة أخرى فاصبحت حالها فوضى وزاد استبداد السلاطين في الرعية وجعلوا يتساهلون مع الدول الاجنبية باعطائها بلادهم شطراً شطراً مقابل احتفاظهم بقسم من مملكتهم ولسان حالهم يقول : لندع الاهتمام لمن يأتي بعدنا أما نحن فننعم بما في أيدينا

كل ذلك والعرب يرون بأم عينهم بلادهم تتجزأ وخلافتهم تضعف فلا يحركون ساكناً مع انهم أولى الخلق ببغض الاتراك واحقهم بالانتقام منهم ، كيف لا وهم مغتصبو ملكهم وخاربو ديارهم ومبيدو آثارهم والقاضون على لغتهم. ولكنهم أدركوا بعين بصيرتهم ما يتهدد بلادهم من الضياع وما يحيط بها من اطماع الدول الاجنبية فبدلاً من أن يثوروا على الاتراك ويساعدوا على امتداد لهيب الفتن الداخلية التي تؤدي الى اضعاف الدولة بحيث يسهل على الدول الاخرى ابتلاعها جعلوا يعاونون الاتراك باخلاص ، ويعضدونهم بما وصلت اليهِ أيديهم وافكارهم من قوة ومواهب ، راضين من حظهم في حكومتهم بالاحتفاظ بدينهم وما بقي من قوميتهم ولغتهم أن تتناولهُ أيدي الفناء

ذلك كان السبب في صبر العرب على الاتراك قروناً طويلة الى ان استلم

الاتحاديون زمام الاحكام وبدأوا يتصرفون فيها على ما يرضى اهواءهم ومطامعهم غير مكترثين لمصالح المملكة والامة . فهاج هائج الغضب في صدور العرب حينئذ وأخذوا يتدبرون فيما يجب عمله انقاذاً لكيانهم من انياب الكواسر

ولحظ الاتراك منهم نظرات الانتقاد وعدم الرضى عن خطتهم فاخذوا يضطهدونهم ويبطشون بأبطالهم الذين يخشون شرهم بغية أن تتوزع قوة العرب فلا يبق عليهم ثمت خوف منهم

على ان ذلك زاد العرب قوة وثباتاً في الدفاع عن كيانهم ورد غارة الايذاء عن قوميتهم ولغتهم . وهكذا اذا كانت النفوس كباراً فكلما زيدت ظلماً تمردت على الضيم واستبسلت في سبيل الذود عن حريتها واستقلالها

العرب والترك

(في الماضي)

ان البركان العظيم الذي انفجر في شبه جزيرة العرب فاد له الاسلام طرباً أخرج للعالم حادثاً جللاً في طليعة حادثات هذا العصر وقف التاريخ عنده ورمقه الدهر . ذلك ان امتين شقيقتين من اعظم ام الشرق افترقتا بعد اتحادهما الطويل افتراقاً سياسياً ابدياً لا لقاء بعده الا في ميادين القتال . فالامة العربية صاحبة القرآن الكريم وحامية الكعبة الشريفة ودرع الاسلام المتين انفصلت عن الامة التركية التي كفر زعماؤها بالقرآن واحتقروا الكعبة ولطخوا الاسلام بالعار بعد ما تصافتا قروناً كان للترك غنمها وعلى العرب غرمها

وليس ذلك الحادث ابن يومه بل هو نتيجة انقلابات طرأت على الافكار في السنوات الاخيرة فحررتها من قيود التعصب الديني وجعلتها تنضم جملة تحت لواء الجامعة القومية والغيرة الوطنية . فغيرت بذلك كل اعتقاد سياسي واجتماعي

واظهرت للعرب كافة ان اتفاقهم مع الترك كان شراً عليهم لانهُ لم يكن قائماً على اساس القومية . فنشطوا لفصم تلك الصلات والظهور بمظهرهم الفطري شعارهم الحرية ورائدهم الاستقلال.ولا بدع فالعرب باعتراف العالم المتمدن وشهادة التاريخ العادل قوم تفردوا بمكارم الاخلاق وطيب الاعراق ونبل الصفات وعلو الهمة والذكاء والشجاعة والشمم .يشهد لهم بذلك ماضيهم المجيد ومدنيتهم الزاهرة.فامة هذه فطرتها ومزاياها لم تكن لتسقط الى دركات الجهل والانحطاط ويضرب المثل بضعفها وتفرق كلمتها لولا النير التركي الذي حملتهُ عن طيبة خاطر الى الآن باسم الوطنية والدين فارهقتها المظالم وغشيتها المغارم

امتزج التورانيون (١) بالعرب الكرام فاعتنقوا ديانتهم واقتبسوا شيئاً من آدابهم فكان فضل العرب عليهم عظيماً فى انتشالهم من وهدة الجهل والهمجية والضلال . وقد كان التورانيون قبل الاسلام قبائل شيمتها الغدر والاغتيال وارتكاب المعاصي وسفك دماء الابرياء الى غير ذلك مما فطروا عليه ولا تزال منهُ بقية فى نفوس فريق من احفادهم

تربع الترك التورانيون فى دست الاحكام بفضل العرب الذين سلموهم زمام الملك الاسلامي المترامي الاطراف ونهضوا بهم من دركات الذل الى مصاف الغزاة الفاتحين واكتسحوا لهم الممالك ودوخوا الاقطار.وامتلكوا باسمهم الامصار . فلم يفقه الترك للحكم معنى الا شن الغارات على الآخرين وتخريب مدنيتهم واخضاعهم بالسيف . وقدقام الاسلام على اساس العدل والمساواة والعلوم والآداب فى عهد العرب . فلماجاء الترك تغيرت الحال فساد الجهل وعم الفساد. قتلوا الفنون والآداب الشرقية والغربية وقضوا على مدنية الامم التي حكموها فما ابقوا لمدينة العرب اثراً ولا عيناً ومحوا العلوم حتى العلوم الاسلامية فراجت

(١) قوم يفاخر الاتحاديون في الانتساب اليهم

السخافات والشعوذات في دولتهم وصار العالم والتقي يعرفان في بلادهم بطول اللحية وكبر العمة

***

فقد العرب باتحادهم مع الترك استقلالهم السياسي ومدنيتهم الزاهرة وكادوا يفقدون قوميتهم ودينهم ولغتهم بعدما نهبت اموالهم وخربت ديارهم واقفرت بلادهم وضرب الجهل اطنابهُ بينهم فصار اسمهم محتقراً ودينهم مهاناً . ونظر الغرب الى ما حل بالشرق في عهد الترك فالقى تبعة ذلك على الاسلام والعرب معاً وقال « ان الاسلام عقبة في سبيل الحضارة والارتقاء وان العرب اليوم ليسوا عرباً بل هم رفات العرب البالية »

ولا حاجة بنا في هذا المقام الى تعداد مساوى الحكومة التركية وبيان ما اضاعه العرب بدخولهم في الجامعة التي لقبوها بالجامعة العثمانية تمويهاً للحقيقة وخدعة للعناصر الغير التركية . فاذا شاء القارىء ان يعرف شيئاً من ذلك فليراجع التاريخ التركي نفسهُ منذ دخول هولاكو الى بغداد وحرق مكاتبها وآثارها وذبح سبعماية الف من سكانها (١) الى سقوطها بيد تيمورلنك الذي محا كل أثر للمدنية فيها ، الى انقراض دولة الاندلس التي ابى الترك امدادها... الخ الخ الى ما يفعلهُ الاتحاديون اليوم في سوريه والعراق !!!

هذا قسط العرب من الشركة العثمانية وذلك قسط الترك منها وشتان بين القسطين . فلا عجب والحالة هذه من انفصال العرب عن الترك بل العجب كل العجب من عدم انفصالهم عنهم حتى الآن ان لم يكن من اجل العرب فمن اجل الاسلام على الاقل وقد قال (صلعم) « اذا ذلت العرب ذل الاسلام »

---

(١) راجع الجزء الثاني من قاموس الاعلام صفحة ١٣٢٥ للمؤرخ التركي الكبير ش. سامي بك

وليس موضوعي الآن درس المسألة العربية درساً تاريخياً دقيقاً وايقاف القارىء على الادوار التي مرت بها منذ سلم العرب زمام الملك الاسلامي الى الترك . فذلك ما يطول شرحهُ ويحتاج الى مجلدات وانما غايتي الوحيدة البحث فى الدور الاخير الذي مرت بهِ هذه المسألة بحثاً تاريخياً اجمالياً لاظهار الاسباب الخطيرة الشأن التي اضطرت العرب الى الانفصال عن الترك واعلان الحرب على دولة الاتحاديين

ان المسألة العربية قديمة العهد وكره الترك للعرب معروف عند الخاص والعام فى كل زمان ومكان كما يظهر للقارىء من مراجعة التواريخ ولا سيما تواريخ العرب وكتبهم واشمارهم القديمة والحديثة . ولكن العرب اخلصوا للترك كل هذه القرون مع علمهم بما يضمرونهُ لهم من الشر لاسباب جوهرية أهمها رغبتهم فى رفع منار الاسلام والمحافظة على كيانهم القومي . وقد كانوا والحق يقال حتى الزمن الاخير متمتعين بحرية القول واستقلال العمل فى بلادهم وغير شاعرين بسلطة الترك عليهم الاّ بصورة اسمية فكانت لغتهم وعاداتهم وتجارتهم وكل ما لهُ صلة بحياتهم الاجتماعية حرة مستقلة .وظل زعماؤهم ورؤساء الاسر القديمة فيهم يحكمونهم ويديرون شؤونهم فى زمن الحرب والسلم الى أواسط القرن الماضي فجاء عالي باشا الصدر الاعظم المشهور حينئذ ودبر مذابح سنة الستين رغبة منهُ فى حمل أوربا على الدخول في الامر دخولاً فعلياً يمكّن حكومة الاستانة من القضاء على نفوذ زعماء العرب وادارة شؤون بلادهم كمستعمرة تركية . وقد نجح فى دسيستهِ نجاحاً باهراً فما ابتدأت المذبحة وانزلت فرنسا جيشاً في سورية حتى قامت الدولة وتعهدت لاوربا بمعاقبة المجرمين عقاباً صارماً.وكانت النتيجة انها شنقت اعيان الشام وذلت الاشراف فيها . فغيرت نظام البلاد واستأثرت بالحكم.فادركت الغاية التي كانت تتوخاها

وجاء بعد ذلك عبد الحميد فاستمال فريقاً من العرب اليه بتعيين بعض العرب في مناصب عالية في الدولة وكان الفريق الآخر أو فريق الاحرار شريداً طريداً خارج البلاد العثمانية مع بعض أحرار الترك. فتفاهم احرار العرب والترك وأسسوا جمعية تركيا الفتاة. وكان احرار العرب يعتقدون ان حكومة عبد الحميد بؤرة كل فساد في المملكة العثمانية وان اعلان الدستور يبعث في هذه المملكة حياة جديدة ترفعها الى مصاف الدول الحية الراقية. فوجهوا كل عنايتهم الى هذه الغاية وتناسوا كل شيء في سبيل تحقيقها

العرب والاتحاديون

(بعد الدستور ١)

كانت الامة العثمانية قبل اعلان الدستور العثماني على مستوى واحد من حيث الظلم الذي كان ينالها من الحكومة المطلقة لا فرق بين مسلمها ومسيحيها وتركيها وعربيها. ومن شأن الحكومات المطلقة أن تساوي بين رعاياها في الظلم كما انهُ من شأن الحكومات الدستورية أن تساوي بين شعبها بالعدل. فالامة العثمانية كانت سواء بالشكوى قبل الدستور ولم تكن سواء بالشكر بعده

ان الاستبداد من طبيعتهِ تخدير القوى الجامعة وتقطيع وشائج الصلة بين ابناء الوطن الواحد لكي تُبن الامة عن مناهضة السلطة المطلقة وتذل لعباد الشهوات من زعماء هذه السلطة. كما ان سلطة الامة من طبيعتها تنبيه القوى الجامعة وربط اواصر الاخاء الوطني وبث روح الانفة في النفوس لتساق الى مستوى التكامل العام القائم على أساس الحرية والآخاء والمساواة تحقق طبيعة الاستبداد في الامة العثمانية على عهد الحكومة المطلقة

(١) اخذ هذا البيان من رسالة سياسية لم تنشر لزعيم من اكبر زعماء العرب

ولم تتحقق طبيعة سلطة الامة في عهد الحكومة الدستورية فلم يستبدل الضعف والتقاطع والتخاذل والذل والرضوخ لسلطة الفرد بالقوة والاتحاد والعزة وتحقيق سلطة الامة والتكافل العام على توطيد دعائم الحكومة الدستورية حكومة العدل والحرية والآخاء . فنشأ عن ذلك يأسٌ عظيم من الاصلاح وسوء ظن متبادل بين العناصر العثمانية ولا سيما العنصرين الكبيرين العرب والترك

اسباب سوء الظن بالعرب — والغريب في الامر ان شبان الترك انفسهم هم الذين جعلوا الترك يسيئون الظن بالامة العربية ولا سيما الطبقة العالية فيها . ذلك ان هؤلاء الشبان الذين لجأوا الى مصر على عهد مجيء مراد بك الداغستاني اليها (سنة ١٣١٤ هجرية) دبروا مع بعض المقامات العالية مكيدة لارهاب عبد الحميد وحمله على اعادة القانون الاساسي .وتلك المكيدة هي تخويفهُ من خلافة عربية وتصوير تلك الخلافة له في صورة الحقيقة.فلم تنجح معهم هذه المكيدة ولم تزدهُ الا وساوساً فوق وساوسهِ

وكان من اثر شيوعها بين الناس ان جعلها ذوو الاغراض وسيلة للاستفادة من وساوس عبد الحميد فكرروها على المسامع الى ان احدثت أثراً سيئاً في الامة التركية حتى في الذين اختلقوها انفسهم اذ صار مثلها ومثلهم كمثل اشعب الذي ضايقهُ الصبيان مرة في الشارع فتخلص منهم بان قال لهم « فلان يوزع الآن نقوداً على الجمهور » ثم ما لبث ان قال في نفسهِ بعد ذهابهم « ما ادراني ان هذا الامر صحيحاً » ثم اندفع وراءهم راكضاً ليأخذ نصيبهُ

فهذه الشكوك وامثالها التي خالجت الترك في نيات العرب والعناصر العثمانية الاخرى جسمت للاتحاديين صورة الخطر على سيادة عنصرهم فاوجسوا خوفاً واستعجلوا في القيام على عبد الحميد تخلصاً من شرهِ وانقاذاً للسلطة من يديهِ.

وقد وفقوا لنيل هذه الامنية بمساعدة زعماء العرب وضباطهم واحرارهم والمخلصين للدولة العثمانية من أبناء العناصر الاخرى

* * *

أعلن الدستور في ١٠ تموز (٢٣ يوليو) فقابله العرب بحماسة عظيمة وتناسوا كل شيء حتى قوميتهم في سبيله وانضموا الى الترك قلباً وقالباً اعتقاداً منهم بانه لم يبق في الدولة عرب ولا ترك ولا ارمن ولا كرد بل صاروا كلهم عثمانيين متساوين في الحقوق والواجبات واتجهت انظارهم الى جمعية الاتحاد والترقي اتجاهاً لم يعهد له مثيل في تاريخ الانقلابات

فماذا جرى بعد ذلك العطف الشديد والسرور العام من صنيع جمعية الاتحاد والترقي واجماع العناصر العثمانية كلها على الوفاق وتناسي الاحقاد الماضية ليسيروا في طريق حياتهم الجديدة حياة الاخاء والحرية والمساواة؟ ماذا جرى حتى انقلب هذا كله الى انشقاق وافتراق وتنافر وشحناء وجلبة واستياء؟ وكيف لم تحسن الجمعية الانتفاع بتلك القوة الهائلة قوة عطف العناصر عليها وتعاونهم على تعضيدها تأييداً لمبادىء الحرية التي نادت بها يوم اعلان الدستور؟

ان الامة العثمانية صارت كلها كتلة واحدة مع الاتحاديين لما اظهروا انهم معها ولكن لما انفردوا عنها فارقتهم وعادت الى الانقسام على نفسها باشد مما كانت عليه في عصر الاستبداد

انفصل الاتحاديون عن الامة وصاروا في شق وهي في شق آخر منذ تظاهروا بالنعرة الجنسية وأعلنوا ما كانوا يضمرونه من الاستمساك بمبدإ سيادة الترك لسائر العناصر العثمانية فنبهوا بذلك العصب الحساس في العثمانيين كافة فابتعدت قلوبهم عنهم وعادت روح الجنسية الى صدورهم وهبت ريح التنافر والشقاق على البلاد العثمانية من تخوم أوربا الى شواطىء البحر الاحمر

هذا الخطأ مع ما أضيف اليه من الاغلاط التي صدرت من حزبهم ولا سيما استعمال سياسة الشدة والعنف مع الشعوب العثمانية الاخرى كان السبب الثاني لاضطراب الجامعة العثمانية . لان هذه الشعوب شعرت بتغير مسلك الاتحاديين تغيراً غير منتظر من حزب كان يعد نفسهُ حامي الحرية ومقدر سلطة القانون وهادم أركان الاستبداد. فاخذ سوء الظن يعود الى النفوس والثقة المتبادلة تضعف وتزول

بدأ ذلك منذ جعلت الحكومة الاتحادية القوة قاعدة لاصلاح الشعوب العثمانية وأخذت تعقد القروض في اوربا وتنفقها على الجيش لتضرب به العناصر غير التركية ولا سيما العرب والالبان والكرد الذين كانوا أخلص العناصر لها واشدهم تمسكاً بها . ولم يعهد في تاريخ من تواريخ الامم والحكومات اصلاح بغير طرق الاصلاح القانونية ونواميسهِ المدنية وأهمها نشر العلم وتعميم المعارف ووضع قواعد العدل على أساس وطيد الاركان وانماء موارد الثروة العمومية بالانفاق على الامور النافعة وحماية التجارة وتنشيط اهلها وغير ذلك من ضروب الاصلاح التي هي اصل ترقي الامة وسعادتها ومجدها وعلة التفافها حول حكومتها وتفانيها في سبيل الذب عنها

اما هذا الضرب من الاصلاح أي الاصلاح بالسيف وجعل المملكة ميداناً لسفك الدماء فلم يعرف في تاريخ من التواريخ وانما كان ميراثاً ورثهُ الاتحاديون عن أجدادهم التورانيين . فاساءت الدول المتمدنة الظن بهم من ذلك الحين ورفضت ان تقرضهم المال بغير مراقبة أجنبية على مالية الدولة

وهذه الاغلاط الكبيرة فى سياسة حزب الاتحاديين انتقدتها الاحزاب البرلمانية كلها حتى جماعة من الاتحاديين انفسهم كالدكتور رضا توفيق المعروف بالفيلسوف وغيره. ومما قالهُ الدكتور رضا توفيق فى هذا الشأن سنة

١٩١٠ لمحرر جريدة بروجهدي سلانيك : « انا على اتفاق تام مع الجمعية على ان البلاد في حاجة الى حكومة قوية ولكني أخالفها في استخدام القوة واذا كان وجودي في المجلس قضى عليّ بان أحمل ثلي طلعت بك الممثل الاكبر للجمعية في الوزارة وصديقي ورفيقي منذ الساعة الاولى في جمعية الاتحاد والترقي فذلك لاعتقادي بان الواجب عليّ أن أفعل ما فعلت ولو سكت كغيري لكان ذلك خيانة لا يغتفرها الوطن لي . ان الدستور لا يكون الا كلمة لا معنى لها اذا لم تحترم الحرية السياسية والحقوق الاساسية وحرية القول والكتابة والخطابة واذا لم تعامل العناصر كلها معاملة واحدة بمقتضى أحكام الدستور »

شروع الاتحاديين بمناهضة العرب — علمنا مما سبق ان سياسة الاتحاديين هي التي نبهت الفكرة القومية في العناصر العثمانية وان جمعية الاتحاد والترقي اذا انتحلت عذراً لسوء ظنها ببعض العناصر ولا سيما العناصر المكدونية فلا عذر لها على سوء ظنها بالعرب الذين أخلصوا لها قبل اعلان الدستور وبعده. ولكن هذه الجمعية بدأت باضطهاد العرب قبل كل الشعوب العثمانية فضربت بذلك أول معول في أساس الوحدة العثمانية والجامعة الاسلامية

ذلك ان العثمانيين هبوا بعد اعلان الدستور كمن افلت من عقال واطلق من سجن مظلم فما لبثوا ان رأوا نور الحرية حتى جعلوا يؤلفون الجمعيات والمنتديات لبث روح التعاون في الامة فالف الالبان جمعية في الاستانة وعقبهم الشركس والكرد . وكان للروم والارمن جمعيات منظمة سرية فجعلوها قانونية واقتفى العرب اثرهم فالفوا جمعية « الاخاء العربي العثماني » في الاستانة وافتتحوا نادياً بهذا الاسم .

فما نوهض قوم من اولئك الاقوام بهذا العمل الجليل الا العرب حتى انهم اضطروا في النهاية الى حل جمعيتهم واقفال ناديهم باسم الاتحاديين . وكان هذا

العمل اول بادرة من بوادر سوء الظن صدرت من جمعية الاتحاد والترقي فسرت الى العرب واخذ الخطب يتفاقم من ذلك التاريخ

هذا ولم تقف الشكوى حينئذ عند حد مناهضة الاتحاديين لجمعية «الاخاء العربي العثماني» بل تعدته الى امور اخرى اعظم شأناً. منها استدعاء ضباط العرب من اوطانهم الى الاستانة ومنعهم من الالتحاق ببعثة الضباط العلمية الى المانيا وعدم ادخال العرب المنتسبين الى جمعية الاتحاد والترقي في اللجنة المركزية لهذه الجمعية وعزل موظفي العرب ودعوة اعضاء جمعية الاتحاد والترقي لكل زعماء العناصر العثمانية الى مفاوضتهم في الشؤون الداخلية وعدم الاكتراث بزعماء العرب الى غير ذلك من الامور التي تؤلم العواطف وتؤثر في رابطة الوحدة العثمانية

وكانت شكاوي العرب في سنة ١٩١٠ تنحصر في مايلي فقط

اولاً اقصاء عدد كبير منهم عن الوظائف التي كانوا فيها في الاستانة ولا سيما في وزارتي الخارجية والداخلية بحكم قانون « التنسيق » — اي تغيير المأمورين — بحيث تناول هذا «التنسيق» كل المأمورين من ابناء العرب عمداً فكان الاتحاديون يكتبون في جداول التنسيق حرف ع (اي عربي) امام اسم كل مأمور من ابناء العرب ليعرف « المنسقون» جنسيته

ثانياً عدم دعوة ابناء العرب الى اي اجتماع غايته التأليف بين العناصر العثمانية

ثالثاً عدم ادخال عربي من اعضاء الجمعية الاتحادية في اللجنة المركزية في سلانيك حتى الضباط العرب الذين كانوا اول من اعلن الدستور

رابعاً عدم قبول أي عضو عربي من اعضاء الجمعية في المذاكرات السياسية التي كانت الجمعية تجتمع لاجلها في الاستانة

خامساً عدم قبول عربي في اللجان المركزية الاتحادية وتحويل جمعية الاتحاد والترقي من جمعية عثمانية الى جمعية تركية بحتة

سادساً انتزاع وزارة الاوقاف من وزير عربي واسنادها الى وزير تركي بحيث لم يبق أحد من ابناء العرب في الوزارة

سابعاً استبدال الولاة والمتصرفين والقضاة من ابناء العرب بولاة ومتصرفين وقضاة من الترك وعدم تعيين موظف عربي او عارف باللغة العربية في سورية والعراق

ثامناً معارضة الاتحاديين لكل مشروع علمي او ادبي في البلاد العربية. مثال ذلك انهم عملوا على حل جمعية « النهضة السورية » الادبية التي تألفت في دمشق والغوا الشركة التي تألفت في نابلس لانشاء مدرسة منظمة فيها. الخ

تاسعاً مناهضتهم للغة العربية مناهضة غريبة في بابها فقد نشر سفير الدولة في وشنطن سنة ١٩٠٩ اعلاناً حظر فيهِ على العثمانيين المقيمين في اميركا مخاطبة السفارة بغير اللغة التركية مع علمهِ بان الجالية السورية هناك لا يقل عددها عن نصف مليون وانهُ ليس بينها رجل واحد يحسن اللغة التركية

وكان القايمقامون وبعض رؤساء المحاكم في سورية والعراق في ذلك الحين يتفاهمون مع الاهلين بواسطة الترجمان. وقد قال احد المستشرقين النمسويين في حديث لهُ مع جودت بك صاحب جريدة اقدام انهُ سمع باذنهِ شكوى احد اليمنيين الى الوالي بواسطة المترجم فعكسها المترجم عكساً اي أنهُ جعل الحنظل عسلاً . الى غير ذلك مما يعرفهُ القراء ولا حاجة بنا الى تعدادهِ

ولا ريب في ان هذا الخلاف كان يسهل حسمه في تلك الاثناء لو اظهر الاتحاديون اقل اخلاص للعرب لان حقوق العرب لم تكن كلها مهضومة كما صارت بعد سنة ١٩١٣ ولان استياء الامة العربية نشأ معظمهُ بعد

ذلك عن شدة حب الاتحاديين للاستئثار بالسلطة وتورطهم في النعرة الجنسية تورطاً ادى الى مناهضة العرب واقصائهم عن المراكز السياسية والادارية وغل يدهم في الاعمال النافعة والعمل على القضاء على لغتهم ومدنيتهم وعاداتهم

* *

وفي اواخر سنة ١٩٠٩ دعا بعض ضباط العرب وزعمائهم اصحاب الرأي من اعضاء جمعية الاتحاد والترقي الى اجتماع طويل في الاستانه للبحث في التدابير التي يجب اتخاذها لحسم هذا الخلاف بين العرب والترك حسماً نهائياً. وكاد هذا الاجتماع يسفر عن نتيجة مرضية لولا دخول بعض غلاة الترك - كاحمد اغايف بك ويوسف اقشوره بك وغيرهما — في الامر وتفوههم بما يمس العرب ويزيد نفورهم منهم ويقضي على آمالهم فيهم

وكانت الحال ساكنة في السنوات الاولى التي عقبت ثورة ٣١ مارس. وظلت كذلك الى ان ظهرت نيات الاتحاديين لبعض زعماء العرب واضحة جلية بارسالهم الحملة تلو الحملة على البلاد العربية . ولكن تلك الحوادث المؤلمة لم تؤثر كثيراً في الرأي العربي العام لما ابداهُ الاتحاديون من الدهاء في ذلك الحين. فقد عينوا المرحوم سامي باشا الفاروقي قائداً للحملة التي ارسلوها على حوران ليرضوا العرب بهذا التعيين ويقنعوهم بأنهم لا يضمرون لهم شراً. ولكنهم من جهة اخرى احاطوا هذا القائد العربي الكبير بضباط معظمهم من غلاة الترك فغلوا يدهُ بهم ونفذوا خطتهم باسمهِ ثم تنصلوا امام العرب من تبعة الاعمال التي عزوها اليهِ وكان هو بريء منها

وعينوا عزت باشا قائداً للحملة التي ارسلوها على اليمن وعزيز علي بك في اركان حرب تلك الحملة. وأولهما محبوب من العرب والثاني من صميمهم وكبار زعمائهم فلم يرَ العرب في ذلك ما يسوءهم لا سيما وأن عزيز علي بك تمكن من حقن الدماء

بما ابداهُ من المهارة وحسن السياسة فأبرم اتفاقاً مع سيادة الامام يحيى جاء في مصلحة الفريقين ولا تزال الدولة تجني ثمارهُ الى الآن

ولم تكن حالة العرب في تلك الاثناء قد ساءت كثيراً فكان نوابهم في مجلس المبعوثان من افاضل النواب وكلمتهم مسموعة فيهِ وحالة بلادهم هادئة وصلاتهم بالاتحاديين حسنة في الظاهر لان فريقاً من زعمائهم لم يكونوا قد انفصلوا رسمياً عن جمعية الاتحاد والترقي في ذلك الحين ولان هذه الجمعية كانت في حاجة ماسة الى من يؤيدها ويستميل العناصر العثمانية اليها فتمسكت باحرار العرب وتظاهرت بالميل اليهم تحقيقاً لامالها

على انه لما استتب الامر للاتحاديين ورأوا نفوذهم في البلاد العثمانية عظيماً اماطوا اللثام عن حقيقة حالهم فأعلنوا خطتهم الجديدة على رؤوس الاشهاد وعدلوا برنامج جمعيتهم تعديلاً جعلها تركية بحتة فانفصل عنها حينئذ كل احرار العرب والالبانيين والارمن وبعض الترك الغيورين على مصلحة وطنهم وجاهروا بمقاومتها بعد ما استلم زمامها شبان من غلاة الترك لا خبرة لهم ولا وطنية ولا دين. وأنشأ احرار الترك جمعية « الحرية والائتلاف » التي كانت غايتها منح الولايات العثمانية استقلالاً ادارياً وادارة شؤون المملكة على اساس اللامركزية فانتظم في سلك هذه الجمعية عظماء الترك ككامل باشا والبرنس صباح الدين وصالح باشا ورضا نور ولطفي فكري وعلي كمال وصادق بك وغيرهم ومعظم مبعوثي العرب والارمن والاروام والالبانيين وفريق كبير من القواد والضباط . وكان ذلك في ابان ثورة البانيا فقامت هذه الجمعية بمظاهرة ثورية في الاستانة اسفرت عن سقوط وزارة الاتحاديين وحل مجلس المبعوثان وتعيين وزارة ائتلافية برئاسة مختار باشا ثم برئاسة كامل باشا فسر العرب بهذا الانقلاب ورأوا فيهِ خيراً لهم ونفعاً للبلاد

وكانت الازمة الخارجية شديدة جداً في تلك الاثناء . فحرب مع ايطاليا

وثورة في البانيا واتحاد في البلقان ومؤامرات واستياء في الداخل وفراغ في الخزينة وارتباك في الادارة وفساد في الجيش. كل ذلك من الارث الذي تركهُ الاتحاديون لوزارة الائتلافيين في سنة ١٩١٢ فتفاقم الخطب واتسع الخرق على الراقع. ولكن الوزارة الائتلافية الجديدة لم تستسلم لليأس والقنوط بل جعلت تعمل بهمة لا تني وعزم لا يفتر على اصلاح الحال الداخلية والخارجية

ولما رأى البلقانيون ان الباب العالي نهج في سياستهِ الداخلية والخارجية منهجاً قويماً قد يفقدهم ثمرة المعاهدات التي ابرموها بينهم بعد عناء عظيم انتهزوا الفرصة السانحة وطلبوا من الحكومة العثمانية مطاليب عديدة في شأن مكدونية ثم عززوا ذلك بتعبئة جيوشهم وحشدها على حدود الدولة. وقد قرَّ قرار الباب العالي بعد مفاوضات طويلة مع الدول العظمى على ان يسوي مسألة مكدونيه على ما يوافق مصلحة سكانها ويرضي الدول البلقانية ويحفظ حقوق الدولة العثمانية ومنزلتها اجتناباً لحرب لم تكن الامة على استعداد لها. وقبل ان يبلغ قرارهُ هذا الى الدول العظمى قام الاتحاديون بمظاهرات عظيمة في شوارع الاستانة وأمام الباب العالي طالبين اعلان الحرب في الحال وقابل وفد منهم مختار باشا الغازي الصدر الاعظم في ذلك الحين فقال لهُ «لقد حاربت يا باشا وصرت غازياً فدعنا نحارب نحن ايضاً فاما ان نصير غزاة او شهداء». وكان من تشديد جمعية الاتحاد والترقي وفروعها وأنصارها من ضباط وملكيين على الوزارة الائتلافية انها اضطرت الى محاربة البلقانيين رغبة في تسكين الخواطر واجتناباً لحرب داخلية مع علمها بسوء حالة الجيش وحاجة الامة الى السكينة والاصلاح

ظهور الاحزاب العربية

عقبت الحرب البلقانية الحرب الطرابلسية فاشرفت الدولة العثمانية على الهلاك وكثرت الاطماع في بلادها وعرضت المسألة الشرقية على بساط البحث

في الصحف الاوربية والاندية الرسمية وغير الرسمية فرأى زعماء العرب ان الخطر على الدولة اقوى واسرع مما كانوا يخشون وان الدولة التي عجزت عن حفظ الروملي وهو سياج الاستانة وحصنها امام البلقان ستعجز بالاولى عن الدفاع عن البلاد العربية اذا هجمت عليها دولة قوية اذ ليس فيها حصون ولا سلاح وكان هذا الامر منبهاً لكثير من اصحاب الوطنية من ابناء العرب الى ماسبقهم اليه بعض اذكياء الترك وهو الدعوة الى وجوب جعل ادارة الدولة على اساس اللامركزية لان ذلك ادعى الى عمران كل قطر واستعداده للدفاع عن نفسه حين الحاجة . فالفوا الاحزاب المعروفة عند القراء والجمعيات التي لا يعرفها الا قليلون منهم لقلة انتشارها وانحصارها في فئة مخصوصة من شبان العرب. وهذه الاحزاب هي حزب اللامركزية ومركزه مصر القاهرة ورئسه سعادة الوطني الكبير رفيق بك العظم وجمعية الاصلاح البيروتية وقوامها نخبة من اعيان سورية والمنتدى الادبي وقوامه خيرة شبان العرب وجمعية البصره الاصلاحية ورئسها الزعيم الكبير السيد طالب بك النقيب واحزاب وجمعيات اخرى ملكية وعسكرية تأسست عقب فظائع الاتحاديين ولا سيما الفظائع الاخيرة التي اقترفوها في سورية والعراق

حزب اللامركزية

ولما كان الانتساب الى حزب اللامركزية او الى الجمعية الاصلاحية البيروتية اعظم تهمة وجهت الى فرائس الاتحاديين في البلاد العربية رأيت ان انشر قانونهما وابين خلاصة اعمالها تاركاً للقراء الحكم في فظائع تلك العصبة السفاحة واكاذيبها ومفترياتها . وهذا هو قانون حزب اللامركزية العثماني بنصه :

المادة الاولى ألف حزب سياسي باسم (حزب اللامركزية الادارية العثماني)

المادة الثانية القصد من تأليف هذا الحزب بيان محسنات الادارة

اللامركزية في السلطنة العثمانية للشعب العثماني المؤلف من عناصر ذات أجناس ولغات وأديان وعادات مختلفة والمطالبة بكل الوسائل المشروعة بحكومة تؤسس على قواعد اللامركزية الادارية في جميع ولايات الدولة العثمانية .

المادة الثالثة ليس هذا الحزب خفياً وليس فيه ما يعد من الاسرار فهو ينشر مقصده المبني على المطالبة باللامركزية الواسعة جهراً وعلانية دون الخشية من أحد لاعتقاده يقيناً ان الدولة لا تبقى في العالم السياسي الا اذا بنيت حكومتها على أساس اللامركزية الادارية

المادة الرابعة ان الدخول في حزب اللامركزية مباح لكل عثماني بلغ العشرين من العمر . على شرط ان يكون أولاً من المتمتعين بجميع الحقوق المدنية ثانياً غير محكوم عليه بحكم مخل بالشرف . ثالثاً غير مشتهر بسوء السيرة رابعاً ان يقبل القواعد المبينة في برنامج الحزب

المادة الخامسة يكفي لمن يريد الدخول في الحزب ان يكون دليله أحد أعضاء الحزب مع موافقة لجنة الادارة المحلية على ذلك ولا يجوز قبول عضو ما دام من حزب يخالف هذا الحزب في المبدإ والغاية .

المادة السادسة للمنتمي الى الحزب ان يستقيل من عضويته في أي وقت شاء

المادة السابعة على العضو ان يدفع الى الفرع المسجل فيه اسمه راتباً شهرياً أقله قرشان ويقبل الحزب التبرعات ويعفي الفقراء من الراتب .

المادة الثامنة لا يقيد الحزب أعضاءه بشيء غير قواعد البرنامج السياسي الذي وضع لأجله

المادة التاسعة على النواب (المبعوثين) المنتمين الى الحزب ان يسعوا بكل ما في وسعهم لتنفيذ قواعد برنامج الحزب في المجلس

المادة العاشرة   لا يسوغ لاحد من المنتمين الى الحزب مراجعة الحكومة باسم الحزب من تلقاء أنفسهم واذا ثبت على أحد الاعضاء مثل هذا السلوك يمحى اسمه من سجل الحزب .

المادة الحادية عشرة   ان مركز الحزب العام فى مصر القاهرة ويجوز لكل بلد أو قرية اجتمع فيها عشرة من أهلها على مبداء اللامركزية الادارية ان يؤسسوا فرعاً له ويخبروا المركز العام بذلك .

المادة الثانية عشرة   تتألف اللجنة العليا للحزب من ٢٠ عضواً ينتخب منهم رئيس ، ونائب رئيس ، وسكرتير ومساعدان له ، وأمين للصندوق ، ويجوز لهذه اللجنة ان تضم اليها من ترى فيه فائدة للحزب .

المادة الثالثة عشرة   اذا غاب الرئيس ونائبه يرأس الجلسة أحد أعضائها

المادة الخامسة عشرة   كل فرع من فروع الحزب يتبع المادتين ١٢ و ١٣ في تأليف لجنته الادارية وانتخاب الرئيس والسكرتير وأمين الصندوق .

المادة الخامسة عشرة   يعقد كل فرع مؤتمراً فرعيا محليا في شهر يونيو (حزيران) من كل سنة يحضره جميع أعضاء الفرع وتعقد اللجنة العليا مؤتمراً حزبيا عاماً في مصر القاهرة في شهر نوفمبر (تشرين الثاني) من كل سنة يحضره أعضاء اللجنة العليا وأفراد الحزب في المركز العام ومندوبون ترسلهم اللجان الفرعية

المادة السادسة عشرة   يرسل كل فرع المؤتمر العام مندوبا من قبله

المادة السابعة عشرة   تنتخب كل لجنة ادارية رئيسها وسكرتيرها وأمين صندوقها من أعضائها بالاقتراع السري وتعرف المركز العام فى القاهرة بنتيجة الاقتراع .

المادة الثامنة عشرة   على اللجان الادارية الفرعية ان تسعى بكل الوسائل

المشروعة لنشر مبادىء الحزب وتعميمها بين الناس وتكثير أفراد الحازبين والاجتهاد في سبيل انتخاب نواب لمجلس المبعوثين وللمجالس العمومية والادارية والبلدية من الاكفاء الذين على مبدإ الحزب

المادة التاسعة عشرة اللجنة العليا تضع تعديل القوانين واللوائح للحكومة اللامركزية وتسعى مع سائر اللجان والافراد الى اقناع الشعب والحكومة بها

المادة العشرون على اللجان الادارية الفرعية ان تتخذ دفاتر لقيد قراراتها وأسماء الاعضاء وموظفي فروع الحزب وأمواله

المادة الحادية والعشرون تجتمع اللجان كلما قضت الحال بدعوة من الرئيس أو نائبه ، والعضو الذي لا يحضر الاجتماع أربع مرات متواليات من غير عذر يعد مستقيلا من عضوية اللجنة

المادة الثانية والعشرون على السكرتير وأمين الصندوق في كل لجنة ان يقدما الى تلك اللجنة في آخر كل سنة كشفاً ببيان ايرادات الفرع ونفقاته عن تلك السنة وعلى كل لجنة ان ترسل صورة من هذا الكشف الى اللجنة العليا

المادة الثالثة والعشرون لا تعد مذاكرات اللجان قانونية الا اذا اجتمع نصف اعضائها على الاقل واذا كررت الدعوة اكتفي بمن حضر

المادة الرابعة والعشرون للجنة كل فرع الحرية التامة في أعمالها الا ما قيدتها به قرارات اللجنة العليا أو المؤتمر العام .

المادة الخامسة والعشرون على لجان الفروع ان ترسل الى اللجنة العليا كل ثلاثة شهور كشفاً يحوي اسماء الذين دخلوا في خلال هذه المدة في الحزب وأسماء الخارجين منه وسبب خروجهم والمتنقلين من مكان الى مكان وكشفا آخر يحوي بيان أعمالها في المدة المذكورة

المادة السادسة والعشرون على اللجنة العليا ان تراقب سير أعمال لجان الفروع وحسن تنفيذ قوانين الحزب

المادة السابعة والعشرون على اللجنة العليا ان تهيء لائحة عامة عن الحزب وأحواله بناء على ما يرد عليها من اللوائح والكشوف من لجان الفروع وترفعها الى المؤتمر العام

المادة الثامنة والعشرون تجتمع الجمعيات العمومية والمؤتمر العام في مواعيدها المقررة حسب المادة (١٥) ويرأسها في كل مكان رئيس اللجنة الادارية ، وأما المركز العام فينعقد برئاسة اللجنة العليا

المادة التاسعة والعشرون تنظر كل جمعية عمومية في نتيجة الحسابات وفي بيان لجنة الادارة عن أعمالها في السنة الماضية وتصادق على الحسابات الختامية وتقرر ما يجب العمل به في السنة المقبلة وتنتخب نصف اعضاء مجلس الادارة وتفض بعد انتهاء عملها

المادة الثلاثون على سكرتير كل لجنة ادارية أن يقوم بضبط المحاضر ومقررات الجمعية العمومية.وعلى سكرتير اللجنة العليا ومساعديه أن يقوموا بضبط أعمال المؤتمر العام

المادة الحادية والثلاثون من خصائص المؤتمر العام الاطلاع على بيان اللجنة العليا عن أعمال الحزب في السنة الماضية ورؤية حساباتها والتصديق عليها والمذاكرة في كل ما يرفع اليه عن اعمال السنة المقبلة وتقريرها

المادة الثانية والثلاثون كل تغيير وتبديل في برنامج الحزب السياسي الاساسي من حقوق المؤتمر العام ، ولا يتم ذلك الا بطلب تحريري من اللجنة العليا أو لجنة من لجان الفروع ويعمل بغالبية الآراء

المادة الثالثة والثلاثون على اللجنة العليا ولجان الفروع تنفيذ ما يقرره المؤتمر العام كل منها فيما يخصه

الجمعية الاصلاحية البيروتية

وهذه أيضاً اللائحة التي صدقت عليها الجمعية العمومية الاصلاحية في بيروت في جلستها العامة الثالثة المنعقدة باذن الحكومة في دار المجلس البلدي يوم الجمعة الواقع في ٢٣ صفر سنة ١٣٣١ و٣١ كانون الثاني (فبراير) سنة ١٩١٣

مادة اساسية — الحكومة العثمانية حكومة دستورية نيابية

المادة الاولى — تقسم ادارة الولاية الى قسمين : القسم الاول هو المشتمل على الاعمال المتعلقة بكيان السلطنة وشؤونها الاساسية وهي المسائل الخارجية والعسكرية والجمارك والبوستة والتلغراف وسن القوانين ووضع المكوس

والقسم الثاني هو المشتمل على الاعمال المحلية المتعلقة بشؤون الولاية الداخلية الخاصة

فكل ما يتعلق بالقسم الاول منوط تقريرهُ واجراؤه بالحكومة المركزية

وكل ما يتعلق بالقسم الثاني منوط تقريرهُ بمجلس الولاية العمومي

المادة الثانية — للوالي صفتان قانونيتان : الاولى تمثيل الحكومة المركزية وبهذه الصفة يتولى اجراء جميع الاعمال المتعلقة بالقسم الاول طبقاً لقرارات الحكومة المركزية

والثانية تمثيل حكومة الولاية التي يرأسها وبهذه الصفة يتولى تنفيذ جميع الاعمال المتعلقة بالقسم الثاني طبقاً لقرارات المجلس العمومي . أما حقوق الوالي ووظائفهِ فهي :

أولاً — تنفيذ قرارات المجلس العمومي. ثانياً — الاعتراض على قرارات المجلس العمومي على الشروط الآتي بيانها في باب « الوالي والمجلس العمومي » ثالثاً — الاطلاع على لوائح المشاريع التي تعدها « لجنة المجلس العمومي » لابداء ملحوظاته عليها قبل تقديمها الى المجلس . رابعاً — تعيين المتصرفين والقائمقامين والمديرين بعد عرض أسمائهم على الحكومة المركزية وفقاً لنظام يضعه المجلس العمومي . خامساً — تعيين الطلاب الممتحنين الذين تعرض عليه لجنة الامتحان أسماءهم لاجل التوظيف . سادساً — دعوة المجلس العمومي في الميعاد المعين لاجتماعه . ويمكنه دعوته لاجتماع فوق العادة بمصادقة لجنة المجلس أو « مجلس المستشارين » .

المادة الثالثة — يؤلف في الولاية مجلس عمومي من ثلاثين عضواً ينتخب نصفهم من المسلمين والنصف الآخر من غير المسلمين لمدة أربع سنوات وهم ينتخبون منهم رئيساً لهم بالاقتراع السري (أما سائر الانتخابات العمومية فتبنى على قاعدة التمثيل النسبي العددي في دوائر الانتخابات)

أما حقوق المجلس العمومي ووظائفه فهي : أولاً — تقرير جميع اعمال الولاية الداخلية والمذاكرة في ما يعرض عليه من قبل الوالي أو لجنة المجلس أو عشرة من اعضائه . ثانياً — وضع الانظمة الداخلية بشرط أن لا تمس شؤون السلطنة الاساسية . ثالثاً — عقد القروض التي لا تتجاوز قيمتها نصف الواردات المختصة بالولاية . أما القروض التي تتجاوز قيمتها هذا المبلغ فيلزم لها مصادقة الحكومة المركزية . رابعاً — اعطاء رخص لتأليف شركات مساهمة (آنونيم) عثمانية للمشاريع العمومية النافعة للتجارة والصناعة والزراعة وسائر الشؤون العمرانية داخل الولاية على شرط أن لا تتضمن امتيازاً . أما المشاريع التي تتضمن امتيازاً فيجب مصادقة الحكومة المركزية عليها . وتحول هذه

الشركات الشخصية المعنوية بمعنى أن يكون لها حق التملك. خامساً — تقرير الضمائم الكسورية على المكوس المقررة. سادساً — تقرير رواتب موظفي ومستشاري الدوائر التي هي بادارة حكومة الولاية . سابعاً — حق استيضاح الوالي وطلب عزله ولا يتداخل المجلس العمومي في الشؤون السياسية العامة مطلقاً

المادة الرابعة — قرارات المجلس العمومي نافذة ما لم يعترض عليها الوالي بمصادقة مجلس المستشارين في خلال أسبوع من تاريخ تبليغهُ اياها فيعيد المجلس النظر في قراره واذا أصرّ عليهِ باكثرية ثلثي الاصوات يكتسب القرار الصفة القانونية القطعية وعلى الوالي تنفيذهُ

المادة الخامسة - ينتخب المجلس العمومي بالاقتراع السري لجنة من أعضائهِ وأحد منهم من كل لواء واثنان من مركز الولاية لمدة سنة واحدة فتجتمع بادارة مستشار المجلس العمومي

اما وظائف اللجنة فهي : اولاً — مراقبة تنفيذ قرارات المجلس . ثانياً — درس المشاريع اللازمة للولاية واعداد لوائحها . ثالثاً — تعيين مهندسين اختصاصيين للاستعانة بهم في اعمالها . رابعاً — حق الاعتراض على الممتحنين الذين تقدم اليها « لجنة الامتحان » اسماءهم قبل عرضها على الوالي . خامساً — دعوة المجلس العمومي لاجتماع فوق العادة باتفاق ثلثي اعضائها ومصادقة مستشار المجلس

المادة السادسة — الوالي وحاكم الشرع في مركز الولاية والدفتردار وباشمدير الرسومات وباشمدير البوسطة والتلغراف وقومندان الجندرمة وضباطها تعينهم الحكومة المركزية على شرط معرفتهم اللغة العربية معرفة تامة، ويستثنى من هذا الشرط والي الولاية لمدة خمس سنوات من تاريخ وضع مواد هذه اللائحة موضع الاجراء

اما بقية الموظفين فينبغي ان يكونوا من اهالي البلاد ويجري تعيينهم على الوجه الآتي بيانهُ :

يمتحن طالبو الوظيفة امام لجنة مؤلفة من مستشار ورئيس الدائرة التي يطلبون الدخول فيها فتقدم لجنة الامتحان اسمي الممتازين منهم الى لجنة المجلس العمومي وبعد مصادقتها يعرضان على الوالي فيعين احدهما . ولدى تعيينهِ يبلغ لوالي اسمهُ للنظارة المنسوب اليها فيقيد في سجلها محافظة على حقوق ترقيتهِ وتقاعدهِ . وأما رؤساء العدلية فيعينون وفقاً لنظام يضعهُ المجلس العمومي

الموظفون المعينون من قبل الولاية عدا رؤساء العدلية تكف يدهم بناء على طلب المستشار ورئيس الدائرة المنسوبين اليها معاً. وأما رؤساء العدلية فتكف يدهم بناء على طلب المستشار ومصادقة مجلس المستشارين . وقرار كف اليد في كلا الحالين ينفذهُ الوالي . وللموظف المكفوفة يدهُ الحق بمراجعة الوالي في خلال سبعة أيام من تاريخ تبليغه ذلك اذا كان موظفاً في مركز الولاية وخمسة عشر يوماً اذا كان خارج المركز. فيحيل الوالي دعواهُ الى مجلس المستشارين ليحكم في وجوب العزل أو عدمهُ. والموظف الذي يحكم مجلس المستشارين بعزله لا يجوز استخدامهُ في دوائر الحكومة ولا يعطى معاش معزولية . اما محاكمة المعزول جزائياً فتجري في المحاكم العدلية بمذكرة خاصة من المستشار الى المدعي العمومي

وأما موظفو الحكومة المركزية فتكف يدهم بطلب المستشار ومصادقة الوالي الذي يطلب عزلهم بعد حكم مجلس المستشارين عليهم من النظارة المنسوبين اليها وينبغي أن يعين خلفهم في مدة ثلاثين يوماً

وأما المفتشون والمستشارون فيكون عزلهم بطلب الوالي من مجلس المستشارين وبحكم صادر من هذا المجلس

واما الوالي فيكون عزلهُ بناء على قرار المجلس العمومي باكثرية ثلثي مجموع

أعضائهِ فتعين الحكومة المركزية خلفهُ فى مدة أربعين يوماً

المادة السابعة ـ تعين الحكومة المركزية مستشارين من الاجانب على شرط معرفتهم احدى اللغات الثلاث العربية أو التركية او الفرنسوية وذلك للدوائر الآتية فى مركز الولاية وهي الجندرمة والمالية (وتلحق بها غرفة التجارة) والبوسطة والتلغراف والجمرك .وتعين أيضاً مفتشاً اجنبياً عاماً لكل لواء من الولاية يخول حق تفتيش أية دائرة كانت في اللواء ويكون مرجعهُ مستشار مركز الولاية الداخلة تلك المسألة المراجع فيها ضمن دائرة اختصاصهِ

ويعين المجلس العمومي من الدول التي ترضاها الحكومة المركزية مستشارين للدوائر الآتية : وهي مجلس الولاية العمومي والعدلية والنافعة والمعارف والبلدية والبوليس . ويلبس هؤلاء المستشارون الشمار العثماني في أوقات العمل . امامدة الاستشارة والتفتيش لخمس عشرة سنة ويمكن تجديدها

المادة الثامنة ـ واردات الولاية على نوعين : أحدهما يعود برمته الى مركز السلطنة وهو حاصلات الجمارك والبوستة والتلغراف والبدلات العسكرية .والآخر وهو عدا ما ذكر من الواردات يعود برمته الى الولاية

المادة التاسعة ـ ينظم المجلس العمومي ميزانية الولاية السنوية فيدخل فيها رواتب جميع الموظفين والمستشارين عدا موظفي ومستشاري الجمارك والبوسطة والتلغراف

المادة العاشرة ـ تسلم الاراضي المحولة والاملاك الاميرية الداخلة ضمن الولاية الى المجلس العمومي وتكون برمتها ملكاً للولاية

المادة الحادية عشرة ـ لا علاقة للادارة ولا للمجلس العمومي في الاوقاف بل يسلم كل وقف الى مجلس الملة المنسوب اليها لاستخدامه بموجب قانونها (بناء عليه جميع أوقاف المسلمين فى الولاية تسلم الى مجلس ملتهم أسوة بباقي الطوائف)

المادة الثانية عشرة ـ البلديات مستقلة بجميع أعمالها . ولها الحق بوضع الرسوم البلدية بمصادقة المجلس العمومي دون مراجعة الحكومة المركزية

المادة الثالثة عشرة ـ يؤلف مجلس يسمى مجلس المستشارين ويكون أعضاؤهُ رئيس المجلس العمومي (أو من ينيبهُ عنهُ من أعضاء لجنة المجلس) وجميع مستشاري الدوائر في مركز الولاية

اما وظائف هذا المجلس فهي : أولاً ـ تفسير مواد النظام الذي تضعهُ الحكومة المركزية (بناء على هذه اللائحة) كدستور لحكومة الولاية ومجلسها العمومي. ثانياً ـ تفسير القرارات والانظمة التي يضعها المجلس العمومي : ثالثاً النظر والحكم في وجوب عزل الموظف أو عدمهُ . رابعاً ـ النظر والحكم بناء على طلب الوالي أو أحد المستشارين في كل خلاف في الرأي يقع بين أحد المستشارين والمجلس العمومي أو احدى لجانه أو أية دائرة كانت ويكون حكمهُ مبرماً ويرأس هذا المجلس والي الولاية وينوب عنهُ في غيابه رئيس المجلس العمومي أو مستشار هذا المجلس

المادة الرابعة عشرة ـ ان اللغة العربية تعتبر اللغة الرسمية في جميع المعاملات داخل الولاية . وتعتبر أيضاً لغة رسمية كاللغة التركية في مجلسي النواب والاعيان

المادة الخامسة ـ تخفض الخدمة العسكرية الى سنتين وتقضي الخدمة أيام السلم في الولاية . وتنزل قيمة البدل النقدي للنظامية الى ثلاثين ليرة عثمانية وللرديف والاحتياط الى عشرين ليرة

المنتدى الادبي

وأما المنتدى الادبي فقد كان جمعية علمية بحتة في بدء الامر ولكنهُ اضطر الى المداخلة في السياسة لما رأى الحكومة تفاوض معتمده المرحوم عبد الكريم

الخليل باسمهِ في شأن الاصلاح . وقد كان الوزراء وزعماء جمعية الاتحاد والترقي يظهرون لهذا النادي صداقة عظيمة فزارهُ مراراً طلعت بك وانور باشا وجمال باشا وفتحي بك ومدحت شكري بك وغيرهم والقوا فيـهِ الخطب واولموا لاعضاءه الولائم وحضروا معظم احتفلاته الدينية والادبيـة الى غير ذلك مما يدل على ان هذا النادي كان نادياً عثمانياً بحتاً وان الاتحاديين انفسهم اعترفوا بذلك باقوالهم وافعالهم الماضية . ولا يستطيعون اليوم ان يثبتوا عليهِ أو على احد اعضاءهِ عملاً واحداً كانت تشتم منه رائحة كره الترك والرغبة في الانفصال عنهم

جمعية البصرة الإصلاحية

ولا تختلف جمعية البصره الاصلاحية في خطتها وغايتها عن حزب اللامركزية والمنتدى الادبي والجمعية العمومية البيروتية . والادلة على ذلك كثيرة منها برنامجها وقوانينها واعتراف الحكومة الاتحادية الحاضرة بهـا وقبولها نواباً من اعضائها في مجلس المبعوثان ومساعي رئيسها السيد طالب بك النقيب في التوفيق بين الحكومة العثمانية والامير ابن السعود وموافقتها على قرار المؤتمر العربي الاول الذي عقد في باريس الى غير ذلك من الادلة التي تظهر للقارىء واضحة في هذا الكتاب

***

ولم يكن قبل اعلان الحرب الاوربية جمعيات اخرى رسمية ولكن الاخطار التي كانت تهدد سلامة الاملاك العثمانية وحاجة البلاد الى الاصلاح اوجدت في الفئة المتنورة من ابناء الامة العربية ملكيين وعسكريين حساً طبيعياً مشتركاً هو حس اتقاء الخطر واتفاقاً تاماً في المبداء والغاية اساسـهُ الدفاع عن كيان الدولة العثمانية وتقويتها بتقوية العناصر التي فيها ولا سيما العنصر العربي الكريم . وقد نهجت هذه الفئة منهجاً آخر اثر الفظائع التي اقترفها الاتحاديون في سورية

والعراق والذين نجوا منها من مذابح جمال باشا السفاح يعملون اليوم على الانتقام وسيكون انتقامهم عظيماً

هذا ولا شيء يدلنا على صدق وطنية العرب واخلاصهم العظيم لعرش آل عثمان اكثر من اعمال المؤتمر العربي الاول الذي تجلت فيه آمال الامة وامانيها . ذلك المؤتمر عينه الذي اتخذه الاتحاديون حجة للفتك بعقلاء العرب وادبائهم ونخبة شبانهم

المؤتمر العربي الاول

في ٤ نيسان (ابريل) سنة ١٩١٣ ارسل بعض ادباء العرب المقيمين في باريس كتاباً الى اللجنة العليا لحزب اللامركزية جاء فيه ما خلاصته

« لقد جمعتم في برنامجكم الاماني التي يرتادها ابناء العرب لسعادتهم وترقيتهم في كل حين لذلك اوقفنا انفسنا لخدمة غايتكم النبيلة واعتبرناكم مصدراً لما نتوقع ان نقوم بهِ في هذه الديار ازاء مناظرات الجرائد ومنابر الخطباء في الاندية السياسية ومجرى المخابرات الدولية بشأن البلاد العربية . ذلك ما حمل الجالية العربية على الاجتماع والبحث في التدابير الواجب اتخاذها لوقاية الوطن المحبوب من الطوارىء واصلاح امور بلادنا على اساس اللامركزية . وبعد المناقشات ارتأت ان تعقد مؤتمراً للعرب تظهر فيهِ للاجانب ان العرب يدرؤون عادية الاحتلال من اية دولة كانت ويحتفظون بحياتهم الوطنية وتصارح الدولة العثمانية بوجوب تطبيق الاصلاحات اللامركزية في بلاد العرب. واليكم ما تدور حوله مباحث المؤتمر :

الحياة الوطنية ومناهضة الاحتلال

حقوق العرب في المملكة العثمانية

ضرورة الاصلاح على قاعدة اللامركزية

المهاجرة من سورية واليها

وحسبنا الله ان يأخذ بأيديكم وأيدينا لوقاية الامة والبلاد من فساد البداية والمعاد والسلام عليكم »

وفي ١٤ ابريل سنة ١٩١٣ اجابت اللجنة العليا لحزب اللامركزية بالقبول وقررت ارسال مندوبين من قبلها لحضور المؤتمر «على ان يكون لهم حق النظر والمشاركة في موضوعات المؤتمر حتى تكون موافقة لمبادىء الحزب وبرنامجه»

اسباب عقد المؤتمر

اما اسباب عقد المؤتمر فنجدها في الخطب التي القيت في جلساته وفي حديث رئيسه مع محرر جريدة الطان . وهي

١ . قال المرحوم عبد الحميد الزهراوي في خطبة افتتاح المؤتمر: « ان العرب كانوا قد الفوا الترك وهؤلاء قد الفوا العرب وامتزج الفريقان امتزاجاً عظيماً مضى عليه اكثر من عشرة قرون ولكن كما مزجت بينهم السياسة فرقت بينهم السياسة أيضاً ولم يبق من ذلك الامتزاج القديم الا رابطة بين بعض العرب وبعض الترك. وهذه الرابطة لا تزال تعد ثمينة عند الترك العثمانيين والعرب العثمانيين معاً . ولكنها مع عزتها في نفوس الفريقين قد اصبحت مهددة بالسياسة اكثر مما كانت من قبل ومعلوم ان السياسة في هذه المملكة بيد الترك ولذلك تعرّفها اوربا بأنها حكومة الترك . فلما رأى العرب الآن ما وصلت اليه هذه المملكة بتلك السياسة التي مضى العمل عليها حتى الآن وكانوا حريصين على البقية الباقية من تلك الرابطة تنبهوا الى واجب عظيم كان الترك والعرب جميعاً غير مهتمين به كما ينبغي وهو اشتراك الفريقين بسياسة البلاد . فانهُ قد تبين واضحاً انهُ لا العرب انتفعوا ببراءتهم من ذنب اضاعة البلاد ولا الترك انتفعوا بتحملهم وحدهم تبعة ذلك العبء الثقيل. وبديهي ان هذا الاشتراك لا ينافي الاخاء بل الذي ينافي

الاخاء هو عدم هذا الاشتراك »

٢ ً. قال اسكندر بك عمون احد مندوبي حزب اللامركزية في الخطبة التي القاها في جلسة المؤتمر الثالثة ما نصهُ :

« الامة العثمانية بعد الحوادث الاخيرة على شفا جرف هار فهي بين ذلك الماضي المؤلم والمستقبل المظلم تنظر الى امسها بعين الحزن والاسف وترمق غدها بعين الخوف والوجل

في مثل هذا الموقف موقف الخطر على الحياة تمر على ذهن الامم كما تمر على ذهن الافراد حوادث حياتها الماضية حلقات آخذ بعضها برقاب بعض فترى بينها من الارتباط ما لم ترهُ وهي رهن الحوادث أيام وقوعها وتنكشف الاسرار التي ساقتها الى حيث صارت فتستعين بما عرفت من ذلك لتهتدي الى سبيل النجاة ان كان ثم الى النجاة سبيل

ذلك الخطر الذي أصبحت الامة فيهِ هو الباعث على اجتماعنا من كل حدب وصوب في هذا البلد الامين وهذا الغرض هو الذي نرمي اليه من هذا الاجتماع »

٣ ً. سأل محرر جريدة الطان المرحوم السيد الزهراوي رئيس المؤتمر عن اسباب عقد المؤتمر فاجابهُ بما يلي :

« ان ما حدث في ولايات الدولة العثمانية باوربا من الحوادث الخطيرة الشأن دعانا الى التفكير في الحالة الجديدة التي دخلت فيها واتخاذ الوسائل الضرورية لاتقاء نتائجها . ذلك من جهة ومن جهة ثانية فان العرب يؤلفون عنصراً مهماً بعدده ان لم نقل عنهُ انهُ أهم العناصر العثمانية كلها . ولهذا العنصر مزية على العناصر الاخرى بوحدة لغته وعاداتهِ وميلهِ وان هذه الصفات أحدثت لهُ حقوقاً كانت مهملة حتى الساعة ولذلك جئنا لنطلب بصفة عثمانيين أن نشترك

بالادارة العامة وأن نعرض على الحكومة بصفتنا عرباً مطالب خاصة بقوميتنا

لماذا عقد المؤتمر في باريس ؟

قال المرحوم السيد الزاهراوي لمحرر جريدة الطان رداً على هذا السؤال

« ان حوادث بيروت الاخيرة (أي اضطهاد الجمعية الاصلاحية وسجن فريق من أعضائها) برهنت لنا على قدر الحرية التي يمكن أن يتمتع بها مؤتمر يعقد في سورية . وقد رأينا من جهة أخرى أن نسمع مطالبنا ونفهم رأينا لاوروبا التي تزداد مصالحها أهمية في البلاد العثمانية يوماً بعد يوم وفضلنا باريس على غيرها من عواصم أوربا لان الجالية العربية فيها اكثر عدداً منها في سائر العواصم

غاية المؤتمر

وتظهر غاية المؤتمر من القرارات التي وافق عليها والخطب التي القيت في اجتماعاته اما القرارات فهي

اولاً ان الاصلاحات الحقيقية واجبة وضرورية للمملكة العثمانية فيجب ان تنفذ بوجه السرعة

ثانياً من المهم أن يكون مضموناً للعرب التمتع بحقوقهم السياسية وذلك بان يشتركوا في الادارة المركزية للمملكة اشتراكاً فعلياً

ثالثاً يجب أن تنشأ في كل ولاية عربية ادارة لامركزية تنظر في حاجاتها وعاداتها

رابعاً كانت ولاية بيروت قدمت مطالبها بلائحة خاصة صودق عليها في ٣١ كانون الثاني سنة ١٩١٣ باجماع الاراء وهي قائمة على مبدائين اساسيين وهما توسيع سلطة المجالس العمومية وتعيين مستشارين اجانب. فالمؤتمر يطلب تنفيذ وتطبيق هذين الطلبين

خامساً اللغة العربية يجب أن تكون معتبرة في مجلس النواب العثماني

ويجب أن يقرر هذا المجلس كون اللغة العربية لغة رسمية في الولايات العربية

سادساً تكون الخدمة العسكرية محلية في الولايات العربية الاّ في الظروف والاحيان التي تدعو الى الاستثناء الاقصى

سابعاً يتمنى المؤتمر من الحكومة السنية العثمانية ان تكفل لمتصرفية لبنان وسائل ماليتها

ثامناً يصادق المؤتمر ويظهر ميله لمطالب الارمن العثمانيين القائمة على اساس اللامركزية

تاسعاً سيجري تبليغ هذه القرارات للحكومة العثمانية السنية

عاشراً وتبلغ هذه القرارات ايضاً للحكومات المتحابة مع الدولة العثمانية

ويشكر المؤتمر الحكومة الفرنسوية شكراً جزيلاً لترحابها الكريم بضيوفها

ملحق بقرارات المؤتمر

اولاً اذا لم تنفذ القرارات التي صادق عليها هذا المؤتمر فالاعضاء المنتمون الى لجان الاصلاح العربية يمتنعون عن قبول أي منصب كان في الحكومة العثمانية الاّ بموافقة خاصة من الجمعيات المنتمين اليها

ثانياً ستكون هذه القرارات برنامجاً سياسياً للعرب العثمانيين ولا يمكن مساعدة أي مرشح في الانتخابات التشريعية الا اذا تعهد من قبل بتأييد هذا البرنامج وطلب تنفيذهُ

***

هذه هي قرارات المؤتمر العربي المنعقد في القاعة الكبرى للجمعية الجغرافية بشارع سن جرمن في باريس من يوم الاربعاء ١٨ حزيران (يونيو) سنة ١٩١٣ (١٣ رجب سنة ١٣٣١) الى يوم الاثنين ٢٣ حزيران (يونيو) سنة ١٩١٣ (١٣ رجب سنة ١٣٣١) وكلها يدل على وطنية صادقة واخلاص عظيم للوطن العثماني الذي كانت غاية المؤتمر تأييده واعلاء شأنه والدفاع عنه من طوارىء الحدثان

وقد ظهرت هذه الغاية واضحة جلية في الخطب التي القيت في جلسات المؤتمر. فقال المرحوم ندره بك مطران في خطبته ما نصه «ان العصبية في العرب لا تستوجب منهم طيشاً يجهلون معهُ مواضع الضعف من امتهم وبلادهم فيتصورون انه يتسنى لهم جزافاً الانقطاع عن ولاء الدولة العثمانية . وما من ينكر على الاطلاق ان ارتباطنا بهذه الدولة واتصال علاقاتنا بالامة التركية اسلم عاقبة وانتج خيراً للعرب من أي ارتباط آخر سواه»

وتكلم نجيب افندي دياب مندوب المهاجرين السوريين فقال «ويتمنى السوريون المهاجرون البقاء في حضن العثمانية والاحتفاظ بالوطنية بشرط ان تحفظ حقوق اخوانهم المتخلفين في الوطن من نصارى ومسلمين وأن تكون اعراضهم مصونة وأموالهم في مأمن ومدارسهم تضاء بكهرباء الوطنية وأفئدتهم تلتهب بحب الوطن»

وقال اسكندر بك عمون في خطبته: «توهم بعض انصار النظام المركزي من اخواننا الاتراك ان الغرض من النهضة العربية الانفصال عن الدولة وهو امر بعيد عن الصحة فان الامة العربية لا تريد الاّ استبدال شكل الحكم الفاسد ـ الذي كاد يودي بالدولة ـ بالحكم الذي يرجى منهُ وحدهُ الصلاح والنجاح لنا ولهم وهو الحكم على قاعدة اللامركزية. ولو كانت الهيئة الحاكمة اليوم من صميم قريش لكان موقفنا معها نفس موقفنا هذا»

هذا هو المؤتمر الذي اتخذهُ الاتحاديون دليلاً على خيانة العرب للدولة وحجة للفتك بزعمائهم وقادة آرائهم نشرت قراراتهُ وخلاصة اعمالهِ وأقوال خطبائهِ في هذا الكتاب تاركاً الحكم في تهم الاتحاديين وأكاذيبهم وفظائعهم للمنصفين من القراء

الاتحاديون والمؤتمر العربي

علم الاتحاديون بعزم العرب على عقد مؤتمر عام في باريس للمطالبة باصلاح الولايات العربية فقاموا قومة واحدة في وجه هذا المؤتمر وتوسلوا لمنعهِ بالوسائل التالية وهي :

أولاً انهم استدعوا بعض صنايعهم من العرب كطه أفندي المدور صاحب جريدة الرأي العام الاتحادية الى الاستانة وأوعزوا اليه بان ينشر مقالات في المسألة العربية خلاصتها ان ما يقولهُ العرب أو يدعونهُ أو يطالبون به من الاصلاح سببه خطأ بعض الصحف التركية . فان هذا البعض اعتاد أن يذكر أسماء العرب مسبوقة بكلمة « عرب » فيقول مثلاً « عرب عزت » و« عرب ماحمة » . و « عرب فلان » قصد تحقير الامة العربية . ولم يكن ثمت سبب غير هذا للخلاف بين العرب والترك على رأي طه المدور وأسيادهِ الاتحاديين

ثانياً انهم حاولوا اقناع الحكومة الفرنسوية بمنع عقد المؤتمر العربي في عاصمتها

ثالثاً انهم حرضوا الشيخ عبد العزيز جاويش وبعض أعوانه على القيام بدعوة الجامعة الاسلامية لاحباط مساعي المطالبين بالاصلاح والقاء الشقاق بين العرب مسلمين ومسيحيين فجعلوا منزلهُ مجتمعاً سياسياً تحت شعار الدين يحج اليه أصحاب المآرب والغايات والذين يترامون على الاقدام لنيل وظيفة أو تحقيق أحلام

رابعاً انهم أوعزوا الى صنايعهم وجواسيسهم في البلاد العربية بمقاومة نهضة العرب وأرسلوا اليهم صور برقيات بهذا المعنى حملوا فريقاً من الموظفين على توقيعها بالطرق المعهودة في تركيا

فعلى مثل هؤلاء توكأت الحكومة الاتحادية في قراراتها وأعمالها متخذة

أقوالهم الفارغة حجة لها في دفاعها عن نفسها

وقد حملت الصحف الاتحادية حملة شعواء على المؤتمر فقالت جريدة طنين لسان حال الجمعية ما معناهُ :

« لما كررنا القول وأعدنا التصريح بان الفئة التي تتظاهر تارة فى سورية وتارة في مصر وفي العراق وباريس بالغيرة على مصالح العرب وعشق العربية والهيام بامثال ذلك هي فئة ليست من العربية في شيء وما هي الاّ آلة للفساد وعبارة عن طائفة عجيبة في أطوارها . لما قلنا ذلك حمل علينا بعض الصحف العربية حملة شعواء . فبينما نحن لا نتكلم عن العرب والعربية الاّ بما يشف عن الميل الشديد واذ تلك الصحف تلقبنا باعداء العرب الالداء ولا تتردد فى تسميتنا « المعول العظيم لهدم كيان الامة العربية» . واما نحن فلا نحاول نفي هذه التهم لاننا اذا توخينا ذلك نكون قد خدمنا هذه الشتائم والمطاعن من حيث نريد الاعراض عنها.فان كتاباتنا في المسألة العربية كانت نوراً استضاء العرب به فقاموا يداً واحدة يدافعون عن الحقيقة ويردون كيد المزورين في نحورهم فكانت نتيجة ذلك ضد ما يعملهُ الخونة المارقون

«الحق يعلو ولا يعلى عليه فالانباء الاخيرة الّتي وردت من البلاد العربية أثبتت بالمع برهان ان الغاية التي كنا ولا نزال نتوخاها في كتاباتنا أثرت تأثيراً عظيماً فى سورية . فقد رأينا دمشق فضلاءها وعظماءها قد هبت من رقدتها رادة التهم الشنيعة التى الصقها بها المنافقون. فقد نشرنا أمس رسالة برقية منهم اطلع القراء على اسماء موقعيها فاذا هم كبار أعيان دمشق مهد الحضارة العربية . هم العلماء الاجلاء والاشراف العظماء وأرباب الزهد والتقوى فكم يكون خذلان أصحاب الالاعيب العربية في باريس !

« ان هؤلاء المؤتمرين باسم العرب النجباء الذين نظموا بروغرامهم واعدوا

معدات الاختلال واخذوا يوزعون النشرات السرية ستكون لهم عاقبة الممة جداً .والذين قاموا يصيحون في وجههم يصح لكل واحد منهم ان يتكلم عن ولاية عربية برمتها. اسمعوا ما يقول هؤلاء العظماء في تلغرافهم : « ان الذين يرسلون الاحتجاجات ليسوا من العرب في شيء ولا صفة لهم ولا شأن فقد طلبوا من الحكومة آمالاً لم ينالوها فهبوا الان يعادونها وهم عبارة عن فتيان بلا عقل ولا ادب ولا اخلاق . هؤلاء كما انهم لا شيء في الهيئة الاجتماعية فهم ايضاً غير مندوبين من العرب ولا صفة لهم ولا وكالة » فنحن نشكر اعيان الشام وعظماءها الف شكر لانهم ارشدونا الى الحقائق . »

هذا ما قالته طنين واما الجمعية الاتحادية فقد اوعزت الى فرعها في دمشق بان يعطر الحكومة وابلاً من تلغرافات الاحتجاج فلبى طلبها وانهالت التلغرافات على الباب العالي بعضها بامضاء وبعضها من غير امضاء وكلها على النسق التالي: « ان القايمين بفكرة الاصلاح في سورية فئة من المتشردين الفارين من وجه الحكومة السنية . فجميع اهل سورية مسلمين ومسيحيين يكذبون افتراآتهم ويظهرون للحكومة امتنانهم وسرورهم من طرز الادارة الحاضرة التي اعلت شأن الدولة ورفعت منار الدين »

ثم قالت طنين أيضاً في ٦ مايو سنة ١٩١٣ بعنوان « مؤتمر غريب » ما معناهُ : « ان موقعي بيان المؤتمر دخلوا في الجنسية الفرنسوية ولم يبق لهم أقل صلة بالعربية والاسلامية فمؤتمرهم الذي يعقد في باريس على ما جاء في بيانهم عارٍ عن كل أهمية. واذا كان موقعوه يسمون حقيقة باسم العرب فلماذا لا يدعون مندوبين من كل البلاد التي ينطق سكانها بالضاد ؟ »

هذا هو المنطق الغريب والدسائس السافلة التي اعتمد الاتحاديون عليها لمناهضة المؤتمر ولكنهم لم يكتفوا بذلك فقط بل قرروا استعمال الشدة والعنف

فقالت جريدة تصوير افكار: « يجب علينا أن نفتح البلاد العربية من جديد » وجعلت الحكومة تفكر في أمور شتى تمهيداً تضرب العرب ضربة قاضية منها

أولاً تعيين الشريف حيدر شريفاً على مكة المكرمة . فلم تتمكن من ذلك لاسباب لا مجال لذكرها الآن (١)

ثانياً ارسال حملة على العراق بقيادة جاويد باشا وحسني باشا ووهيب بك فامطرها العراقيون وابلاً من تلغرافات الاحتجاج على هذا التعيين واظهروا من الشدة ما جعل الحكومة تدرك ان ارسالها حملة عليهم مفتاح ثورة يستطار شرارها ولا تؤمن عاقبتها فاضطرت الى العدول عنها

ثالثاً السعي لارسال حملة على البلاد العربية تقضي على الفكرة القومية في سورية والعراق ثم تستأنف الزحف الى شبه الجزيرة لمحاربة السيد الادريسي وغيره من أمراء العرب ولكن الاتحاديين وقع بينهم الخلاف بعد وصول جاويد باشا قائد هذه الحملة الى سورية فقال فريق منهم بوجوب الزحف تواً على السيد الادريسي وقال فريق آخر بوجوب تأديب السوريين وفضل آخرون ارسال الحملة على العراق لاغراء القبائل والامراء بالمال وتأديب العرب بالعرب

رابعاً عزم الحكومة على اقفال المنتدى الادبي في الاستانة والكلية العثمانية في بيروت ومنع الصحف العربية المصرية وغير المصرية من الدخول الى

---

(١) أرسل مبعوثو العرب في تلك الاثناء الكتاب التالي الى سيادة الشريف حسين وهو:

« الى السيد السند المعظم والشريف الاعظم حسين باشا أمير مكة أدامه الله

« نحن نواب العرب في مجلس المبعوثان نقرك على امارة مكة ونعترف لك دون سواك بالزعامة الدينية على جميع الاقطار العربية لانك الآن خلاصة بيت الرسول صلى الله عليه وسلم . واجماعنا هذا هو بالنيابة عن أهل بلادنا نجهر به عند الحاجة . والله يحفظك لأمتك ويساعدك لدفع الشر عن دينك »

البلاد العثمانية وذلك اكراماً لصنائع الاتحاديين الذين جأوا الاستانة بدعوة من الحكومة لمناهضة الاصلاح

خامساً قرار الاتحاديين على اغتيال زعماء العرب وقادة ارائهم كطالب بك النقيب وغيره. ومحاولتها اغتيال الزعيم العراقي الكبير معروفة عند قراء الصحف فقد عينت لهذا الغرض ضابطين من كبار الضباط الاتحاديين في وظائف كبيرة في البصره وهما فريد بك الذي جعلته قائداً لموقع البصره وعاكف بك الذي عينته قومندانا للجندرمة فيها وارسلت معها عدداً كبيراً من الفدائيين فما استلموا زمام وظيفتهم حتى جعلوا يبعدون ضباط العرب الى الاناضول ليتسنى لهم تنفيذ اوامر الحكومة ولكنهم وقعوا في الشرك الذي نصبوه لزعماء الاصلاحيين في العراق فسلم طالب بك واصحابه وقتل فريد بك وتشتت شمل اعوانه وانصاره وفشلت خطة الاتحاديين فشلاً تاماً في البلاد العربية

الاتحاديون بعد المؤتمر العربي

عجزت الحكومة الاتحادية عن منع المؤتمر وفشلت في كل الدسائس التي دستها على الامة العربية فلم ترَ بداً بعد ذلك من تغيير خطتها والتظاهر بالميل للعرب ولا سيما الاصلاحيين منهم فاوفدت مدحت شكري بك سكرتير جمعية الاتحاد والترقي الى باريس للاتفاق مع المؤتمر العربي الذي كان يمثل معظم الاحزاب العربية الحرة والجاليات العربية في اوربا واميركا ومفاوضته في ما يطلب من الاصلاح للبلاد. فاتفق معه على امور شتى لم تقرر الحكومة الا قسماً منها كما سيجيء

الفصل الثالث

﴿ الاتفاق المزعوم بين العرب والترك ﴾

مظاهرات العرب في الاستانة — الخطب والولائم — وفد مؤتمر باريس واعماله
الوفد الاتحادي — مهمة الزهراوي في الاستانة — تعيينه في مجلس الاعيان
قرار الشبيبة العربية

أصدرت الوزارة الاتحادية في أوائل اغسطس سنة ١٩١٣ القرار الرسمي التالي ونشرتهُ في صحف الاستانة وهذا تعريبهُ :

«انهُ بالنظر الى الضرورات واختلاف الامزجة في الولايات العثمانية والى وجوب ترقية البلاد واسعاد أهلها وزيادة رفاهيتهم تقرر بعد الاتكال على الله ومفاوضة الولايات

«أن يعهد في ادارة الاوقاف الموقوفة على عمل الخير المحلي بحسب شروط الواقف الى مجالس الجماعات في الولايات وذلك بموجب قانون جديد ينشر قريباً

« ان تكون الخدمة العسكرية في زمن السلم في دائرة التفتيش الا اذا رأت الحكومة لسبب ما حشد قسم من الجنود في جهة من الجهات فترسل العساكر على الطريقة النسبية الى الولايات البعيدة كاليمن والحجاز وعسير ونجد

«أن يكون التدريس باللغة العربية في جميع مدارس الولايات التي تتكلم اكثرية سكانها هذه اللغة وذلك لتوفير أسباب المدنية التي تحتاج اليها في الحال وفي الاستقبال . هذا ولما كانت هناك فائدة اساسية من التدريس باللغة العربية في جميع المكاتب فيجب مباشرة ذلك الآن في المكاتب الرشدية والاعدادية وتوفير أسباب التدريس العالي بلغة الاكثرية أيضاً بشرط أن يبقى التدريس

باللغة التركية كما كان في المكاتب الاعدادية في حواضر الولايات وذلك لتعميم اللسان الرسمي

« أن يعين المأمورون من الواقفين على اللغة العربية علاوة على اللغة الرسمية وان ينظرحين تعيينهم الى هذا الشرط . وتعين الحكومة المركزية المأمورين الذين يقتضي لتعيينهم ارادة سنية . أما المأمورون الثنويون فيعينون بمقتضى القانون الجديد . وقد أبلغ هذا القرار الى وزارات الحربية والمعارف والاوقاف للعمل به . وكان قد تقرر استقدام مفتشين من الاجانب لكل ولاية من الولايات على قدر الحاجة . ولذلك جاء في قانون الولايات الجديد ان المصاريف المحلية ولا سيما عجز ميزانية المعارف والنافعة (الاشغال) تضاف الى ميزانية الولاية . وعلى الولاية ان لا تخرج عن دائرة الصلاحية الممنوحة لها في قانون الولايات فيجب بذل الهمة .. » انتهى

***

هذه هي الاصلاحات التي منحتها الحكومة الاتحادية للعرب وقبل العرب بها حسماً للخلاف . ولا يظنن القاري أن الغموض الذي يراه في قرار الوزارة نشأ عن ركاكة الترجمة . فالغموض في الاصل التركي عينهِ وقد تحريت في الترجمة ذلك الاصل جهد امكاني . ومما يدلنا على ان الغموض كان مقصوداً ما جاء في ذلك القرار في شأن التعليم . فقد ورد فيه « ان التدريس يكون باللغة العربية في الولايات التي يتكلم سكانها هذه اللغة » ثم حصر التدريس باللغة العربية « في المكاتب الرشدية والاعدادية » فقط ثم اشترط « بقاء التدريس باللغة التركية كما كان لاجل تعميمها » فهل فهمنا شيئاً من هذه القرارات المتناقضة وهل علمنا بأية لغة تدرس اعداديات بيروت ودمشق وبغداد لا سيما وأنهُ ليس في البلاد العربية مكاتب اعدادية الا في حواضر الولايات

ولم يرد ما يستحق الذكر في ذلك القرار في ما يتعلق بالمأمورين الا شرط وقوفهم على اللغه العربية . ولكن هذا الشرط لا معنى لهُ ولا فائدة منهُ لان الحكومة كانت تجد اناساً لا يعرفون من اللغة العربية الاّ « ظرب ظربوا » وتقول انهم واقفين على أسرارها وتعينهم في البلاد العربية « لتضلعهم من لغة سكانها » وقد قالت طنين في هذا الشأن في عددها الصادر في ٣ أغسطس سنة ١٩١٣ «يجب أن لا نفتش الآن على مأمورين واقفين على كنهِ اللغة العربية وقوفاً تاماً بل يجب أن ننظر في القدمية والاستقامة والعفة قبل الوقوف على اللغة» أما مسألة جعل الخدمة العسكرية اجبارية في دائرة التفتيش في نفس الولايات فكانت مرضية للعرب ولكن الاتحاديين أكرهوا السلطان على رفضها ورفض مايتعلق بالاوقاف أيضاً فلم يبق في تلك القرارات بعد ذلك الا ماورد ذكره في قانون الولايات

مظاهرات العرب في الاستانة

وقد كان لهذا القرار أحسن وقع في بعض الاندية العربية ولا سيما في الاستانة لان جمعية الاتحاد والترقي وعدت زعماء العرب رسمياً بأنها عزمت على اجابة كل مطالبهم وانها لم تشأ أن تعلن ذلك في الصحف لئلا تطمع سائر العناصر العثمانية بها وتحذو حذو العرب معها . وفي الساعة الثالثة بعد ظهر الثلاثاء في ٥ أغسطس سنة ١٩١٣ قصد وفد من ابناء العرب الباب العالي ليشكر للحكومة وعودها ويطالبها بالتعجيل في البر بها وتنفيذها وقد تألف ذلك الوفد بعد عناء شديد — لان فريقاً من أبناء العرب كان غير مرتاح الى تأليفهِ — من الشريف حيدر ونجليه الشريف محيي الدين والشريف مجيد ومحيي الدين باشا الجزائري وابراهيم بك صوصه والمونسنيور شريم وشكري باشا الايوبي وشكري بك الحسيني وبديع بك المؤيد ونجيب بك شقير ومعروف افندي الرصافي

والشيخ عبد العزيز جاويش وسامي بك العظم والدكتور حسين حيدر وعبد الكريم افندي الخليل. فقدمهم الشريف حيدر الى الصدر الاعظم واحداً واحداً وألقى فخامتهُ خطبة طويلة أعرب فيها عن ارتياحهِ الى ازالة سوء التفاهم بين العرب والترك فقال ان غاية وزارتهِ إسعاد العنصر العربي الكريم أخلص العناصر العثمانية للخلافة العظمى. وألقى الشيخ عبد العزيز جاويش خطبة باللغة العربية شاكراً تلك العواطف فقال ان لا قوة في المستقبل تقدر أن تفرق بين العرب والترك ثم تقدم المرحوم عبد الكريم الخليل وألقى الخطبة التالية باسم الشبيبة قال :

« ياصاحب الفخامة ، أتشرف بالمثول بين يديكم بالاصالة عن نفسي والنيابة عن الشبيبة العربية للقيام بواجبين من أهم واجبات الاخلاص . فالواجب الاول هو تهنئة الحكومة العثمانية باسترجاع أدرنه من يد العدو وشكر الجيش العثماني المظفر على هذا النصر الباهر

« أما الواجب الثاني فهو شكر فخامتكم وسائر أركان الوزارة الكرام على تقديرها الاصلاح في البلاد العربية حق قدرهِ وعلى وعودها باعطاء الحقوق المدنية والسياسية للامة العربية واشراكها في أمور الحكومة. فالشبيبة العربية تشكر لكم هذا العمل العظيم الذي تعدهُ فاتحة سعادة ورفاه لهذا الملك المحبوب. فلتطمئن فخامتكم وهيئة الوكلاء الكرام لان الامة العربية التي تقدر هذه القرارات حق قدرها تسعى جهد طاقتها وتبذل جميع مساعيها لرقي هذا الوطن المشترك وسعادتهِ ونجاحهِ ولهذا أرجو من صميم الفؤاد تنفيذ قرارات الاصلاح بأقرب ما يمكن . ولكن أتجرأ على أن أشرك شكري بذكر بعض ما تتمناه الامة العربية مستميحاً المفو من لدن فخامتكم

« ان بقاء الادارة العرفية في بيروت منذ سنتين يدعو الى الاسف واننا نلتمس رفعها ونرجو رفع المنع عن الصحف المصرية والسماح بنشر الجرائد المحلية

المقفلة لاننا لا نشك في اخلاصها لهذا الملك وذلك رغبة في تعميم الشكر وانتقاله من قلوب الناس الى أعمدة الصحف ولانها بايفاء وظيفتها الوطنية تسهل وظيفة الحكومة كثيراً

«وهناك مسألة ثانية وهي مسألة بيع الاراضي المدورة — الجفالك — في البلاد العربية ولا سيما فلسطين لان دخول الاجانب اليها وحرمان أهاليها من مواردها مما لا ترضونهُ فخامتكم. فالتمس من حنان الحكومة السنيه اتخاذ قرار قطعي موافق في هذا الشأن »

وفي مساء ذلك اليوم أولمت الشبيبة العربيه وليمة شائقه في فندق توكتليان لخمسة وأربعين مدعواً من عظماء الترك والعرب منهم طلعت بك وجمال باشا وانور باشا وخليل بك وسليمان أفندي البستاني والشريف جعفر والشريف حيدر والشريف محيي الدين والشريف مجيد وغيرهم . وقبل توزيع الحلوى نهض المرحوم عبد الكريم الخليل وشكر للمدعويين اجابتهم دعوة الشبيبة العربية وأعرب عن سروره بازالة سوء التفاهم بين العرب والترك وطلب مساعدة الحاضرين من أركان الوزارة وجمعية الاتحاد والترقي للتعجيل في تنفيذ قرار الاصلاح

وتكلم طلعت بك فقال انهُ هو وجمعيتهُ وزملاؤه الوزراء يخدمون العرب باخلاص من زمن بعيد . واستشهد على ذلك بالشريف حيدر وانكر وجود سوء التفاهم ونسب كل مساعيهِ الاصلاحية الى جمعيتهِ ثم طلب من فتحي بك سكرتير جمعية الاتحاد والترقي في ذلك الحين — وسفير الدولة في صوفيا اليوم — أن يتكلم باسم الجمعية فوقف فتحي بك وشكر للشبيبة العربية بالاصالة عن نفسهِ والنيابة عن الاتحاديين تكرمها بدعوتهم الى العشاء وأعرب عن رغبة الجمعية في الاصلاح وعن عزمها على انجاز ما وعدت به وتلاهُ

بابان زاده اسماعيل حقي بك وزير المعارف في ذلك الحين لحث العناصر على الائتلاف والاتحاد

وخطب سليمان أفندي البستاني ناظر الزراعة والمعارف حينئذ فاستهل خطبتهُ بهذا البيت

واذ تألفت القلوب على الهوى فالناس تضرب في حديد بارد

ثم تكلم بالنيابة عن الحكومة التي هو عضو منها وصرح بانها عزمت على اجراء الاصلاح الحقيقي عزماً اكيداً وانها ستنيل العرب أموراً لم يفكروا فيها بعد لانها تعرف ما هو الواجب وتريد اصلاح الحال »

وفد الاصلاح في الاستانة — وعلى أثر ذلك أبرق المرحوم عبد الكريم الخليل الى باريس يدعو أعضاء المؤتمر العربي الى الحضور لمراقبة تنفيذ الاصلاح . فاوفد المؤتمر ثلاثة من أعضاءهِ هم سليم أفندي سلام والمرحوم الشيخ أحمد طباره والمرحوم مختار بك بيهم فوصلوا الى الاستانة الساعة الواحدة بعد ظهر الجمعة في ١٥ أغسطس سنة ١٩١٣ وجرى لهم استقبال لم تشهد الاستانة أعظم منهُ وبعد ان زاروا المنتدى الادبي واستراحوا هنيهة فيهِ اجتمعوا بمعتمدي الجمعيات العربية وبسطوا المهمة التي جاؤا من أجلها فقالوا انها ايضاح المبهم في الاتفاق الذي أعلنتهُ الحكومة ومفاوضتها في تعيين بعض زعماء الاحزاب العربية في مناصب الدولة وحملها على الاعتراف رسمياً بالاتفاق السري الذي أبرم بين جمعية الاتحاد والترقي والمؤتمر العربي

وجعل وفد مؤتمر باريس يفاوض رجال الحكومة وأهل الحل والعقد منذ ثاني يوم وصوله .وفي ٢٣ أغسطس قابل أعضاؤهُ السلطان فاعربوا لهُ عن تعلق العرب بالعرش العثماني ورجوا منهُ أن يأمر الحكومة بتنفيذ الاصلاح على جناح السرعة لان الاصلاح هو الطريق الوحيد لترقية البلاد وانماء ثروتها

واسعاد سكانها فشكرهم ووعدهم خيراً

وفي ٢٧ أغسطس زار أعضاء الوفد ولي العهد فقابلهم بكل سرور وارتياح وخطب حضرة سليم أفندي سلام بالتركية معرباً عن تعلق العرب بسموه لما يسمعونهُ عن محبتهِ لهم. وعقبهُ المرحوم عبد الكريم الخليل فتكلم بالمعنى نفسه ثم خطب المرحوم الشيخ أحمد طباره بالعربية فاستهل خطبتهِ بهذه العبارة «اخاطب سموكم بلسان عربي مبين لسان القرآن الكريم والنبي العربي العظيم القائل «من أحب العرب فبحبي أحبهُ» وقال ان ما سمعهُ عن حب سموه للعرب قد تحققهُ بنفسهِ وتمنى لو يزور سورية. فشكر سموه للوفد هذه العواطف شكراً جزيلاً ووعدهم بان يفرغ قصارى جهده لاصلاح الحال في البلاد العربية

وأولمت جمعية الاتحاد والترقي في مساء ذلك اليوم (الاربعاء في ٢٧ أغسطس) وليمة شائقة باسم الشبيبة العربية دعت اليها وفد الاصلاح وكل الوزراء العثمانيين وبعض عظماء الترك والعرب في الاستانة. ولما فرغوا من الطعام وقف فتحي بك فتكلم باسم جمعية الاتحاد والترقي. فقال ما معناه:

« في اجتماع مضى كهذا الاجتماع تبودلت عواطف السرور بالاتفاق الذي تم بين العرب والترك. فأعيد الآن ما أبديته من السرور في ذلك الاجتماع أمام أعضاء وفد المؤتمر العربي المؤلف من سليم افندي سلام والشيخ احمد طباره ومختار افندي بيهم وأشكر لهم مساعيهم الحميدة وغيرتهم الصادقة وأرجو أن يكون هذا الاتفاق مقدمة عهد سعيد للامة والدولة »

وعقبهُ المرحوم عبد الكريم الخليل فقال ما تعريبهُ:

« ينشرح صدري ويسر فؤادي كل ما رأيت مثل هذه الاجتماعات التي تضم الترك والعرب معاً لانها واسطة لتوقيف الاخ على أفكار اخيهِ وأميالهِ وعواطفهِ. فبمثلها تحتك الخواطر وتسطع انجم الحقائق فيندفع كل من الاخوين

على أخيه ويتعانقان بكل شوق وحنان اذ يتبين لكل منهما ان الغاية واحدة وطريق الوصول اليها واحدة فيتصافيان وفي تصافيهما قوة المجموع العثماني تزود عن بيضة الملك في معترك الحياة . وعلى ذلك فاننا مديونون لجمعية الاتحاد والترقي المركزية لقيامها بمثل هذه الحفلات

«ثم ان سرورنا بهذه الحفلات لعظيم لانها تحل المعضلات وتزيل عقد المشكلات . فقد كانت مسألة العرب والترك بالامس ذات خطر وخوف وقد جعلها أهل التمويه والاغراض أعقد من ذنب الضب فتيسر حلها بمثل هذه الاجتماعات حلاً ملائماً للعنصرين العربي والتركي. فبعد ما كادت هذه المسألة تقضي على كيان الدولة صارت اليوم بحسن التفاهم بين العنصرين مادة حيوية فيها سعادة الدولة وفلاحها .فان سعادة الذين كشفوا الستار عن حقيقة المسألة العربية تحا كي اليوم تعاسة الذين رغبوا في تشويهها وانكار أهميتها.ولما كان اهل بيروت اصحاب الغيرة والحمية — هنا هتف طلعت بك قائلاً فلتحي بيروت — هم اول الذين تجسم لهم خطر المسألة وهبوا للقيام بما اوحتهُ اليهم ضمائرهم الحية فانا اشكرهم باسم الشبيبة وباسم الامة العثمانية واسدي ايضاً مزيد الشكر الى سائر جمعيات الاصلاح التي ألفت في اقطار العالم واخص بالذكر جمعيات مصر وباريس واميركا واشكر ايضاً لحضرات الاعيان الذين اتوا من ارجاء البلاد العربية كلها لعقد المؤتمر العربي في باريس وقاموا بواجبهم المقدس بكل حكمة وفهم وقوة واشكر لهيئة الاتحاد والترقي المركزية واركان الحكومة السنية نظرهم الى الحقائق التي اكتشفها لهم القائمون بالاصلاح نظر الغيرة والاهتمام واقدامهم على اتخاذ التدابير اللازمة غير مبالين بذوي الاغراض والغايات »

ثم نهض المرحوم الشيخ احمد طباره فقرأ الخطبة التالية باسم وفد المؤتمر العربي وهي : —

« حيا الله هذا الجمع الشريف واحياه وبارك في هذا الاتفاق واتمهُ

« ايها السادة

« يقول حكماء العرب في امثالهم صديقك من صدقك لا من صدّقك . وهي لعمري حكمة بالغة يجدر بكل عاقل أن يضعها نصب عينيهِ وان يجعلها نبراساً يستضيء به في حياتهِ الاجتماعية فان دولتنا العلية ايدها الله باتت في اشد الحاجة الى رجال يصدقونها في اقوالهم واعمالهم لا ان يصدّقوها في كل شيء نافعاً كان اوضاراً . وحسبنا ما تجرعناهُ من مرارة هذه السياسة الخرقاء قبل الدستور وبعدهُ

« انا ان رأيت الخطر محدقاً بصديق تهمني حياتهُ فالمروءة تقضي عليّ ان انبههُ اليه وان اسعى لانقاذه منهُ حرصاً على حياتهِ العزيزة اما انكاري للخطر وانا اراهُ فلا يلتئم مع الصداقة والمروءة في شيء . فنحن نعتقد ان العرب والترك اخوان صنوان لا غنى لاحدهما عن الآخر وان حياة هذا الملك تتوقف عليهما فمن مصلحتهما ومصلحة الدولة ايضاً ان لا يكون بينهما سوء تفاهم على الاطلاق، فانكار سوء التفاهم مع وجودهِ مضرٌّ بهما معاً ومنكره غير محب لهما معاً وانما المحب هو الساعي الى ازالة سوء التفاهم بين الفريقين . وتوثيق عرى المحبة والوداد بينهما هو أساس نجاح الملك ، هو الثقة بين الامة والحكومة . وعلى قدر هذه الثقة يكون حظ الملك من التقدم والنجاح . واساس الثقة هو عدم الاستئثار بشيء واعطاء كل ذي حق حقهُ . على هذه القاعدة الاساسية بنينا طلبنا للاصلاح حفظاً لهذا الملك بعد ما رأينا العيون شاخصة اليهِ والاطماع حائمة حولهُ . فكنا في طلبنا هذا اكثر حباً لهُ من الذين كانوا يقولون ان الوقت غير مناسب للاصلاح مع ان الاصلاح ليس لهُ وقت معين بل كلما اشتد المرض على المريض كان استقدام الطبيب لهُ الزم وتناول العلاج لهُ احوج واكفل

« لقد صرحنا بملء افواهنا ونصرح الآن وفي كل زمان ومكان اننا نشأنا تحت ظل الهلال العثماني (تصفيق) ونريد أن نعيش تحت ظله ونموت تحت ظله (تصفيق) واعني « بنحن » العرب واعني بالعرب كل ناطق بالضاد لا فرق في ذلك بين المسلم وغير المسلم (تصفيق) لا نرضى من دولتنا العلية بديلاً . واننا نفديها بارواحنا وأموالنا (تصفيق) وانما نطلب لها الحياة السعيدة والعيشة الراضية لنعيش واياها في سعادة وهناء ورضاء على قاعدة الاشتراك في الحكم وتبادل الحقوق

« ولا نحتاج في هذا المقام الى زيادة ايضاح بعد ما حصحص الحق و بان وظهر الصبح للعيان وصرح فخامة الصدر الاعظم وحضرة ناظر الداخلية وغيرهما من كبار رجال الدولة بامور خطيرة الشان وقدروا أهمية القائمين بالاصلاح حق قدرها واثنوا على وطنيتهم اطيب ثناء . على ان هؤلاء يعتقدون انهم انما فعلوا ما يفرضهُ عليهم الواجب والصداقة والاخلاص لدولتهم ووطنهم وامتهم

«لقد سر جميع العقلاء من العرب والترك بالاتفاق الذي تمّ بين عنصريهما وبات الكل ينتظرون تنفيذهُ ليجنى الوطن ثمره النافع ولا سيما بعد ما اكد لنا فخامة الصدر الاعظم وحضرة ناظر الداخلية تأكيداً ما وراءهُ زيادة لمستزيد ان ان هذا التنفيذ واقع لا محالة في القريب العاجل وان الدولة لا تقف بالاصلاح عند هذا الحد بل تزيدهُ وتعززهُ كلما سنحت الفرصة .

« ونحن نعتقد ان هذا الاتفاق النافع لا تنحصر فوائده في العرب بل في العرب والترك معاً وان القائمين به عرباً كانوا او تركاً انما هم يعملون لسعادة الفريقين معاً وسعادة الملك العثماني لانهُ على قدر ارتقاء العرب في سلم الحضارة والعمران يكون ارتقاء هذه الدولة ونجاحها

« من اجل ذلك اهنىء الترك والعرب معاً بهذا الاتفاق السعيد المبني على

الحقوق المدنية والسياسة واضرع الى الله سبحانهُ ان يجعلهُ فاتحة عصر جديد مجيدٍ للدولة العلية وان يوفق رجالها الى كثير من الاصلاحات الحقيقيـة الذي يحيا بها الوطن العثماني حياة سعيدة راقية واشكر للساعين فيه غيرتهم الوطنية
واول الغيث قطر ثم ينهمل

« ويتساءل فريق من الناس أيها السادة قائلين اتظهر الحكومة هذه الاصلاحات من حيز الوعود الى علم الوجود ؟ فالذي اراهُ انهُ ليس من مصلحة الدولة البر بالوعد والوفاء فقط بل ان تسبق اعمالها اقوالها من الآن وان تعتمد على الله وعلى نفسها وعلى الامة في انجاح الوطن فتصبح الامة العثمانية على اختلاف مذاهبها يداً واحدة في انهاض الوطن واسعاده ولنا في عظم استعداد ابنائنا خير كفيل للنجاح في اقرب آن

« وفي الختام نسأل الله ان يوفقنا جميعاً الى ما فيهِ خير الدولة وسعادة الوطن وان لا يجعل للاغراض الذاتية سلطاناً علينا وان نرى في النوائب الاخيرة خير واعظ لنا لاننا ان لم نعتبر بها فلا حياة لنا بعدها . وكثيراً ما تكون النوائب سبباً فى الفوائد والله وليّ التوفيق »

***

ولكن الحكومة الاتحادية التي تظاهرت بالاخلاص للعرب كانت في الباطن تضمر لهم الشر وتدبر لهم مكيدة في السر فقد استدعت بعض صنائعها السوريين الى الاستانة وكلفتهم معاكسة احرار العرب والمجاهرة بأن البلاد العربية لا تحتاج اصلاحاً.وكان في جملة هؤلاء المذبذبين النفعيين عبد الرحمن بك اليوسف والامير شكيب ارسلان ومحمد باشا العظم والشيخ اسعد شقير وغيرهم من اللائذين بها والمرتزقين من وظائفها او من نهب الفقراء بواسطتها . فما وصلوا الى الاستانة حتى حملوا حملة شديدة على القائمين بالاصلاح فصرح احدهم لمحرر

تصوير افكار بأنهم لم يأتوا الى الاستانة من تلقاء انفسهم وأن الحكومة استقدمتهم اليها لمشاورتهم في امر الاصلاح وقال ان العرب يأسفون جداً لانخداع الحكومة ومسالمتها لشبيبة عربية ليست على شيء من الوطنية غايتها تسليم البلاد الى الاجانب والقضاء على الدولة والاسلام والمسلمين

وقال ثانٍ منهم ان الحكومة وضعت يدها بيد شبان مارقين خائنين لا يعبأ بهم ولا يحسب لهم حساب

أما الثالث فكان يسعى دائماً الى اقناع الرأي العام بأن الامة العربية كافة في قبضة كفهِ وكف اصحابهِ . وقد اجمعوا كلهم على مطالبة الحكومة بابقاء الحال على ما كانت عليهِ حتى ان احدهم الشيخ اسعد شقير قال لاحد محرري الصحف ان بقاء اللغة التركية لغة رسمية في البلاد العربيـة في مصلحة العرب انفسهم لانهم اذا كتبوا الاستدعاآت « العرضحالات » بالعربية وأرسلوها الى الاستانة طالت مدة اقامتها فيها وقد تظل السنين الطوال فيكون العرب الخاسرين!

وقد اتضح لوفد مؤتمر باريس بعد وصول الوفد الاتحادي الى الاستانة ان الحكومة لا تنوي تنفيذ الاصلاح وانها لا تقصد الاّ المطل والتسويف لا سيما وان الارادة السنية صدرت على قرار مجلس الوزراء في شأن الاصلاح بشكل لم يكن يتوقعهُ الاصلاحيون . فجاءت مبتورة في اماكن عديدة وزيد فيها جعل تعليم اللغة التركية اجبارياً في البلاد العربية حتى في المكاتب الرشدية فضلاً عن المكاتب الاعدادية والسلطانية . فتحرج موقف طلاب الاصلاح بسبب ذلك وقرروا مغادرة العاصمة . وقد ارسلوا التقرير التالي الى مندوبي الجمعيات العربية في الاستانة يوم سفرهم منها وهو:

« جئنا الاستانة لتحقيق مواعيد الاصلاح وطلب تنفيذها في اقرب آن . وقد سمعنا من جلالة السلطان وسمو وليّ العهد وفخامة الصدر الاعظم وحضرة

ناظر الداخلية وسائر رجال الحكومة وجمعية الاتحاد والترقي وعوداً صريحة قاطعة لا نستطيع ان نظهر ارتياباً فيها. وأكد لنا فخامة الصدر الاعظم وحضرة ناظر الداخلية غير مرة ان تنفيذ الاصلاح واقع لا محالة في القريب العاجل وان الدولة العلية لا تقف بالاصلاح عند هذا الحد بل تزيده وتعززه كلما سنحت لها الفرص وساعدتها الاحوال فرأينا من المصلحة ان نتظاهر بالرضى لان السياسة تقضي علينا بذلك وعزمنا على السفر الى بلادنا لعرض المسألة برمتها على مسامع الامة واعدادها لقبول الاصلاح اذا ابرت الحكومة بوعدها او لاتخاذ التدابير اللازمة الفعالة للوصول الى غايتنا الشريفة . وقد افهمنا رجال الحكومة حقيقة الحال وقلنا لهم ان هذه آخر مرة نرضى فيها بالوعود فان لم يبروا بها في اقرب آن كانوا هم وحدهم المسؤولين عن تفاقم الامر وسوء العاقبة » ثم تركوا الاستانة بعد ما اعربوا عن استياءهم من سياسة الاتحاديين واستخدامهم بعض صنايعهم في سورية للقضاء على فكرة الاصلاح في البلاد العربية

على ان المرحوم عبد الكريم الخليل وبعض انصاره من شبان العرب في الاستانة لم يقنطوا من الاتحاديين ولم يفقدوا الثقة بهم فواصلوا مفاوضتهم معهم وكانت نتيجة ذلك انهم خدعوا مرة ثانية فاقنعوا المرحوم عبد الحميد الزهراوي باخلاص الاتحاديين للعرب والمجيء الى الاستانة

وفي يوم الثلاثاء ٢٨ اكتوبر سنة ١٩١٣ الساعة الواحدة بعد الظهر وصل المرحوم السيد الزهراوي الى الاستانة على قطار الاكسبرس فاستقبلهُ في محطة السركجي اعيان العرب ونيف وسبعون ضابطاً من ضباطهم وجميع الشبان العرب ملكيين وعسكريين بحماسة عظيمة جداً . ولما وصل القطر واطل سيادتهُ من نافذته هتف الجمهور بصوت واحد «فليحيَ الاصلاح وليحيَ زعماء العرب ولتحيَ الامة العربية » فارتجت ارجاء المحطة من التصفيق والهتاف

وقد استقل سيادتهُ مركبة اعدت لهُ وسار المستقبلون في رتل من المركبات لا يقل عن خمسين مركبة كانت ادارة المنتدى الادبي قد اعدتها لنقلهم الى دارها في «قوم قبو» وكانت حماستهم شديدة جداً

ولما استقر بهم المقام نهض المرحوم الزهراوي وشكر لطالبي الاصلاح حميتهم وتفانيهم في خدمة الدولة والامة واثنى على اتحادهم المتين في المطالبة بالاصلاح ثم سار من المنتدى الادبي مع بعض اصدقائه الى فندق الكونتيننتال في بك اوغلي وبدأت مفاوضاتهُ رسمياً مع مدحت شكري بك سكرتير جمعية الاتحاد والترقي وبعض اعضاء الوزارة في ٣٠ اكتوبر سنة ١٩١٣ اي بعد وصولهِ الى الاستانة بيوم ونصف

لم يمضِ على هذه المفاوضات اسبوع ونصف الاسبوع حتى ادرك السيد الزهراوي رحمهُ الله ان الحكومة تنوي المطل والتسويف فعزم على السفر الى مصر وكان اصدقاؤهُ الآ المرحوم عبد الكريم الخليل يلحون عليهِ بذلك ويحذرونهُ سوء العاقبة . وفي ٢١ نوفمبر رأى سيادتهُ ان يجاهر باستيائه من مطل الاتحاديين فقابل احد محرري الصحف وطلب منهُ ان ينشر في جريدتهِ الحديث التالي بعد ما وقع عليه بخط يده وهو:

المحرر — لقد حان الزمان ايها الاستاذ لان توقف الرأي العام على بعض ما جرى في شأن الاصلاح فماذا تقول ؟

— لا اعلم اكثر منك ولا اعلم شيئاً جديداً فقد اتيت الى الاستانة وفاوضت فريقاً من رجال الحل والعقد في تنفيذ اتفاقهم مع مؤتمر باريس فسمعت من وعودهم ما سمعهُ طالبو الاصلاح من قبل. ولكن ما الفائدة ونحن نريد اعمالاً لا اقوالاً . ولم يعد لي من الوقت متسع للاقامة في الاستانة ويرى اصدقائي ان سفري منها امر واجب وفي كل يوم اتلقى كتباً وتلغرافات تستحثني على التعجيل في السفر الى مصر

— وهل ترجو الانتهاء من هذه المسألة قبل سفرك

— لم افقد الثقة بحسن نية الحكومة بعد ومع ذلك فان سير الامور على منوالها الحالي يوهن عزمي ويثبط همتي ويمنعني من الرد على سؤالك

— ولكن سفرك الآن يعد بمثابة قطع الرجا من الحكومة بتاتاً

— هذا ما اخشاهُ وما افهمتهُ للحكومة فلا عذر لها اذا تجاهلتهُ في مستقبل الايام

— وما هو السبب في مماطلة الحكومة

— اظن السبب خلافاً قام في جمعية الاتحاد والترقي فان فريقاً من اعضائها يؤيد مطالبنا ويروم معاملتنا بالحسنى وفريقاً يرفض مطالبنا كل الرفض ويشير باستعمال الشدة معنا ولا نعلم اي الفريقين يرجح فان استطاع اولهما اقناع ثانيهما كان لنا ما طلبنا والاَّ ساءت العاقبة كثيراً

***

وقد وقع هذا التصريح اعظم وقع في الاستانة فجاهر كثيرون من خيرة الترك علماً وفهماً في الاندية والمجتمعات وعلى صفحات الصحف انهم مدركون حرج الموقف. وقد اعربوا عن رجائهم بان الحكومة تجيب العرب الى مطاليبهم وقالوا ان تمزيق اتفاق باريس او المطل بتنفيذهِ جناية لا تغتفر . وانشأ الكاتب التركي الشهير علي كمال بك مقالة سابغة في جريدة بيام الحَّ فيها على الحكومة في ارضاء العرب واشراكهم في الحكم وهذا بعض ما قالهُ في هذا الشأن:

« اشتهر العثمانيون بطيب سريرتهم اشتهار حكومتهم بسوء سيرتها . وما من احد ينكر ان الحكومة العثمانية تقول ولا تفعل وتعد ولا تفي ولو نهجت في الماضي غير هذا المنهج لاحسنت صنعاً وفتحت ابواب النجاح والارتقاء للامة والبلاد

« يعني الباب العالي اليوم بمسألتين تتوقف عليهما حياة الدولة ومستقبلها . المسألة الارمنية والمسألة العربية .

«فقد اتفقت الحكومة مع العرب واعلنت اتفاقها هذا على رؤوس الاشهاد وصرحت بانها لا تتوانى ولا تتأخر عن اتفاقها مع الارمن فاذا كانت الحكومة قد غيرت خطتها التقليدية ونبذت سياسة التسويف والوعد ظهرياً فالواجب عليها ان تنجز وعدها وتبدأ بالاصلاح فعلاً

« ومن يرغب في شيء لا تقف العقبات في وجهه ولا تحول دونه . فهمة الرجال تدك الجبال والارض ترتجف تحت اقدام ارباب العزم على ما قال شاعرنا التركي . واما اذا ارغم المرء على شيء وعمله مكرهاً من غير طيبة خاطر فلا تكون النتيجة الا الخزلان .

« علينا ان نعترف ان كل ما عملته الحكومة لاصلاح هذا الملك كان على الاكثر من الامور الفرعية فقد اعتبرت القشر دون اللباب والالفاظ دون المعاني فبلغنا الحالة المؤلمة التي نشكو منها اليوم

«فالرجاء ان تعدل الحكومة عن خطتها الماضية التي لا يحسن اتباعها لان المصايب والفوادح التي نزلت بهذه الامة المنكودة الطالع ايقظتها من سباتها العميق وافهمتها حرج الموقف . فاول واجب على الحكومة هو ان تقرن اقوالها بالاعمال في المسألة العربية قبل ان يفوت الزمان فيندم اهل الحل والعقد ولات ساعة مندم

« لقد اطرينا الحكومة وقلنا فيها كل كلمة تسرها يوم اتفاقها مع العرب لانهم ركن الدولة المكين وسندها الاعظم . فعليها في هذه الحال ان تنفذ المطاليب التي اتفقت معهم عليها وليس ذلك فقط بل ان تشركهم في الحكم وتلقي قسماً من المسأولية على عواتقهم

« لقد عشنا في الزمن الغابر غرباء عن العرب وعاشوا هم غرباء عنا . ان بيننا وبينهم رابطة الدين ورابطة الاحتفاظ بالملك فعلينا ان نشدها شداً وان نكون جميعنا عثمانيين فلا يقال هذا تركي وذاك عربي . فعدم تفاهمنا معهم عار عظيم علينا وعليهم ولكن اللوم الشديد واقع علينا نحن الترك وحدنا لاننا نحن الذين ابتعدنا عن العرب كما ابتعدنا عن سائر العناصر

« عرف اهل الغرب ماللعرب النجباء من المدنية الزاهرة والاداب الباهرة فاقتبسوا عنهم. واما نحن فلم نفقه لذلك معنى. فاذا اشترك العرب في الحكم فبشر الدولة بالفلاح والنجاح لانهم يخدمونها جهد طاقتهم بما اوتوه من ذكا وقوة وفهم وحكمة ولا سيما حين يرون ان الوطن العثماني وطنهم والخلافة الاسلامية خلافتهم والسلطنة سلطنتهم. انهم ينضمون الينا وننضم اليهم فنكون متحدين متآخين كالبنيان الثابت المتين

« لقد عرف العرب كافة من مسلمين وغير مسلمين وايقنوا تماماً انهم يستطيعون ان يعيشوا اخوة مع الترك في ظل العلم العثماني فلنقوّم ما اعوج من امرنا معهم ونصلح مافسد من ماضينا في معاملتهم . ولا يكون ذلك الا بان نشركهم في الحكم معنا وننيلهم حقوقهم في مجلس المبعوثان وفي دوائر الحكومة كلها . ولكن نصيبهم من مناصب الدولة الكبيرة والصغيرة جزاء وفاقاً طبقاً لاحكام الدستور . واذا نزلت بنا فادحة بعد ذلك لاتدمع مقلة التركي وحده بل يشاركه العربي في بكاه ويجاهد في الدفاع عنه . لقد آن لنا ان نفهم ان التركي اليوم غيره بالامس فلا هو سيد ولا العربي مسود . فاذا فهمنا ذلك اشتد ازرنا بالعناصر العثمانية ولا سيما العنصر العربي الكريم كما يشتد ازر انكلترا بالانكليزي وفرنسا بالفرنسوي والمانيا بالالماني »

وبعث صاحب جريدة اقدام من لوزان في تلك الاثناء مقالة جعل عنوانها

« السرعة السرعة العجل العجل » قال فيها :

« يا لقومي من التواني اجروا أي بيان اصلاحي استحسنتهُ الحكومة أو وافقت عليهِ ولو كان فيهِ معايب كثيرة . فكل ما هو أوربي يشير الينا الآن من طرف خفي . ان مسألة الاصلاح لم تعد تحتمل ابطاء ولا تخاذلاً . ان اوربا تحبذ الاصلاح وتصفق له لانها تعلم ان في اجرائهُ تأميناً لمصالحها . ولكن كلامنا فيهِ أصم الآذان فاين العمل ؛ ألا تعلمون ان الارمن بلغت شكواهم عنان السماء . ألا تعلمون ان الدول العظمى ولا سيما اللواتي يردن بلع « اللقمة الجديدة » أصغين الى الارمن وأصابت مطاليبهم منهن هوى في النفس . لقد صحت عزيمة الحكومة على اجراء الاصلاح فعلاً فما بالها تمطل . ان مسألة الاصلاح صارت في نظر اوربا كالمسألة الشرقية اهمية وشأناً فاذا لم تحل بالعقل والحكمة حلاً يرضي العناصر العثمانية ويقنع اوربا كانت خطراً على المملكة لا يصد ولا يدفع

« ابدأوا بالاصلاح في كل قطر وصقع ولا تقولوا اننا لم نستعد بعد ولا أعددنا مايلزم لكل ولاية أو قضاء في البلاد . فقولكم هذا يؤخذ حجة على ضعفكم وعلى انكم لا تستطيعون عملاً ولا ترومون اصلاحاً

« لا يغرنكم من الصحف الاجنبية لين ملامسها ألا ترون بين تضاعيف سطورها آصاراً مفزعة . لم يبق لنا وقت للتردد والجمود . فطبيعة العمران لا تقف جامدة . ان كل توان اليوم نحاسب عليه غداً لانهُ ينزل بنا مصائب أليمة فاسمعوا وعوا

« قررنا أن نستقدم مفتشين أجانب ليراقبوا أعمالنا واستحسنا أن يكونوا انكليزاً وقلنا انهم متى رأوا بعيونهم مانجريه من الاصلاح كتبوا عنهُ الى صحف بلادهم فتكون كتابتهم خير معين لنا الى آخر ماقررناهُ وقلناهُ . ولكنني علمت

والاسف ملء صدري ان حكومتنا لم تفاوض أوربا ـ حتى انكلترا والمانيا ـ في شيء من هذا

« ألا فليعلم القائمون بالامر فينا أن حالنا حال غيرطبيعية وان للطبيعة سنناً لابد من التمشي عليها» الى أن قالت :

« فاذا كنا نحن نرى هذا الضعف والاود فينا فما الذي يراه المراقبون لنا الطامعون في مابقي من ملكنا . انهُ بينما الحكومة تذيع انها تريد أن تعين مفتشين أجانب فيطير البرق عزمها هذا الى عواصم أوربا وبينما هي مريدة خلع الثوب القديم ورفع أثقال الحكومة المركزية عن عاتقها نرى طائفةأوطوائف من الجهال البهال الذين لايدركون أسباب ارتقاء الامم يقولون ان استقدام المفتشين الاجانب ومباشرةالاصلاح مضيمان للاستقلال ومهينان لابناء الوطن . كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذباً

«ان أولئك الضالين أو المضلين يكتبون الى الصحف مالايقيمون لهُ وزناً ويعلقون عليه قائلين ان الرأي العام مستاء من ذلك .وبعد أيام يكترون قوماً من بائعي ذممهم ووطنيتهم فيستكتبونهم تلغرافات تبكي وتضحك . المجهول يبكي لها والشكول يضحك منها

«ومن المؤلم جداً ان رجال الحكومة لا يقرأون هذا الهذيان حتى تخور عزائمهم وترتخي قوتهم وتضعف ارادتهم فيختبئوا وراء ستار مترقبين ماتحملهُ الاقدار .ان تاريخنا القديم وتاريخنا الحديث مملوءان بهذه الاحوال والحوادث العجيبة الغريبة

«ان الدولة لا تأمن على موقفها وقد بلغ الغاية من التحرج والخطر اذا ظل أهل الحل والعقد مترددين تارة يحجمون احجاماً حقيقياً وتارة يقدمون اقداماً وهمياً فقد سئمت أوربا هذه الحال التي لايسأل عنها أحد ولا يعرف من المسأول عنها

« عجلي أيتها الحكومة في اجراء الاصلاح فقد عيل صبر طلابه في الداخل

وفي الخارج وباتت البلاد على شفا جرف هار . اتريدين أن يكون مصير الاناضول كمصير الروملي ؟ أتريدين أن يكون مصير اسيا العثمانية كمصير أوربا العثمانية ؟ أيجدينا بعد ذلك نوح الباكين أم ترنم الشادين ؟ »

***

هذا نموذج مما كان يقوله عقلاء الترك وينصحون الحكومة به ولكن الاتحاديين غلبت عليهم النعرة الجنسية والرغبة في الاستئثار بالسلطة فصمموا على رفض كل اصلاح حقيقي للبلاد وعملوا على القضاء على الامة العربية بتحقيق آمال بعض الافراد واتباع سياسة اللين والخداع والمكر والتسويف مع زعماء العرب وقادة آرائهم

ففي أواخر شهر دسمبر سنة ١٩١٣ صدرت الصحف الاتحادية وفي مقدمتها طنين وتصوير أفكار مزينة برسم المرحوم السيد الزهراوي والى يمينه رمز للجيش العثماني والى يساره رمز للاسطول وتحته رسوم صغيرة لانور باشا وطلعت بك وجمال باشا مع العبارة التالية بحروف كبيرة : « بمثل هؤلاء الابطال يعتز الملك وعلى مثل هذا الاتحاد تشيد الدولة العثمانية مستقبلها العظيم »

وفي صباح الاحد في ٤ يناير سنة ١٩١٤ صدرت الارادة السنية بتعيين المرحوم عبد الحميد الزهراوي وعبد الرحمن بك اليوسف ومحمد افندي بيهم ويوسف افندي سرسق ومحيي الدين افندي النقيب واحمد افندي الكخيا أعضاء في مجلس الاعيان العثماني . فوقع هذا الخبر وقوع الصاعقة في البلاد العربية ولاسيما في الشبيبة التي رأت في قبول السيد الزهراوي بمنصب الاعيان أكبر ضربة على الاصلاح الذي لم يكن نفذ منهُ شيء على الاطلاق . فأظهرت عدم ارتياحها الى عملهِ وتبرأت منه والقت عليهِ وحدهُ تبعة الحوادث التي كانت تتوقعها

وقد أدرك رحمهُ الله في الحال عظم الخطأ الذي ارتكبهُ فأبلغ الشبيبة انهُ

مستعد لتقديم استعفاءه اذا أُصرت على ذلك وانهُ لم يقبل بهذا المنصب الاّ لمساعدة الحكومة على تنفيذ الاصلاح بالسرعة اللازمة مع بعض زعماء العرب الذين قرّ القرار على تعيينهم قريباً في مناصب عالية. فأجابتهُ الشبيبة قائلة انها قطعت كل صلاتها السياسية معهُ وان حزب اللامركزية هو المسؤول عن أعمالهِ فاذا شاء أن يقرر الاستعفاء أو عدمه فما عليهِ الاّ أن يستشير ذلك الحزب الذي عين باسمهِ عضواً في مجلس الاعيان

ورأت الشبيبة من جهة أخرى ان المرحوم عبد الكريم الخليل لم ينهج منهجاً يلائم خطتها في مفاوضتهِ مع الحكومة فاستدعتهُ لاستيضاحهِ عما جرى في أمر الاصلاح الى ذلك التاريخ وعن موقفهِ ازاء الحكومة والجمية وعدم ممانعتهِ في قبول المرحوم الزهراوي بمنصب الاعيان فوافاها الى دار المنتدى الادبي في الموعد الذي ضربتهُ لهُ . وكان بانتظارهِ هناك مايزيد على الف رجل من أعيان العرب وأدبائهم وشبانهم . وبعد المداولة في الامر أعلن رحمهُ الله انه لا يستطيع أن يبوح بأسرار سياسية تتعلق بالمسألة العربية أمام مئات من الناس . فقرّ القرار حينئذ على انتخاب نجيب بك شقير صاحب جريدة بيام الركية والمرحوم سيف الدين الخطيب وأسعد افندي داغر والمرحوم جلال افندى البخاري وصبحي بك حيدر ليجتمعوا بهِ في جلسة سرية ويقفوا على مجرى الاحوال السياسية فاذا وجدوا ماثم في جانب الامة العربية فبهِ والا أعلنوا عدم اعتماد الشبيبة له

وقد اجتمع هؤلاء المنتخبون بالمرحوم عبد الكريم الخيل في ٧ يناير سنة ١٩١٤ في جلسة سرية في بيرا (بك اوغلي) دامت من الساعة الثالثة بعد الظهر الى الساعة الثالثة والنصف بعد نصف الليل . ومما قاله رحمه الله في تلك الجلسة ان قبول المرحوم عبد الحميد الزهراوي الانتظام في سلك الاعيان خير من عدم قبوله لانهُ يفعل في المجلس مالا يقدر على فعله في خارجه اذ يكون له من

الكلمة النافذة والقوة على الاقناع في الجمعية الاتحادية ما يبلغ به ابناء العرب المطالب التي يرمون اليها « وعصفور في اليد ولا عشرة على الشجرة» وان سيادته رحمه الله لم يقبل هذا المنصب الاّ لان الاتفاق السري الذي ابرمه باسم الاصلاحيين مع جمعية الاتحاد والترقي يحتوي على فوائد عظيمة للعرب لا سبيل الى الحصول عليها الاّ بالتدريج ومع الزمن خوفاً من هياج العنصر التركي وسائر العناصر العثمانية على الحكومة ومطالبتها بمثل ما نال العرب منها. فمثل هذه الفوائد العظيمة يجب ان نفدي في سبيل الحصول عليها ردحاً من الزمن وان لا نتألم من الانتظار لان جمعية الاتحاد والترقي اخلصت لنا ووضعت يدها بيدنا. الى ان قال: «ولا انكر عليكم ان اهم الاسباب التي اضطرت عبد الحميد افندي الى قبول منصب الاعيان واثبات الاتفاق العربي التركي بادلة جلية واضحة عظم اطماع الاجانب في بلادنا العربية ورغبتهم في انتهاز فرصة اختلافنا مع الترك لتحقيق آمالهم فيها. وهذا السبب وحده يكفي لتبرئة السيد الزهراوي في نظركم فضلاً عن ثقتنا التامة باخلاص الاتحاديين لنا وارتباطهم معنا بعهود رسمية في مصلحة جمعية الاتحاد والترقي ان تبر بها اذا شأت ان تظل الحكومة في قبضة يدها» ولم تكن تصريحات عبد الكريم افندي مقنعة بالاجمال ولكن رغبة اعضاء اللجنة في اجتناب كل ما يؤول الى اشتداد الازمة بين الترك والعرب جعلهم يصدرون القرار التالي الذي اعلن في ٩ يناير في صحف الاستانة وفي ١٠ منهُ في صحف بيروت وفي ٢٤ منهُ في صحف مصر وهذا نصه :

« اجتمعنا نحن الموقعين اسمائنا ادناه بمعتمد الشبيبة العربية عبد الكريم افندي الخليل اجتماعاً طويلاً في جلسة خصوصية. وبعد المفاوضة معهُ وجدنا مبادىء الاصلاحات العمومية الاولى حسنة على ما يظهر ولكن امر التنفيذ لم يصل الى الدرجة المطلوبة وليس فيه ما يوجب السرور ولكننا نرى ان الوقت

الحاضر لا يساعدنا على اظهار الاستياء من سير الاحوال لان ذلك يشوش على المصلحة العامة وربما يقف عقبة في طريقها فلا يجوز الان عدم اعتماد عبد الكريم افندي بل يجب انتخاب لجنة استشارية من اربعة اشخاص تشد ازره ويرجع هو اليها ويستشيرها في مفاوضاته استشارة خاصة . ولا صلة لهذه اللجنة بالحكومة وانما صلتها بعبد الكريم افندي الذي يبقى الرسول الوحيد بين الشبيبة والوزارة وجمعية الاتحاد والترقي لان ذلك اقرب الى المصلحة العامة »

(الامضاآت)

وجعلت الحكومة بعد ذلك تتزلف الى الشبيبة العربية وتعمل على ارضائها واقناعها بحسن نية الاتحاديين فكثر تردد الوزراء وزعماء جمعية الاتحاد والترقي على المنتدى الادبي وكثرت خطبهم فيه . فكان لا يمضي اسبوع او بعض الاسبوع الا ويزوره طلعت وانور وجمال ومدحت شكري وغيرهم فيتبادلون الخطب الحماسية وعبارات الوداد والاخاء مع الاعضاء . وكان آخر ما سمع من طلعت بك في هذا الصدد في خطبة القاها يوم احتفال المنتدى الادبي بذكر المولد النبوي الشريف قوله : « واذا فرّ العرب منا فاننا نتمسك بهم ونلتزمهم ونضمهم الى صدورنا ونصافحهم مصافحة الاخ لاخيه »

ولما ظن الاتحاديون انهم فرّقوا بين الجمعيات الاصلاحية بارضائهم بعض افرادها واخمدوا الحركة في البلاد العربية غيّروا خطتهم فجأة وتمسكوا ببعض زعماء العرب — كما قال طلعت بك — ولكن لاعدامهم لا لمصافحتهم مصافحة الاخ لاخيه

الفصل الرابع

﴿ الصدمات الاولى ﴾

توقيف عزيز بك علي ومحاكمته ـ الحال في البلاد العربية بعد الاتفاق
الانتخابات النيابية ـ خطب نواب العرب في مجلس المبعوثان
حالة العدلية ـ المعارف ـ وسائر مصالح الحكومة

ظن الاتحاديون انهم فرقوا بدسائسهم بين الاحزاب والجمعيات العربية وقضوا على اتحادها وحماستها وانهم خدعوا العرب كما خدعوا بعض زعمائهم واخمدوا الحركة نهائياً في بلادهم فرغبوا في انتهاز الفرصة للقضاء على فكرتهم القومية ورسموا تلك الخطة الفظيعة التي جعلوا يعدونها منذ شهر فبراير سنة ١٩١٤ ولم يتمكنوا من تنفيذها قبل سنة ١٩١٦ في البلاد العربية

زعموا ان استياء الشبيبة من المماطلة بتنفيذ الاصلاح نشأ عن استياء ضباط العرب منهُ وانهم اذا قتلوا الفكرة القومية في الجيش سهل عليهم قتلها في الشبيبة وفي سائر الاحزاب العربية فارسلوا الفرق العربية التي كانت في بولاير الى جهات حلب وابعدوا في اسبوع واحد اكثر من اربعماية ضابط عربي عن الاستانة الى الاناضول وتراقيه وشبه جزيرة غليبولي حيث قلدوهم وظائف اسمية سامية. فلما انتهوا من عملهم هذا وظنوا انفسهم في امن من انتقاض العرب عليهم في الاستانة قرروا الفتك بزعماء العرب الذين فيها من عسكريين وملكيين وابتدأوا بالضابط العربي الكبير عزيز بك علي بطل برقه

القبض على عزيز بك علي — اصدرت الحكومة الاتحادية امرها بتوقيف عزيز بك علي صباح الاثنين في ٩ فبراير سنة ١٩١٤. فبينما كان خارجاً من فندق

توكتليان بعد ظهر ذلك اليوم دنا منهُ ثلاثة من رجال البوليس الملكي بكل احترام ودعوهُ الى دائرة البوليس في اسطنبول ولما ذاع الخبر في الاستانة قام لهُ أبناء العرب وقعدوا وذهب كثيرون منهم الى مركز البوليس مستعلمين عن السبب فقابلهم مدير الامن العام بكل بشاشة وتلطف وقال لهم ان عزيز بك لم يوقف ولكنه يستوجب عن امور لا دخل لهُ فيها وسيطلق سراحه في المساء . وقصد المرحوم الزهراوي منزل طلعت بك ليقف منهُ على حقيقة الحال فقيل لهُ انهُ ليس في منزله . والحقيقة انهُ لم يرغب في مقابلته كما اتضح بعدئذ

ولما أزفت الساعة العاشرة مساء ولم يخرج عزيز بك من دائرة البوليس قصد أحد الضباط العرب المرحوم عبد الحميد الزهراوي في فندق كروكر وطلب منهُ باسم الضباط العرب أن يبحث عن السبب ويخبره بهِ في اليوم التالي وأبلغهُ استياء العرب ملكيين وعسكريين من تلك المعاملة لان عزيز بك لا دخل لهُ في سياسة الاستانة وشؤون أحزابها الى أن قال : « ابلغ الحكومة أيها الاستاذ ان دماءنا نحن العرب يجب أن تحفظ للدفاع عن الوطن فلا تضطرنا الى اراقتها في سبيل الافراد . »

وفي ١٠ فبراير عقد مندوبو الاحزاب العربية اجتماعاً معاً للوقوف على الاسباب التي أدت الى القبض على عزيز بك واجراء ماتقتضيه الحال ثم قابلوا جمال باشا وطلعت بك وغيرهم فسمعوا منهم كلهم جواباً واحداً وهو ان عزيز بك أخوهم وحبيبهم وان وزارة الحربية تحقق معهُ في بعض الشؤون العسكرية التي تتعلق بأمر الدفاع عن الدولة وان الحكومة قررت تعيينهُ والياً على البصرة ! »
ولكن العرب لم ينخدعوا بكذب الاتحاديين هذه المرة فقاموا بمظاهرات عديدة في الاستانة وطلبوا من الحكومة أن تعجل في محاكمة عزيز بك وأن يضاف الى المجلس العسكري الذي يتولى أمر هذهِ المحاكمة لجنة من أركان

الحرب وكبار الامراء العسكريين الخبيرين بالشؤون الحربية . فلم تفعل شيئاً من ذلك والفت المجلس العسكري من بعض صنائع أنور باشا وعبيدهِ وبعض الذين لايخالفون لهُ أمراً

محاكمة عزيز بك — وقد بدأت المحاكمة يوم الاربعاء في أول ابريل سنة ١٩١٤ بحضور الشهود سليمان بك العسكري ورمزي افندي المهداوي وضيا افندي والملازم نور الدين افندي ورشيد افندي. والى القراء التهم التي وجهت الى عزيز بك وخلاصة أقوال الشهود كما وردت في محضر الجلسة الرسمي

قال سليمان العسكري : « ان فكرة عزيز بك تناقض المصلحة العثمانية فقد سعى وهو في طرابلس الغرب في بث الفكرة العربية بين الاهلين وفي انشاء دولة عربية مستقلة يتولى هو ادارة شؤونها وكاد ينجح في سعيهِ لولا معاكستي أنا وبعض الضباط الاتراك لهُ »

وقال رمزي افندي — « ان عزيز بك اجتمع بالايطاليين اثناء الحرب اجتماعاً مهماً ولكنى لا أعرف مادار بينهم من الكلام »

وقال ضيا افندي — « ان عزيز بك عدو للاتراك عموماً وعدو لانور باشا خصوصاً فهو خائن للدولة التركية »

وقال نور الدين افندي — « ان عزيز بك اتفق مع الامام يحيي على نهج خطة واحدة الغرض منها ضم اليمن الى مصر وكان يسعى وهو في بنغازي الى تنفيذ هذه الفكرة وجعل بنغازي واليمن دولة عربية واحدة »

وقال رشيد افندى — « ان عزيز بك أعرب أمامي عن سرورهِ وارتياحهِ الى ما أصاب المسلمين في البلقان وانهُ ذبح بعض العرب في بنغازي ودفن « عشرات من العرب أحياء »

وفي ٤ ابريل عقدت جلسة ثانية لسماع شهادة العبد الماس (الذي قبض

عليه في السودان في العام الماضي) وشخص اخر يدعى قاسم كان قهوجياً عند عزيز بك في برقة . فقال العبد الماس : «سمعت في برقة ان عزيز بك استلم من الايطاليين مبلغاً من النقود لا يقل عن ١٥ الف ليرا مقابل تسليمهم البلاد »

وقال القهوجي قاسم « ان سموخديوي مصر اوفد الى عزيز بك رجلاً اسمه حسن بك حماده لمفاوضته في تسليم البلاد الى الايطاليين » واستشهد على صحة ذلك بمقابلة عزيز بك لسمو الخديوي السابق اثناء مروره في مصر

هذه هي التهم التي وجهها الاتحاديون الى بطل برقه وهذه خلاصة اقوال الشهود الذين شهدوا عليه

وقد كان قصد الاتحاديين ان يعدموه بلا محاكمة ولكن اهتمام الرأي العربي العام به اضطرهم الى العدول عن ذلك . ولما انتهت المحاكمة ورأوا ان هياج العرب لم يخمد بل كان يزداد شدة يوماً فيوماً قرروا اغتياله في السجن فبلغ الخبر زعماء العرب من احد المصادر الاتحادية في الاستانة فاجتمعوا وتداولوا في الامر ثم عرضوا المسألة على الصدر الاعظم والمرشال فون ساندرس باشاوعلى سفراء الدول العظمى طالبين منهم باسم العدل والقانون منع الاتحاديين من اقتراف جريمتهم الفظيعة . وكانت بريطانيا العظمى قد اهتمت اهتماماً خاصاً بمسألة عزيز بك علي وفاوضت الحكومة العثمانية مراراً في شأنه واقنعتها ببرأته ووجوب اطلاق سراحه فلم يتمكن الاتحاديون الاّ اجابة هذا الطلب لا سيما بعدما ادركوا ان اعدامه يؤدي الى ثورة عظيمة في البلاد العربية

وبديهي ان محاكمة عزيز بك لم تكن قانونية على الاطلاق لان التهم التي عزوها اليه تهم صبيانية مختلقة ولانها اما ان تكون قد وقعت قبل معاهدة لوزان وابرام الصلح مع ايطاليا او بعدهما فان كانت قبلهما كان الواجب على انور باشا القائد العام حينئذ ان يحاكمه عليها وان كانت بعدهما فلا شأن للحكومة العثمانية في

التعرض له بسببها لان البلاد اصبحت بعد الصلح اما عربية او ايطالية وخرجت عن السلطة العثمانية . فان حسبها الاتحاديون عربية فان عزيز بك كان اميراً مستقلاً فيها ولا صلة له بحكومة الاستانة وان حسبوها ايطالية فكان من الواجب تسليمه الى حكومة ايطاليا التي يحق لها محاكمته دون سواها .

والحقيقة ان الاتحاديين لم يقرروا توقيف عزيز بك لمحاكمته بل قرروا ذلك لقتله بطريقة من الطرق للسبب الذي تقدمت الاشارة اليه وهو رغبتهم في قتل الفكرة العربية بقتل القايمين بها .

من هو عزيز بك — هذا كان جزاء عزيز علي بك على خدمه الباهرة الوطن العثماني فان حياته قبل الدستور وبعده كانت حياة جهاد دائم في سبيل الحرية . وكانت صلاته بجمعية الاتحاد والترقي قوية متينة بل كان يدها اليمنى في مكدونية حيث اعلن الدستور قبل ان اعلنه نيازي ببضعة عشر ساعة . وقد اعترفت له جمعية الاتحاد والترقي بخدمه العظيمة واحلته موضعه من الاحترام والاكرام . ولكنه انفصل عنها بعد اعلان الدستور لاعتقاده ان سياسة تتريك العناصر التي اتبعتها لا تؤمن عقباها ولا يحمد منتهاها فنصح لرفقائه الاتراك بان ينيلوا العناصر العثمانية حقوقها ويمهدوا السبيل الى ارتقائها بلا فرق ولا تمييز وان كان لهم عنها مشاكل وشواغل لا يخلصون منها فانكروا عليه نصحه واتهموه بالمروق والخيانة وقالوا انه يبث الفكرة العربية في الجيش العثماني وجعلوا يفسدون عليه طرقه ويقيمون العثرات في سبيله . واغتنم عزيز بك فرصة اقامته في الاستانة سنة ١٩١١ فاستدعى فريقاً من العثمانيين واصحاب الرأي السديد الى منزله وقال ان اتفاق العناصر العثمانية امر لا بد منه لاعلاء شأن الدولة وعرض عليهم آراءه فاستحسنوها الاّ واحداً روسي الاصل قربته منافعه الى الترك فتزلف اليهم وهو في الحقيقة ابعد الناس عنهم . وكانت معارضة هذا الرجل سبباً في القاء النفور

بين عزيز بك وجمعية الاتحاد والترقي و بالتالي بين الفكرتين العربية والتركية

ولما شبت نار الثورة في اليمن وانغلبت العساكر العثمانية فى معركة جيزان بالعسير وفقدت اكثر من ثمانية وعشرين الف مقاتل بين ضابط وجندى بالجوع والحرب وانقطعت عنهم المؤونة والذخيرة بسبب الحرب الطرابلسية رأى عزيز بصائب رأيهِ ان يصالح سيادة الامام يحيي فعقد معه صلحاً حسناً لا تزال الدولة الى اليوم تجني ثماره . فشق عمله هـذا على فريق من حساده ومبغضيه واتهموا بالمروق في الوطنية بحجة انه قـدم مصلحة العرب على مصلحة الدولة العثمانية

ثم دفعتهُ وطنيته الصادقة الى طرابلس الغرب حيث تمكن على قلة جنودهِ ونفاد يده من المال أن يوقف الايطاليين على الساحل زمناً طويلاً . وقد شهد لهُ اعداؤهُ بالبسالة والمقدرة والتفوق في ميادين القتـال وكانت معركة ١٦ يوليو التي انتصر فيها من أعظم المعارك من الوجهة الحربية حتى ان بعض صحف الغرب شبهتها بمعركة (كان) الشهيرة التي انتصر فيها هنيبال على الرومانيين

وقد استعفى عزيز بك من الجيش العثماني فى ٢٠ يناير سنة ١٩١٤ أي قبل سجنه بخمسة عشر يوماً وهذه ترجمة استعفائه

« الى وزارة الحربية الجليلة

« لقد تركت الجيش العثماني من هذا التاريخ ولـكن حياتي العسكرية الماضية لا تزال تربطني به برباط متين لا تقوى الايام على فصمه فاذا شبت حرب واحتاج الوطن الى ابنائه فلتطلبني وزارة الحربية الجليلة من القومسيرية العثمانية بمصر محل اقامتي على ان تعين لي الفرقة التي اقودها »

الامضاء « عزيز علي »

﴿ الاتحاديون وعهودهم ﴾

مسألة الانتخابات — وكانت الحكومة الاتحادية قد اتفقت مع المرحوم الزهراوي على أن يكون للعرب ٧٠ نائباً في مجلس المبعوثان فالغت هذا الاتفاق ساعة التنفيذ وقلبت للعرب ظهر المجنّ فكانت النتيجة ان نواب العرب عينوا نسيناً الآن في بيروت والبصره وقسم من ولاية الشام وان عدد مبعوثيهم لم يبلغ الخمسين وبينهم عدد كبير من الترك ومعظمهم من صنايع الاتحاديين . وقد ورد على مندوبي الجمعيات العربية في الاستانة التقرير التالي من جمعيات العراق في ابان الانتخابات النيابية وهو بنصه :

«اجلت الحكومة الانتخابات النيابية في العراق لتتمكن من اتخاذ التدابير اللازمة لفوز مرشحيها . فالبغداديون يرغبون في انتخاب هادي باشا الفاروقي رئيس اركان الحرب في الجيش العثماني سابقاً والميرلوا عبد الفتاح باشا والميرلوا محمد علي باشا والثلاثة من اكبر قواد الجيش الذين احيلوا على التقاعد من عهد قريب .واما الحكومة فتريد ان تنتخب صلاح الدين افندي من اتراك كركوك وفؤاد افندي من الشبان الاتراك نزلاء بغداد وخالد بك شقيق المرحوم محمود شوكت باشا وكل من الثلاثة دون الثلاثين من العمر . وقد ارسلت الحكومة خمسة وثلاثين ضابطاً برتبة بكباشي الى بغداد وتسعة وعشرين بكباشياً ايضاً الى سائر انحاء العراق وعينت مبعوثاً تركياً عن الموصل ولم ينتخب عن حلب الا اثنين من العرب وانتخب بعض الترك نواباً عن الحديدة في اليمن حيث كانوا موظفين وخرج مبعوث تركي عن لواء ماردين الخ الخ.»

ولم تكتف الحكومة الاتحادية بذلك كله بل كمت افواه العرب ولا سيما الاصلاحيين منهم ووضعتهم كلهم تحت المراقبة الشديدة وبالغت في

احتقارهم كما كانت تبالغ في احترامهم واكرامهم ثم رغبت في عدم قبول نوابهم — وخصوصاً نواب البصره — في مجلس المبعوثان وكادت تنجح في ذلك لولا خوفها من زعماء العرب واحزابهم ولا سيما السيد طالب بك النقيب الذي كان قد استقل تقريباً في القسم الجنوبي من العراق

الحالة في البلاد — اما حالة البلاد العربية بعد الاتفاق التركي العربي كما سماهُ الترك انفسهم فاكتفي بأن اذكر عنها ما قالهُ نواب العرب في خطبهم في مجلس المبعوثان نقلاً عن جريدة (تقويم وقايع) وهي الجريدة الرسمية العثمانية

*
* *

العدل في البلاد العربية — قال سليمان فيظي بك مبعوث البصرة في خطبة القاها في مجلس النواب في ١١ يوليو سنة ١٩١٤ اثناء المناقشة في ميزانية وزارة العدلية (الحقانية) ما تعريبهُ :

« حينما يسمع المرء اسم نظارة العدلية يتصور منبع العدل والقانون ويقول ان المكان الذي يقام فيه العدل لا يعرف غير الاستقامة والقانون ديناً وطريقاً في حين ان ذلك المكان الذى تصورناهُ منبع العدل لا يخالف القوانين العادية فقط بل القانون الاساسي عينهِ ولا سيما في البلاد العربية

« فالمادة ٨١ من القانون الاساسي تقول انهُ لا يجوز عزل الحكام الا لاسباب ولكن وزارة العدليــة تعزلهم من غير سبب ولا موجب وقد ارسل أحد مأموري العدليــة الذى عزلوا تلغرافاً الى الوزارة يحتج فيــهِ على عزلهِ ويطلب ان يؤذن لهُ في المجيء الى الاستانة للدفاع عن حقوقهِ فردت عليه النظارة بالتلغراف التالي (جهنمه كيت) أي اذهب الى جهنم

« انا نعرف كثيرين من ابناء العرب يستحقون الترقية ولكنهم عزلوا فاذا كانت وزارة العدليــة (الحقانية) التي هي منبع العدل تعامل المأمورين بما

يخالف القانون فالى من نشكو امرنا اذاً

« تعلمون ان الواجب يقضي بان يكون المأمورون واقفين على اللغة المحلية أوملمين بها احتفاظاً بحقوق العباد ولكننا نرى الامر على الضد من ذلك . ولرب قائل يقول وهل ينبغي أن يتعلم اخواننا الترك اللغة العربية فنجيب بأنهُ لا ينبغي أيضاً ان يوظفوا كلهم في البلاد العربية

« ولقد صدرت الارادة السنية في ٢٢ أغسطس سنة ١٣٢٩ موجبة المحاكمة باللغة العربية في البلاد العربية فسر الجميع بذلك وابتهجوا ولكننا نرى والاسف ملء صدورنا ان المحاكمة لا تزال تجري في العراق مثلاً باللغة التركية وليس بين اهل العراق واحد في المئة يفهم هذه اللغة

— زلفي أفندي أحد مبعوثي الترك : لا فرق في ذلك لجميعنا عثمانيون

— الخطيب : واني الفت انظار وزارة العدلية الى حالة المحاكم ايضاً

— مبعوث عربي : ان حضرة وزير العدلية يعمل دائماً بالشفاعة والالتماس فيعين من يريد هو تعيينهُ ويرفض من يريد هو رفضه

الوزير — ارد هذا الكلام وانقضهُ فالرشوة بعيدة عني

— المبعوث : لم يتهمك أحد بالرشوة . والشفاعة والالتماس هما غير الرشوة وهما يجريان بلا عوض وقد يكون ذلك ببطاقة زيارة أو « بتسليم »

* * *

المعارف في البلاد العربية — وقال سليم افندى سلام أحد مبعوثي بيروت يصف حال المعارف في البلاد العربية في خطبة القاها في مجلس النواب في ١٤ يوليو سنة ١٩١٤ اثناء المناقشة بميزانية المعارف :

« تكتفي وزارة المعارف بان تقول عندي مدارس سلطانية كذا ومدارس اعدادية كذا ولكنها لا تفكر في حال هذه المدارس . خذوا أيها السادة مسألة

تعيين المديرين والمعلمين والمعلمات مثالاً للتطبيق والكلام . انها تعين لتدريس اللغة العربية الشريفة أناساً ليست معارفهم بها بأ كثر من معارف العوام بل هي تعين مديرين تبرأ الادارة الى الله منهم. تحدث الوزارة وظيفة في المعارف فتقلدها من تشاء بغير حساب فتارة تتبع هواها وارادتها وتارة تمتحن ولكن بلا قاعدة ولا أصول الا الشفاعة والالتماس والانتساب الى رجل كبير. كل هذه الاسباب جعلت مدارسنا الرسمية في الانحطاط الذي تعرفونه . هذه مدرستنا السلطانية في بيروت تأسست منذ ٣٠ سنة ولا يبلغ عدد طلابها مئتي طالب في حين ان عدد الطلبة في الكلية الاميركية الف ومئة طالب وفي كلية اليسوعيين في بيروت سبع مئة طالب وفي مدرسة الفرير سبع مئة أيضاً . ولعلكم تقولون ان الثقة بمدارس الاجانب هي التي سببت هذا الاقبال عليها نعم انها الثقة ولكن الثقة لا تكتسب من غير جد وعمل . ولولا رغبة الاهلين في الانتظام بسلك الوظائف لما دخل احد من ابنائنا مكاتب الدولة. وذلك ظاهر للعيان . أرأيتم حتى الآن متخرجاً من مدارس الحكومة يتعاطى التجارة أو الصناعة أو الزراعة؟ كلا ثم كلا فان جميع الذين يتعاطونها من خريجي المدارس الاجنبية أو الاهلية لا المدارس الرسمية

« يحزنني أن أبلغكم ان مدارسنا الرسمية باتت معامل لصنع الموظفين مع ان المدارس لم تنشأ الا لكي تخرج للوطن رجالاً يعيشون بكدهم وجدهم. رجالاً ينفعونه بثمرة عقولهم

« تلك حال مدارس الصبيان في بلادنا العربية أما مدارس البنات فماذا أقول فيها . ماذا تريدون مني أن أقول يانواب الامة ؟ انها لفي الدرك الاسفل

« المرأة قوام الحياة الادبية وركن الهيئة الاجتماعية فمادامت منحطة فالامة تظل منحطة أيضاً . ان مدرسة البنات العثمانية في بيروت لم تتخرج فيها منذ انشائها الى الآن تلميذة واحدة جديرة بالاحترام العلمي بخلاف

مكاتب البنات الاجنبية التي يتخرج منها كل سنة عدد كبير من الفتيات الراقيات

«وخلاصة القول ان حال مدارس الصبيان والبنات في البلاد العربية توجب الاسف الشديد والعجب العجاب وان وزير المعارف المحترم واقف على أحوال المعارف في سورية ومع ذلك فهو يتقاعد عن اصلاح الحال

«وانهُ ليحزننا جداً أن تهمل وزارة المعارف واجباتها ولا سيما في سورية حيث المصلحة السياسية تقضي عليها بمزاحمة الاجانب

«لجمهورية فرنسا أيها النواب الكرام مدارس في سورية فيها ٤٣ الف تلميذ ولروسيا مدارس فيها ٣٥ الف تلميذ ماعدا المكاتب الايطالية والالمانية والاميركية وغيرها . فاذا علمتم ان عدد تلاميذ المدارس الرسمية دون ذلك العدد الكبير بكثير أدركتم الخطر الذي يتهدد البلاد

«هذا بيان موجز عن مكاتبنا الرسمية وتواكل وزارة معارفنا واهمالها بلادنا العربية . ولم تكتفِ بهذا الاهمال فقط بل تعمدت هضم حقوق العرب بارسالها مئات من الترك على نفقة الامة الى أوربا. فقد سعيت كثيراً لأعلم أبين هؤلاء الطلبة عربي واحد فما وجدت واحداً في المئة فضلاً عن ان عدد المدارس في كل البلاد العربية يقل عن نصف عدد المدارس التي أنشأتها الحكومة في الولايات التركية سنة ١٩١٣ فقط بمال الامة العثمانية كلها

— مبعوث تركي: لا تفرّق بين الترك والعرب

— الخطيب : اننا اخوان في السراء والضراء في وجه الاجنبي ولكننا كالاخوة أيضاً نتحاسب في كل شيء في مسائلنا الخصوصية »

وقد قامت الضجة في المجلس حينئذ واشتد الجدال ورغب النواب الاتحاديون في اكراه الخطيب على النزول عن منبر الخطابة فعطلت الجلسة مؤقتاً

مصلحة البريد والتلغراف — وقال فارس افندي الخوري مبعوث دمشق في خطبة القاها في مجلس المبعوثان في ١٧ يوليو سنة ١٩١٤ عن حالة البريد والتلغراف في البلاد العربية

« ان بعض المكاتيب يفتح في البلاد العربية ولا يرسل الى أصحابه الاَّ بعد الاطلاع عليهِ وفي الاكثر انهُ لا يرسل . وكنت أسمع في دمشق مثلاً اشاعة كذا وكذا عن العاصمة فسألت عن منبع هذه الاشاعات فكان الجواب ان تلغرافاً في هذا الموضوع أُرسل من الاستانة الى احدى الجرائد المصرية فرَّ بمكتب التلغراف . ان صون أسرار الناس السياسية والخصوصية من أهم واجبات البريد والتلغراف وأقدسها

« وكثيراً ما ترد التلغرافات غير واضحة والسبب في ذلك ان المأمورين غير عارفين اللغة المحلية فالمأمور الذي يجهل اللغة العربية في الشام مثلاً يجعل الكلمة كلمتين أو الكلمتين كلة واحدة فيتعذر على المرسل اليهِ فهم المراد وقد تلقينا كلنا تلغرافات على هذا الشكل فاضطررنا الى مراجعة مرسليها والاستفهام منهم عن فحواها . وفي ذلك من ضياع الوقت والخسارة ما فيه . فلماذا لا يكون موظفو التلغراف من الواقفين على اللغة المحلية ؟ أليس بين أبناء العرب من يصلح لهذه الوظائف ؟ »

***

وقد كانت كل دوائر الحكومة واعمالها في البلاد العربية بعد الاتفاق المزعوم بين العرب والاتحاديين عرضة لانتقاد اشد من هذا الانتقاد في مجلس النواب عينهِ فكاد يتفاقم الامر لولا ان خليل بك رئيس المجلس في ذلك الحين منع النواب من الكلام في مثل هذه المواضيع بحجة « تخديش الاذهان » . وبديهي ان ما صرح به نواب العرب الكرام عن حالة بلادهم كان دون الحقيقة بمراحل لان حريتهم كانت محدودة ولانهم كانوا دائماً مهددين بالمشنقة

او بالاغتيال ان هم اعربوا عن ارائهم بصراحة ووضوح

هذه اول نتيجة من نتايج ذلك الاتفاق المشؤوم الذي اظهر فيه العرب ولا سيما المرحوم الزهراوي وغيره من سلامة النية والاخلاص للعرش العثماني ما ورط الاتحاديين بهم وجرأهم على احتقارهم والحنث بالعهود التي قطعوها معهم. وقد كافأ احد كبار الاتحاديين المرحوم الزهراوي على مساعيه العظيمة للاتفاق مع الترك بقوله عنه في نادي «السركل دوريان» بعد قبوله منصب الاعيان بيضعة ايام «بوزهراوي زهراوي دن كلير» أي «ان هذا الزهراوي — أي المرحوم عبد الحميد الزهراوي — مشتق من زهراوي — عملة عثمانية قيمتها نحو فرنك» فاثبت بذلك صحة قول القائل:

اذا انت اكرمت الكريم ملكته وان انت اكرمت اللئيم تمردا

هذا وقد تعمدنا في هذا الكتاب عدم الاشارة الى احتقار الترك ولا سيما الاتحاديين للامة العربية الكريمة لان في ذلك ما يؤلم القراء من ابناء العرب فلم نذكر لهم أن الترك يسمون الكلب الاسود «عرب» وان من امثالهم الشهيرة قولهم عند ترفعهم عن الدنايا: «بوني يا بارسه م عرب اوله يم» أي ان فعلت هذا اكون عربياً. ولم نعرب المقالات التي كتبها مندوب جريدة اقدام في البلاد العربية وقال فيها «ان العرب يبيعون كل شيء حتى اعراضهم بالمال» ولا النشرة التي وزعها الاتحاديون في البلاد التركية وجاء فيها «ان العرب هم بلية علينا وان حصان التركي خير من أي نبي ظهر في العالم» الى غير ذلك من الامثال والاقوال والكتابات التي يعرفها كل من زار الاستانة والاناضول في السنوات الاخيرة

الفصل الخامس

﴿ اخلاص العرب للاتحاديين ﴾

موقف امراء العرب — كتاب للعبرة والتاريخ —
خطة الاحزاب العربيه قبل الحرب الاوربية وبعدها —
كتب سياسيه سرية من زعماء العرب المشنوقين

اخلص العرب امراؤهم واحزابهم للاتحاديين قبل الدستور وبعده واخلصوا لهم بعد الاتفاق الذي ابرموه معهم في أواخر سنة ١٩١٣ وبعد اعلان الحرب الاوربية أيضاً . والادلة على ذلك عديدة ذكرت بعضها في الفصول السابقة واذكر منها الآن ما يزيدهُ ايضاحاً وجلاء فلا يردهُ راد ولا ينقضهُ ناقض

اخلاص امراء العرب — لم تحل اعمال الاتحاديين وفظائعهم دون اخلاص أمراء العرب لهم في زمن من الازمان . فالحملات التي ارسلوها على امراء العرب والدماء التي اراقوها في شبه جزيرة العرب لم تقطع تلك الصلة التي رغب العرب في المحافظة عليها حباً بالاسلام ورغبة في المحافظة على كيانهم القومي. فان سيادة الامام يحيي ابرم معهم ذلك الاتفاق الشهير بواسطة عزيز بك علي ونفذ كل بنوده باخلاص عظيم فخدم حكومة الاستانة خدماً جلى لا تزال تجنى ثمارها الى اليوم . واتفق الامير ابن السعود مع حكومة الاتحاديين بواسطة السيد طالب بك النقيب وقبل على اثر ذلك أن يعين قومنداناً عثمانياً على الاحساء.ولا يزال بعض القبائل العربية في العراق موالياً لها الى الآن مع كل الفظائع التي اقترفتها في بلادهم.وقد خدمتها تلك القبائل خدماً عظيمة في هذه الحرب ولولاها ا بقي للاتحاديين اثر في العراق . ولم يكن سيادة شريف مكة جاهلاً لما ينويه

الاتحاديون لهُ ولبيتهِ الكريم ومع ذلك فانهُ ظل محافظاً على ولائهِ لهم الى ان طفح الكاس وتفاقم الخطب وعم البلاء

اما السيد الادريسي أشد امراء العرب كرهاً للاتحاديين فقد كان مع كرهه لهم واعتقاده بسوء سياستهم ميالاً الى الاتفاق معهم وراغباً في ذلك الاتفاق بدليل سكوتهِ عنهم في أبان شدائدهم والمساعي التي بذلها لحسم المشاكل التي كانت سبباً في حروب عديدة بينهُ وبينهم . وقد رأيت ان انشر في هذا المقام صورة كتاب سياسي أرسلهُ السيد الادريسي الى سيادة الامام يحيي وضمنهُ حقائق تاريخية تدل على حسن نية امراء العرب وعلى السياسة الخرقاء التي اتبعها الاتحاديون معهم . وهذا هو الكتاب بنصه :(١)

« بسم الله الرحمن الرحيم

« من محمد بن علي الادريسي الى جناب المولى الذي هو بالمحامد أولى (٢) الامام يحيي حميد الدين أشرق الله شموس سعدهِ وأعلى مراتبه على سنن جده . السلام عليكم ورحمة الله وبركاتهُ . وبعد تقديم تحيات بين يدي نجوى هذه السطور تهديها اليكم نسمات الوداد ونفحات الاخلاص على اطباق النور فقد وردت كتبكم الكرام آخرها ما هو بصحبة السادة الاجلاء العلماء الاعلام السيد العلامة صفي الاسلام الصنو احمد بن يحيي بن قاسم عامر والصنو العلامة العزي محمد بن علي بن أحمد بن حسين الذاري والصنو العلامة الوحيد عبد العزيز بن يحيي بن المتوكل والصنو العلامة العزي محمد بن محمد السرعي الحولي . وقد سرنا وصولهم وشريف قدومهم وانشرح البال من لطائف علومهم وظرائف فهومهم وتذاكرنا في ابحاث شتى

(١) نشر هذا الكتاب في الجزء الرابع من مجلة المنار سنة ١٣٣١

(٢) حذف من هذا المكان ما اعتيد من الالقاب والسجع

« اما مادة الصلح بيننا و بين الحكومة فمن أول يوم وما ندعو اليه هو الوفاق وكلما ارادوا عقد ذلك نقضوه وكفى بما كان في هذه المدة الاخيرة، فان المذاكرة حصلت بيننا وبينهم في هذا الموضوع ثلاث مرات بل اربع (مرات) بعد وصول رسلهم الينا فاذا أجبنا بما فيه الوفاق أعرضوا تيهاً وكبراً واحتقاراً لنا

« فأولى المرات بواسطة محمد توفيق في مجيئه الاخير فأجبناهم ذاكرين مواد بسيطة لان في ذلك الوقت لم يكن قد وقع بيننا وبينهم سفك دماء وتلك المواد هي أن نكون في جهاتنا آمرين بالمعروف، ناهين عن المنكر، ضابطين للبلاد من الفساد، مع بقاء مراكزهم، واليهم تساق الحاصلات، وعليهم القيام بما يلزم من من معاش القضاة والمترددين في مصالح البريات، وان يبقوا (جازان) برتبة المعتاد، وان لا يحدثوا زيادة من القوة في البلاد، وان يفك أمير مكة صالح بن حسن وصاحبه من الحجاج، وان تتوسط فيما بينكم وبينهم من الصلح. وهذه المواد مما يضحك منها لانها لبساطتها لا تكاد ان تكون مطالب. ولكن أدانا الى ذلك حب الراحة للبلاد والعباد.

«فما كان الجواب الا بنقيض ذلك فساقوا تلك القوة التي يقدمها محمد راغب بك ومحمد علي باشا على جازان، وملأوه بالآلاف، وازدادوا عدواناً على طلب الحجاج لحبسهم كما وقع في حبس بعض رجال (المع) في حج هذا العام. واشمروا ان العسيري تابع لامارة حسين بن عون (١) وأرسلوا الينا بطريق مصر في حين وصول القوة العامة برفق عزت (٢) اني ان أردت السلامة افتح لهم الطريق الى الامام التي تمر على طرف البلاد التي بيدنا، ففوضنا الامور الى الله واستعنا به في مدافعتهم وبحمد الله قد كان ما كان

(١) أي جعلوا بلاد عسير تابعة لامير مكة الشريف حسين بن عون (٢) هو عزت باشا قائد حملة اليمن حينئذ وقد كان القائد العام لجيش الدولة العثمانية في شطلجة

« ثاني المرات بواسطتكم عند ما وصل اليكم عزيز (١) ووافقناكم فكان منهم الجواب بالتعليق على ماهو في حكم المستحيل وهو اجابتنا لحضور الاستانة. وقد تحقق لكم من هذا نهاية الاعراض، مع انكم قد بذلتم الجهد كما أخبر عزيز عند وصوله مصر لبعض أصدقائنا بذلك ، وبما كررتموه من المراجعة فيما هنالك ،ومنع عزت وأخذ في تجهيز نحو تسعة وثلاثين طابورا الى ان حال بيننا وبينهم الله بما تداركنا به من رحمته الاخيرة ، فكشف عنا الغمة ونجانا كما هو سنته مع عباده المؤمنين ، وعكس عليهم القضية وسلط عليهم عباداً له أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً .

« ثالثها كان بواسطة السيد الشراعي مع بعض اخواننا فأجبنا فكان الجواب منهم بالسكوت .

« رابعها مع سليمان متصرف عسير لما أتانا جوابه بعد أن قامت عليهم فتنة الطليان يدعونا فيه الى الوفاق ، وان نكون اخوانا ونهجر الشقاق ، فأجبنا عليه بالترحيب والتسهيل ، فارسلنا بعض خاص اصحابنا الى ان وصل بقرب معسكرهم وخاطبه بحضوره لاجل المذاكرة فيما يجمع الشأن فكان يساجل الى ان تمكن من أرزاق ومعاش لانه في ذلك الوقت كان عادماً فلما رأى انه استغنى تكبر وأجاب بالغلظة وأعداد الطوابير الجملة للمخالفين فرجع صاحبنا بذلك

« ثم في هذه المدة مع ما رأيناه من فتك الطليان بهم أخذنا العطف فامسكنا كل حركة ، وكتبنا لمن في مفرزة (ميدي) ان دهمكم شيء فلكم مناعون . فكان منهم أن محمد علي (٢) مر بطريق القنفدة ، وليته لما مر قصر اشتغاله بمصلحة العسكر بل أخذ يحرق ما وجد في طريقه من بيوت السادات العلماء

(١) هو عزيز بك علي المصري الذي كان واسطة الصلح بين الامام والحكومة العثمانية

(٢) هو محمد علي باشا والي اليمن وقائدها العام حينئذ

لان هذا الرجل اكبر عداوته لاهل الدين لان ما ناله من الشرف في الاستانة (كان) باسباب شنقه لعالم في اطنه أيام تنازع وقع بين المسلمين والنصارى هناك . ولما قدم جازان بالعساكر لم يختر لهم (خسته خانه) الا جامع تلك البلدة ولا يهمه أن تلوث بالنجاسة وتعطلت اقامة الجمعة فيه

«وكأنه يظن أن هذه هي الاسباب في ارتزاقه النياشين والرتب من باب « من رزق من شيء فليلزمه » وهذا هو السبب في تجهيز ما وجهناه من الجند الى جهة الشام (١) لاجل مدافعة هذا الطغيان ، والمحافظة على مراكز أهل الدين والايمان

« وقد حصلت المذاكرة بيننا وبين هؤلاء الاخوان في هذه الاحوال الى أن ساق بنا الكلام الى مفرزة (ميدي) وأخبرناهم ان الطليان قد ضرب قلاع الدولة ومراكزها من باب المندب الى جدة ، وهدّ تلك الحصون بمدافعه المسلطة ولم يبق الاّ هذه القلعة مع ان شيخ البلدة التي فيها قد سبقت له جناية مع الطليان بواسطة شهادة سبنوك طال الخلاف بين الترك والطليان فيه و توقف الامر على شهادة هذا الشيخ وتهددته الدولة بالشهادة لها فشهد . فاذا قصد الطليان هذه المفرزة لا يقتصر عليها بل يتعداها الى تلك البلد لما جناه شيخها عليهم وسابقاً قد ضربوا هذه البلدة كما عرفته

« ومن المشاهد ان هذه العساكر بجملة من في كل موضع اذا ضرب الطليان المواقع هربوا من مواقعهم تلك الى محلات العامة ولم يدافعوا ولا يضرب مدفع واحد ، وقد ضربت هذه القلعة من نحو شهر وخرجوا منها كما ذكرنا ، وهذا مما أوقع الناس في العجب ، فان الدولة لما عجزت عن اصلاح الداخلية كان يرجى منها حفظ الخارجية او القيام بالمدافعة عن الرعايا ممن قصدهم بسوء، فعجزت

---

(١) هي الحدود الشمالية لعسير يسمونها جهة الشام

الدولة الآن عن هذا وهذا فما بقي لهم الا أن يسموا الناس بحسن الخلق لو كانوا يعقلون

ثم انهُ قد اشتد الخطب من الطليان بمحاصرتهم للحديدة الى حالة يخشى معها أن تحتل الحديدة فتكلمنا مع العسكر الذين في القامة بأن بقاءهم بها ضرره على الاسلام والمسلمين لان الحديدة اذا احتلت يتبعها ملحقاتها ومن ذلك هذه القامة ، ومن المعلوم حسب أصولهم انهُ اذا احتلت الحديدة وجاء المحتلون ببوابيرهم لاستلام هذه النقطة تبعاً للمركز ومعهم الاذن بالتسليم من كبراء الترك فان من في هذه النقطة لا يلتفت الى الاسلام ولا الى المسلمين ولا يهتمون بأمر الوطن بل حالاً يعملون الترتيب اللازم في التسليم الى المحتلين ولو بطريق الحرب مع أهل الوطن بأن يضربوا من القلاع وتضرب البوابير من الساحل حتى يتصلوا بالمحتلين ويدفعوا لهم موقع الحرب ، ويسلموا اهل الوطن الى الاسر ، كما فعلوا في بني غازي احدى متصرفيات طرابلس ، فان أهلها عشية احتلال الطليان لما رأوا بوابير الطليان بالساحل أسرعوا الى مركز الحكومة ليستعدوا للقتال ويودعوا أهاليهم وأموالهم في محل مكين ، فمنعهم الاتراك وألزموهم الطمأنينة فرجعوا الى بيوتهم ، فلما جنّ الليل لم يشعروا الاّ والمتصرفية بأجمعها صارت عساكر طليانية فقاموا للدفاع ولم يمكن الخروج من المنازل الا للرجال دون النساء والذرية ، وهم الآن تحت قبضة الطليان . واشتهر ان هذه المعاملة من العساكر بأسباب ما أخذه كبراؤهم من الطليان خفية . وبأسباب ذلك استقال الصدر فتبين ان بقائهم حينئذ في المواقع الحربية لا للدفاع وحماية الثغور كما هو اللازم لمن يتولى امارة المسلمين بل للاغراض الفانية ، وبيع البلاد للمصلحة الشخصية ، فمن ينع الاسلام فلينعهِ من الترك ، ومن يندب الدين فليندبهُ مما لهم من اختلاق الافك ، فلما خاطبناهم في النزول معنا ليبقوا مع العساكر العربية جنباً بجنب حتى

اذا احتلت الحديدة يكون موقع المفرزة الميدية بأيدي المسلمين يؤدون فيه ما أوجب الله عليهم وان امتنعوا فلا الزام . وان أرادوا اللحاق بكبرائهم فلهم ذلك فأبوا هذا وهذا « ولا يحيق المكر السيء الا بأهله » .

«والعجب من هؤلاء الناس يذكرون اننا السبب في تركهم للمدافعة كما روى عنهم السادة الواصلون فليت شعري من أي وجه ؛ وأي قرب بيننا وبينهم في المسافة أن يقولوا نخشى أن نصلى بنارين اذ في الاقل بيننا وبين الحديدة ثمانية أيام ولو سلم هذا فما يكون جوابهم في احتلال الطليان لطرابلس ؛ وما المانع من المدافعة هناك مع ان أهل تلك الجهة من المخلصين للحكومة بل هم قائمون بالقتال للمحتلين من الآن ، ومن العجاب ان الحكومة قبل أن يحتل المحتلون رفعت الاسلحة والوالي والعسكر الا شيئاً قليلاً وبعد ذلك لم تمد المجاهدين ولا بدرهم أو نفر . وفي عهدي انا عرفناكم سابقاً ان في صبح ليلة خروج الاتراك من جازان وفي اليوم الذي بعده جاءت بوسطة بطريق البحر فوقعت بيد المجاهدين فاذا بعض رسائلها يحتوى ترجمتها على اعلان حرب ايطاليا لهم وانهُ يلزم مأميرهم هنا العناية برعايا الايطاليين وحفظهم ، فتعجبنا من حسن معاملتهم هذا لمن ناؤوهم بالعداء الاكبر واذا حصل منا معاشر المسلمين أدنى شيء معهم قامت القيامة . وبينما نحن في هذا الموضوع اذ ورد كتاب كريم ، فتلقيناه بالترحيب والتكريم . وسنوفي كل بحث مما أشرتم اليه حقه ان شاء الله

«اما ما أشرتم اليه من قولكم (والدولة العثمانية وان كان أمراؤها كما عرفتم فانهُ عند الشدائد تذهب الاحقاد ـ الى أن قلتم ـ أما ما كان سابقاً مما ذكرتم من تباعد العثمانية عن الصلاح فانهُ لايغرنا الآن الانصاف)

«وقد أنصف الغارات من راماها . فلا يخفاكم أي حقد عندنا ؛ ولما جاءني كتاب سليمان (باشا) يجنح الى السلم في وقت قيام الطليان وافقت وأجبت

بما صدرت اليكم صورته وأرسلت من اخصاء اخواننا من يقوم بحل هذه المشاكل كما قد أشرنا لكم في اول الجواب ولم نلتفت الى ماسبق منهم من الايعاد بأنواع المهالك حتى بشق بطون الحوامل فلما جاء جواب سليمان لذلك الاخ (يعني مندوبه) بالتهديدواعداد الطوابير للتربية تعجبنا من ذلك ومازلنا نتوقف عن عمل أي حركة رجاء أن يهتدوا الى الصواب فما كان بعد ذلك الا مرور محمد علي (باشا) في شهرذي الحجة يحرق بيوت السادات والعلماء وأفاضل الناس كما قد ذكرنا لكم أول الكتاب فياليت شعري مانصنع بعد هذا وهل فيه انصاف أعظم من هذا الانصاف حتى من كان لنا بالامس عدواً لدوداً أصبحنا نتقرب اليه بالمودة لا لشيء بل كان حباً للصلاح مزيداً وهل من العقل بعد ذلك ان نرمي بانفسنا اليه ولو على المهالك ؛ وهل هـذا من الدين ؟ كلا وأصدق القائلين يقول (ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين)

« ثم ان ما أشرتم اليه هو لم يزد عن كونه من قبلكم ولم ندر ماهم عليه اذ لم يرد من كبرائهم واعيانهم من تحسن المخاطبة معهُ في ذلك وفي كيفية مواصلة الخطاب الى الاستانة لان ولاية اليمن صارت الآن منقطعة عن الولاية العثمانية للحيلولة بالقوة الايطالية

وأما ما اشرتم اليه (ان لو اقترن ما بيننا و بينهم بصلح ما بينكم و بينهم) فاعلم ايها الامام اني عند ما اتلو ذلك ، اجد خاطري ينكسر مما هنالك ، لانهُ حين ارادوا ان يغتنموا الفرصة فيّ وان كنتم جزاكم الله خيراً كررتم التوسط في الصلح لكن لا على طريق الشرطية بخلاف الآن لما كان الصلح لمصلحتهم اوفق فآثرتموهم عليّ مع اني الصاحب القديم، والخل الذى هو على العهد الى الممات مقيم:

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب الا للحبيب الاول
ومنازل في الارض يألفها الفتى وحنينهُ ابداً لاول منزل

«وأما ما ذكرتموه (ان الملل الكفرية كما عرفنا فوقت سهام انتقامها على الدين القويم ، وفعلت بالمسلمين أقبح الافاعيل الى آخر ما شرحتموه)فلا يخفا كم ان هذه الامة قد أخذت هذه الازمان الطويلة وهي في اطمئنان بال، وسكون الاحوال، لما كان سلاطين آل عثمان قائمين بحماية الشرع الشريف ، ولا مظهر لهم الآ انهم نواب الامة الاسلامية في حقوق دينهم الحنيف ، ولا شك ان أهل الملل المختلفة لا يتجاسرون على هدم هذه السياسة لانها تستدعي الثورة العامة بين المسلمين وغيرهم في جميع الاقطار الشاسعة ولا أضر على الاجانب من هذه الحرب الدينية ، وبها كان يتهددهم السلطان السابق عند المشا كل الدولية ، فيجنحون الى الموافقة ، فلهذا عشنا وعشتم طول النشأة لم نسمع في الخارج بمشاقة ، بل كان في آخر المدة الاخيرة ما رفع الدولة لأعلى مكان حيث ظفرت باليونان ، واحتلت عاصمة ملكهم بقوة عظيمة القدر والشان ، فلما جاءت هذه النشأة الاخيرة من الاتراك تظاهروا بالحرية ليرضوا أهل الملل الاخرى . وقد أرسل جنابكم الينا تلك الرسالة المؤلفة لشيخ الاسلام سري زاده محمد صاحب ونبهتم عافاكم الله على ما فيها من الالحاد وجزاكم الله خيراً بتلك الافادة . فحينئذ حدث أمران : ضج أهل الاسلام من رغبة الاتراك عنهم ، وطمع أهل الملل في الاتراك لنفور الجمعية الاسلامية منهم ، فاخذوا في انتهاب البلاد منهم ،فاستقلت ولاية البلغار ،بعد ان كان ملكهم في زمن السلطان السابق برتبة ياوران ، وبيعت ولايتا البوسنه والهرسك علناً وطرابلس خفية ، وصدق لفرنسا على تبعية تونس، وحينئذ قامت الاجانب يغار بعضهم من بعض فمدوا أيديهم الى احتلال البلاد العثمانية لهذه الاسباب ولغير العثمانية بطريق أولى كتبريز وفاس كما ذكرتم ، مع ان فاس هذه من اعوام قريبة سعى السلطان السابق في استقلالها فتغيرت في هذه الايام السياسة الاسلامية من اهلها

فكان ما كان في مسافة ثلاث سنوات ، وهذه الرابعة اقبلت فيها تتداعي الشدائد من كل الجهات ، وكل فريق يمد يدهُ الى ما شاء من النواحي المختلفات

« وقد عرفناكم بمنشأ هذه الاحوال ، لتعرفوا من هم السبب في محاق البلاد الاسلامية والاضمحلال ، فهم الاحق بالملامة ، والتقريع والتوبيخ وسلب الكرامة

« ويا ليت شعري ما المراد منا في الرابطة التي اشرتم اليها فان كان لقصد التسكين المجرد الى أن توافق معهم الامور ثم يثبوا كأن لم يكن بيننا وبينهم صداقة كما كان بالعام الماضي اذ قدمنا لهم عشرة آلاف عود للسلك وأمنا لهم الطرق وتعهدنا لهم بالاصلاح حتى صاروا دولة حقيقية يروحون ويغدون بكل شرف ، فما كان منهم الا تدبير الحيلة في الهجوم للقبض علينا فنجانا الله وآل الامر الى ما هم فيه من الاهانة والحيرة ولا حول ولا قوة الاّ بالله

« أو لا توافق الامور كما هو المنتظر ان لم يستعطفوا خواطر المؤمنين واشتد الحال ان آل الى سقوط البلاد بأيدي الغير يسلمها الاتراك لهم ولا يلزمنا الاّ قبول ما حلوهُ وابرموه فما في هذه الاّ اقامة الحجة علينا من الله ، وما المعذرة في ذلك المقام الالهي . وما كان القصد أن نكون نحن وهم شركاء في المواقع بدون خداع في الحال والاستقبال ، شركاء في الدفاع عن الدين ، شركاء في الرأي حتى نعلم ما يراد بنا ، ونؤدي ما أوجب علينا ربنا ، ولا نكون العوبة للاتراك يسلموننا الى الغير متى شاؤوا والعياذ بوجه الله بل نكون على أمن من ذلك كله فأهلاً بالوفاق وسهلاً

« وفي الحقيقة الحقير ان هو الاّ رجل قام بتأييد الله في هذه البرية القفراء للامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واقامة الشريعة التي لا حرز لنا دونها ولا عصمة ، ان كنا ممن يحتفلون بتعاليمها الالهية ويخدمونها

« فقامت هذه النشأة الجديدة من الاتراك وحشدوا العساكر المصحوبة بالمدمرات والسيوف البواتر، وشاع وذاع انه صدرت ارادة سلطانية، واشارة من لدن الجمعية، باستئصالنا، ولا يعلمون ان الامر بيد الله وهو اكرم الاكرمين لا يضيع من منّ عليهِ من بريته، وكساهُ من الايمان بحال كرامتهِ، بل ينصرهُ وينتقم ممن عاداهُ كما وعد في كتابهِ العزيز، وعد الله حقاً ومن أصدق من الله قيلاً. فقال عز وجل (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد) . وقال عز وجل (فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقاً علينا نصر المؤمنين وانى والله عند هذه الآيات أعلم من أين أخذت هذه الدولة فتداعت عليها الاهوال من كل جانب جملة واحدة على غير أسلوب معروف، ولا تقدير في الحساب مألوف(واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد لهُ)

«فاجأها القهر الالهي بغتة وانقطعت في مدافعته كل حيلة فسبحان القائل (وما لهم من دونه من وال) . واني والله لا علم بدواء تلك العلة فهل من سبيل الى ان اكون الطبيب الرباني، ولا تكاد تلبث هذه الدولة ساعة يشفيها الله في جميع الانحاء لكن ان رجعت سياستها الى الصراط المستقيم الرحماني . وقد ذكرنا للسادة الواصلين تفاصيل الامور وابدينا لهم ما يصلح في المقام واكتفينا ببيانهم عن شرح ذلك هنا لان للكلام مقامات طويلة ومباحث مختلفة، كما سيوضحون لكم، وهم من أفضل عباد الله ولهُ الحمد ان جعل بيننا وبينهم التآليف وخالص الوداد في الله، ومثلهم يقوم بالبيان وكونوا على يقين ان ما فيهِ صلاح المسلمين والاسلام وحفظ البلاد بدون خداع فانا فيه على وفاق . وكذلك اكتفينا ببيانهم في مادة الحدود من (الشرق) الى (بني جماعة) وقد تحررت بذلك ورقة بخط العلامة المفضال بدر اللآلي السيد أحمد بن يحيي عامر، هذا وشريف السلام وأسناهُ يعمكم ومن بالمقام ورحمة الله وبركاتهُ » الامضاء

ولم تكن سياسة الاتحاديين مع السيد الادريسي غير سياستهم مع سائر امراء العرب. فقد كانت سياسة خداع ونفاق وكذب واعتداء لم يألفها العرب في زمن من الازمان. ولكنهم قابلوها من الاتحاديين بالصبر والحكمة واللين للاسباب التي ورد ذكرها في الفصول السابقة واشار اليها السيد الادريسي في كتابه الى الامام يحيي واهمها رغبتهم في رفع منار الاسلام والمحافظة على كيانهم القومي. نعم ان فريقاً من امراء العرب حارب الدولة غير مرة في السنوات الاخيرة ولكنهُ حاربها دفاعاً عن نفسهِ ولاسباب حيوية كالاسباب التي ذكرها سيادة الادريسي او ما هو اهم منها. وكان دائماً يهادنها او يصالحها كلما دخلت في مأزق او خاضت غمار حرب خارجية

اما الاحزاب العربية فقد اخلصت للاتحاديين اخلاصاً عظيماً وكانت اعظم تساهلاً معهم من امراء العرب في شبه الجزيرة واكبر دليل على ذلك ما سبق ذكره عن خطتها واعمالها وقراراتها واقوال زعمائها وما سأثبتهُ في هذا الفصل من الكتب السياسية السرية التي تبودلت بين بعض الزعماء واصحاب الرأي الذين اعدموا في سورية والعراق وبعض اصدقائهم السياسيين الذين لم تصل اليهم يد الاشرار السفاحين. وهذه هي الكتب بنصها لم يحذف منها الاَّ اسماء الاحياء وما ليس له علاقة بالسياسة

كتب المرحوم الضابط الكبير سليم بك الجزائري الى احد اصدقائهِ السياسيين في ١٥ يناير سنة ١٩١٤ ما نصهُ

« عزيزي . . .

« لقد اخلصنا للاتحاديين فلا مجال للشك في اخلاصهم لنا. نعم ان الاتفاق الذي ابرموهُ مع الزهراوي وعبد الكريم لا يسعدنا وليس فيه كل ما تحتاج اليهِ من الاصلاحات وان زعم فريق من الاصدقاء انهُ « كجراب الكردي» يحتوي

على كل شيء ولكن ما العمل ؛ أيجوز لنا ان نخطىء الزهراوي وننتقدهُ على هذا الاتفاق ؛ أنا لست على هذا الرأي لان الزاهراوي لو لم يتفق مع الحكومة لكنا الآن في اشد المآزق حرجاً فاما ان تقوم بعمل يهدد استقلال الدولة العلية ويؤدي الى عكس الغاية التي نرمي اليها وهي نيل حقوقنا من اخواننا الترك ومشاركتهم في كل ما يؤول الى تقوية الدولة واسعاد سكانها او ان نخلد الى السكينة بعد كل هذه (القرقعة) فيهزأ العالم بنا ويحتقرنا الاتحاديون انفسهم ونصير مثلاً بين الناس

ان الحال السياسية حرجة جداً ايها العزيز فبقدر ما يسيء الاتحاديون الينا الآن يجب ان نحسن اليهم حرصاً على كيان هذه الدولة المنكودة الحظ »

« سليم الجزائري »

وكتب المرحوم مختار بيهم الى احد اصدقائه السياسيين في مصر في ٢٦ اكتوبر سنة ١٩١٤ اي قبل دخول الدولة العثمانية في الحرب بخمسة ايام فقط ما نصهُ حرفياً :

« اخي العزيز

«يخيل اليّ ان الحرب واقعة لا محالة بين الدولة العلية ودول الحلفاء والامل عظيم جداً بان تكون حرباً قومية ظافرة تعيض الدولة من الخسارة التي منيت بها في السنوات الاخيرة وترفع شأن العثمانيين في نظر العالم. وقد الغينا احزابنا السياسية وتناسينا اختلافاتنا الداخلية لان المصلحة المشتركة تقضي بذلك وسوف يرى اخواننا الترك ولا سيما الاتحاديون من اعمالنا في هذه الحرب ما يظهر لهم عظم اخلاصنا للعرش العثماني وتفانينا في خدمة الوطن المشترك. ونحن الآن على احسن ما يرام مع حزب الحكومة الذي اظهر وطنية عظيمة في هذه الازمة الشديدة وسنظل كذلك انشاء الله الى الابد . فكن على ثقة بان سورية

ستكون في ابان الحرب احسن منها قبلها فلا يقع ما يكدر من جانب الاهلين ما زلنا احياء (١) »

« مختار بيهم »

وكتب المرحوم عبد الكريم الخليل الى أحد اصدقائهِ في ٦ اغسطس سنة ١٩١٤ ما نصهُ :

« أيها العزيز ، انا على وشك السفر الى سورية لان التدابير التي اضطرت حكومتنا السنية الى اتخاذها درءًا لخطر الحرب العظمى تقضي على كل عثماني مخلص لدولتهِ وامتهِ أن يبذل جهدهُ في سبيل تنفيذها على أحسن ما يرام . وستكون مهمتي في سورية جمع كلمة الامة على شد ازر الحكومة والسعي لمنع كل ما يحتمل وقوعهُ من أسباب النفور بين العناصر العثمانيـة . وقد وعدتني الحكومة بان تشد ازري في هذه المهمة وتجيبني الى كل المطالب العادلة التي أطلبها منها باسم الامة العربيـة او باسم الافراد من أبنائها . فلنكن كلنا يداً واحدة لانقاذ الدولة من عواقب الحرب الاوربية واظهار الوحدة العثمانية بأتم مظاهرها لنتمكن من منع اعتداء الدول الغربية علينا والخروج من هذه الازمة الحرجة ارفع شأناً وأعلى مقاماً »

« عبد الكريم الخليل »

وقال المرحوم محمد المحمصاني الى بعض اصدقائهِ الذين نصحوهُ بالبقاء في مصر بعد اعلان التعبئة العامة في الدولة العثمانيـة « ان الوطن في حاجة الى كل فرد من ابنائهِ في هذا الاوان العصيب فمن الخيانة أن لا نقوم بالواجب علينا نحوه »

وكتب المرحوم عبد الحميد الزهراوي الى صديقهِ الاستاذ السيد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الاسلامية واحد اركان حزب اللامركزية كتاباً سرياً مطولاً في ١٦ يناير سنة ١٩١٤ كتب في اعلاه « مكتوم كله عن كل احد »

(١) كان رحمه الله في تلك الاثناء رئيساً لبلدية بيروت

وضمنه كل ارائه السياسية واعرب فيه عن ثقتهِ التامة بالاتحاديين ووجوب الاخلاص لهم فرأيت ان أنشر الكتاب برمته في هذا المقام ليدرك القراء عظم الجناية التي اقترفها الاتحاديون باعدام هذا الرجل الحسن النية الطيب السريرة الذي عرّض نفسه لانتقاد اصحابه وحقد امته عليه رغبة منه في التوفيق بين العرب والترك وانقاذ الدولة من اعظم مشاكلها الداخلية. وهذا نص الكتاب بعد المقدمة (١)

« كنت قد فصلت لكم اذ جئت باريس كيف وجدت امر مؤسسي فكرة المؤتمر فوضى وكيف تعبنا في ستر الامر وايجاد المؤتمر مرونقاً بتوفيق من الله تعالى فوق المأمول ، وبعد انقضاء المؤتمر تفرق الجمع الذي لفق تلفيقا ، ثم بعد قليل نفد صبر البيروتيين فذهبوا الى بلادهم عن طريق استانبول ، وبقيت يا عزيزي وحدي أمثل الفكرة ، وبقي خليل زينيه وأيوب ثابت وهما لم يرشفا من مشرب الجامعة العربية ولا قطرة واحدة ، حتى ولا من الجامعة السورية ، وانما همهما بيروت وحدها لا شريك لها ولكن لانهما متعلمان سايراني وسايرتهما وتوادينا جيداً حتى سفري ، ولم يكن مثل هذا التواد ولا ربعه بينهما وبين رفقتهما البيروتيين المسلمين

« لو عجلت تلك الايام ورجعت على الفور الى مصر لبقيت المسئله مقطوعة بتراء ، فيكثر استهزاء الافراد والجماعات والاقوام بأشخاصنا وبجماعتنا وقومنا ، لكن الله عز وجل سلمني من هذا ، وقدّرني على الصبر هناك ممثلاً للفكرة مدة خمسة أشهر — وما هي بالقليلة ولا الكثيرة — ونعمت المدة كانت ، وقفت فيها على كثير وعظم فيها اختباري لاوربا ، وما أحوجنا الى مثل هذا الاختبار

(١) نشر هذا الكتاب في مجلة المنار الصادرة في اوائل شهر ذي القعدة سنة ١٣٠٤ (سبتمبر سنه ١٩١٦)

« جئت بعد ذلك الى استانبول لارى ما جدَّ فيها لان المعرفة بالقديم لا تغني ، والمعرفة عن بعد كثير من مآخذها غير صحيح ، وما أضر العلم المبني على مأخذ غير صحيح !

« بعد وصولي بقليل عرفت كثيراً من الاحوال الحاضرة هنا وبعد مدة أخرى عرفت أكثر وكدت أظنني اكتفيت واحطت كل الاحاطة ، ولكن الآن تبين لي انه لولا الصبر والتأني اللذان مكنني الفاطر سبحانه منهما لرجعت بمعرفة غير كافية ، ولذلك أصبحت لا أجسر أن أقول تمت احاطتي وانما أقول أصبحت يجوز لي أن افصل واشرح بشيء من الطمانينة ، وان تأخير هذا التفصيل والشرح كان انفع وجاء اليوم في وقته

« والشرح ههنا يتعلق بثلاثة مواضيع (أو موضوعات) (١) أوربا والعثمانية (٢) الاتحاديون وغيرهم (٣) رجال الاصلاح الحقيقي وابناء العرب هنا وفي الجهات الاخرى. واني ابدأ لكم بالاول لقصر البحث فيه واشفع بالثاني واخرت الثالث لطوله وطوّلته لتوقف التفاهم وكثير من اعمالنا على الاحاطة بهذه الحقائق المشروحة فيه

« اوربا والعثمانية : لقد كشفت اوربا آخر ستار من ستر السياسة في المسألة العثمانية وقررت التداخل في سائر شؤونها وانما لا يزالون مختلفين بعض الاختلاف في كيفية هذا التداخل وكميته وصورة توزيعه فيما بينهم ، وليس في اوربا اليوم موضوع مقدم على هذا الموضوع ، ولا يمضي ثلاثة اشهر حتى تتمخض الليالي فتلد ذلك الشكل الجديد الذي يتفقون عليهِ ، والذي اظنه ان الدولة ستبقى بعد ذلك وتعيش أحسن مما كانت عائشة لأن بعض التداخل طب ولست مغاليا اذا ذهبت الى ان الموت أقرب اليها مع عدم التداخل البتة منه مع شيء من ذلك ، فانا اذا قلنا بعدم التداخل البتة فحينئذ تخلق كل واحدة

سبباً لانشاب الحرب عليها فتؤخذ بداء السكتة دفعة واحدة

« الاتحاديون وغيرهم : الاتحاديون معروفون فمن غيرهم ؛ لا يوجد الآن حزب سياسي آخر الا ان يكون خفياً ولم أشمّ شيئاً من هذا ، وحينئذ لا نجد مقابل الاتحاديين الاجماعات الاجناس كجماعات الروم وجماعات الارمن وجماعات العرب

« نعرف أن للروم جماعات وللارمن جماعات فهل للعرب مثل هذا ؛ هلمّ ننظر

« اولاً — الروم كلهم جماعة واحدة يرأسهم البطرك ولكيلا يستبد ربطوه بمجلسين روحاني وجسماني ، وهكذا الارمن ، أما العرب فليس لهم مثل ذلك. وثانياً الروم والارمن لهم جمعيات سياسية منظمة مرتبة غنية وليس للعرب مثل ذلك ، اللهم الا جماعتنا في مصر وجماعتنا في بيروت ، اذن غير الاتحاديين هم الروم والارمن وجماعتنا في مصر وجماعتنا في بيروت .

« فالاتحاديون هم اولياء الامر مباشرة وهم اليوم يتسلحون بعزائم شديدة ماضية وناوون نية قاطعة أن يجددوا شباب الدولة بقدر ما تسمح الظروف ، ويشتهون أن يخلص اليهم العرب ويساعدهم فضلاؤهم في هذا السبيل ، ويعترفون بخطيئاتهم الماضية ويودون أن لا يعودوا الى مثلها بقدر الامكان ، انا مؤمن بنيتهم واقوالهم هذه كل الايمان لادلة كثيرة ظهرت لي ، ولكنني مرتاب من جهة قابليتهم لتطبيق العمل على النية ، وعلى كل حال أرى ان عدم تركهم وحدهم خير من تركهم ، ويرجى به ان تقوى قابليتهم ، فان شئتم ان تخطئوني بتحسين الظن الى هذه الدرجة — كما اشرتم الى ذلك في كتاب . . . فاني لا اخطئكم بالتخطئة لاني أجلّ رأيكم اكثر من رأيي ، وانما أرجو أن يكون في خطائي شيء من البركة ، أرجو ذلك من مصداق قوله سبحانه « فعسى ان تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً »

« هذا وصف الاتحاديين بما هم عليه اليوم . اما الروم فقد قلّوا في المملكة وتصاراهم ان يحافظوا على ما بيدهم من امتيازات البطركية وحق المبعوثية وسيقل الالتفات اليهم ، واما الارمن فهم اليوم آلة بيد روسية وسيتم لهم في المبعوثية حظ قريب مما يأملون ، وأما نحن معشر العرب فان اخاكم الآن يعتبر ممثل جماعتنا ، وقد فصلت ما تمّ على يدي في الكتاب الذي أرسلته الى الاخ الرفيق في البريد الماضي وههنا سأزيد

(٣) رجال الاصلاح الحقيقي وابناء العرب هنا وفي الجهات الاخرى : « ما أظنكم — استغفر الله — ما اعتقد انكم في حاجة الى بيان ان رجال الاصلاح الحقيقيين غير كثيرين ، وما اعتقد انكم تعرفون منهم اكثر من ثلاثة او اربعة ، واعني برجال الاصلاح الحقيقيين من جمعوا في موضوع الاصلاح بين صدق النظر وصدق العمل ، من كثرت تجاربهم ومرنت رويتهم وصحت عزيمتهم وشهدلهم ماضيهم ، من كثر اختلاطهم بمختلف الطبقات ، ووقوفهم على متباين النزعات ، وصبرهم على متنوع العقبات ، من امتزجت روحهم بحب النظام الذي يحبه الله وكره الفساد الذي يكرهه الله وامتزجت سيرتهم باخبار معامع الجهاد الاصلاحي ، ومن اشربت افكارهم فهم معنى الرابطة وافئدتهم محبتها وتعشقها ، فنحن لقلة هؤلاء واقعون امام حاجتين عظميين — الحاجة الى تكثيرهم ، والحاجة الى اشتغال هؤلاء مع من ليس من جنسهم وطبعيتهم ، ثم نحن مع قلتهم وصعوبة اشتغالهم مع غيرهم امام مشكلين عظيمين ، الاول السبات الذي الامة فيه ، والثاني الجشع الذي اوربا فيه

« اترك تفصيل هذا الاجمال لحكمتكم وحسبنا هي في كل موضوع ، وآخذ الآن بحكاية حال ابناء العرب هنا لانكم علقتم الامل مراراً على صنف منهم ههنا

العرب هنا ثلاثة اصناف : متاجرون ومتعلمون ومأمورون ، فالصنف

الاول لا في العير ولا في النفير من جهة السياسة والاصلاح ، ثم هو في غاية القلة ، والصنف الثاني اولاد في ناشئة العمر لا يليقون للسياسة ولا تليق لهم(١) والصنف الثالث اربعة اقسام الضباط والمأمورون المنصوبون في بعض الوظائف والمأمورون المتقاعدون المقيمون هنا والمأمورون المعزولون الذين جاءوا لينصبوا :

«فاما الضباط فلا تجربة لهم في هذه المسالك البتة والاولى عدم دخولهم فيها فان هذه التجربة القليلة التي سأقصها الآن زهدتني في كل سياسة يشترك فيها الضباط منا : ذلك ان ... ناقم اليوم على الحكومة فيشتهي لاجل هذا زعزعة الدولة ونسفها نسفاً ، وهو لاجل ذلك ناقم على ائتلافنا مع الحكومة ومضاد له لانهُ على زعمه يؤخر حركات العرب ، ولا ادري ما هي حركات العرب وأين تسير وأين ترسي . وهذا يجتهد أن يجمع حولهُ بعض أولئك الاولاد وينفرهم منا ومن صنيعنا (٢) ولكن لا ينجح بحوله تعالى ، ومن جهة اخرى هو يحافظ على ظاهر الصداقة بيننا ، وقد أردت اختبارهُ فوجدتهُ يجنح الى مصالحة أولياء الامور وحينئذ يرضى عن كل شيء . فانظر يا عزيزي الى الذين يعدون انفسهم في مصاف رجالنا

«وأما المأمورون المتقاعدون فمثلهم كمثل العجائز لا يرضيهن شيء ولا يستطعن عمل شيء . واما المأمورون المنصوبون فلا هم لهم الآ حفظ المنصب

« واما طلاب المأموريات فجياع مساكين لا يفهمون من الاصلاح الآ المأمورية ، ان جاءت فقد جاء الاصلاح وان لم تجئ فقد منع الاصلاح . ومن

---

(١) كتب هذا الكتاب اثر الخلاف الذي وقع بين الشيبة والمرحوم الزهراوي بعد قبوله منصب الاعيان واشرنا اليه في الفصول السابقة

(٢) توهم المرحوم الزهراوي ذلك على اثر تهديد بعض الشبان الملكيين والعسكريين له بعد قبوله منصب الاعيان وقد اعترف رحمه الله بخطأه الى فريق من ابناء العرب في الاستانة بعد كتابة هذا الكتاب بايام قلائل

هذا التفصيل يظهر لك ان العاصمة في حالتها الحاضرة ليس فيها عرب تستطيع جماعتنا ان تعتمد على أحد منهم، أو ان تعمل صلة ورابطة مع احد منهم، اللهم الاّ ان يكون (فلان وفلان) وكل ما أخبركم عنهُ (فلان) وهو سراب بقيعة جاءهُ اخوكم الظمآن فلم يجدهُ شيئاً. وبعض أولئك الاولاد يحسدون الشاب عبد الكريم وبعضهم لم يتمكن من انالتهم ارباً لابيهم او اخيهم او ابن عمهم مثلاً. فمن ههنا اكثروا عليهِ من قيل وقال وكلهُ هراءٌ وهواءٌ

« وأما العرب في الجهات الاخرى فهم اهل سورية واهل العراق واهل الجزيرة الخُلّص. فالسوريون والعراقيون حضرٌ قد ألفوا الذل وتعودوا الاستخذاء والاستكانة. لايفهمون ولا يريدون ان يفهموا. لا يساعدون ولا ينوون ان يساعدوا. لا يهبُّون ولا يروق لهم ان يوقظوا. واما اهل الجزيرة الخلص فهم الاهل وقاّهم الله الخير وشدّ سواعدهم. أولئك يجب وصل الرابطة بهم من غير ان تقطعها مع الحضر على قلة غنائهم. قد فهمت من كتاب الاخ (فلان) كثيراً واستنبطت كثيراً ولو كان في وسع البشر ان توزع ارواحهم على امكنة متعددة لكان روحي أوزاعاً على اليمن وعسير والحجاز ونجد وحضرموت ولكن نظرية الصوفية في هذا الباب لا يمكن تطبيقها

« انظر يا عزيزي انا لازم لهناك كما تشير ولازم الى هنا فان هنا محل عمل ليس بقليل. فاني ارجو ان يكثر بوجودي هنا عدد رجالنا الذين يعتمد عليهم فان رضيت عن هذا الرأي فعليك عملان معجلان وعمل يمشي مع الزمان وانا معك فيهِ على بعد المقر. فالاول من المعجلين تبشيري بتلغراف عن رضائك خاصة وهو الاهم. ورضاء الرفاق عامة وهو مهم. والثاني منهما حملك الرفاق على تقديم تلغراف للصدارة يحبذون فيهِ هذا التعيين ويحملونهُ دليل اقدامهم على

تنفيذ الرغائب كلها بعبارة رقيقة تشويقية. اما الثالث فهو ما بيننا من امر ايجاد الرجال الذين يعتمد عليهم وتوزيعهم بقدر ما يساعد الزمان والمكان لبث الاصلاح العلمي والعملي

« وان لم ترض عن هذا الرأي فاكتب اليّ مفصلاً ومبيناً كل جهة من جهات الموضوع . وانا من عهدت من يدع رأيهُ اخيراً الى رأي وليه

« هذه هي الخلاصة المفصلة واليك خلاصة الخلاصة. وهي ان اليأس لا يجوز بحال من الاحوال . ولكن الامة في كل اطرافها ليست بحالة يعتمد عليها في شيء وانهُ مع هذا لا يجوز اهمالها . وكذا لا يجوز اهمال من بيدهم امر المملكة وتركهم وحدهم . وانهُ لا بد لنا من رجال ههنا . وان اكثر ما يتصرف به الرواة من الاخبار غير صحيح . واني منتظر امركم بسرعة . وان شوقي عظيم »

« عبد الحميد الزهراوي »

فهذه الكتب السياسية السرية وميئات من امثالها (١) تثبت للملأ عظم اخلاص العرب للاتحاديين قبل اعلان الحرب الاوربية وبعدها ولكن هذا الاخلاص العظيم لا يظهر باتم مظاهره الاّ بعد دخول الدولة العثمانية في الحرب فقد تناسى العرب حينئذ كل خلافهم مع الترك وانضموا اليهم قلباً وقالباً دفاعاً عن الوطن المشترك فخاض جنودهم غمار المعارك في العراق والقوقاس والدردنيل والقنال ومات منهم عشرات الالوف في ميادين القتال واشتركت الامة العربية مع جميع الشعوب العثمانية في دفع الضرائب والاموال بحيث يمكنني ان اقول استناداً الى احصاء رسمي ان ما دفعهُ العرب من الضرائب والتبرعات الحربية عن طيبة خاطر كان اضعاف ما ضرب على الامة التركية وما تبرع به الترك في هذه الحرب

(١) سينشر كل ذلك حين سنوح الفرصة

هذا بعض ما فعله العرب العثمانيون . اما امراء العرب في شبه الجزيرة وجنوبي العراق وسورية فقد مدّوا الى الدولة يد المساعدة باخلاص وتناسوا خلافهم معها وتطوع عدد كبير من رجالهم في جيشها وأرسلوا اليها ما تحتاجهُ من الجمال وشدوا ازرها في ميادين القتال ولا سيما في العراق والقنال وجهات عدن وكانوا يعملون بهمة لا تني على خوض غمار الحرب في جانبها بكل ما عندهم من الرجال

اما الجمعيات العربية فقد حلت كلها بعد اعلان الحرب العثمانية واتجهت افكار العرب قاطبة الى الدفاع عن الدولة واعلاء شأنها وبلغت منهم الحماسة اقصى درجاتهـا وصار اشدهم كرهاً للاتحاديين اعظمهم غيرة عليهم ورغبة في تأييدهم فوجه السيد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الاسلاميـة وأحد اركان حزب اللامركزية خطاباً الى مسلمي سورية [١] قال فيهِ ما نصهُ :

« ثم اشكر لكم ما اظهرتموهُ من النجدة والهمة في الاخلاص والطاعة للدولة وبذل الانفس والاموال والثمرات لها والكف عن طلب الاصلاح منها وتقديركم الحال الحاضرة قدرها حتى انكم ساهمتم في هذا ارقى ام الارض التي سكتت عن جميع مطالبها ومنازعاتها الداخلية الخ »

ونشر غيرهُ من رؤساء الدين وزعماء الاحزاب العربيـة الذين اعدموا او حكم عليهم بالاعدام في محاكم الاتحاديين بيانات عديدة في هذا المعنى اثبتت للعالم كله عظم اخلاص العرب للحكومة الاتحادية وعزمهم على بذل كل غال ونفيس في سبيلها

***

(١) نشر هذا الخطاب في جريدة الاهرام الغراء في ١٦ سبتمبر سنة ١٩١٤ اي قبل دخول الدولة العثمانية في الحرب

الفصل السادس

﴿ معدات الاتحاديين لمحو الاسلام وسحق العرب ﴾

جمعية ترك اوجاغي وفروعها — الفكرة القومية في الترك — الاناشيد الحماسية الوطنية
كيف يعلمون الضباط والجيش والامة ـ الاسلام في نظر الاتحاديين ـ اركانه وتعاليمه
النبي (صلعم) وصحابته وخلفاؤه الراشدون (رضى الله عنهم)
الملائكة والانبياء وكل ما هو مقدس في الاسلام

ذلك ما كان من امر العرب . اما الاتحاديون فانهم بعد ما صفا لهم الجو في أوائل سنة ١٩١٤ باتفاقهم مع فريق من زعماء العرب وسكوت الفريق الآخر عن مطالبتهم بتنفيذ بنود الاتفاق انتهزوا الفرصة وجعلوا يعدون المعدات الهائلة لسحق العرب والقضاء على فكرتهم القومية ومنعهم من العودة ثانية الى المطالبة بحقوقهم المهضومة . وقد قالوا في انفسهم ان القوميـة العربية اساسها الاسلام وانها لا تسحق ما دام الاسلام قوياً محترماً فعملوا على محو الاسلام ايضاً وتوسلوا لذلك بكل وسيلة سافلة

﴿ المعول الاتحادي العظيم ﴾

انشأ الاتحاديون جمعية تركية عظيمة سموها جمعية « ترك اوجاغي » — اي طائفة الترك او العائلة التركـية — وجعلوا غايتها محو الاسلام وتتريك العناصر العثمانية ومركزها في الاستانة ومصاريفها من تخصيصات وزارتي الاوقاف والداخلية ومن المشيخة الاسلامية ايضاً وهي منتشرة في كل بلدة وقرية في الاناضول والقوقاس وتركستان وتراقية ومكدونية ولها اربعة فروع لكل منها مهمة خاصة به وهذه الفروع هي :

اولاً «ترك يوردي» — أي المملكة التركية — ومهمتهُ العناية بالآداب التركية بطرق شتى اهمها «تطهير» اللغة التركية من الكلمات العربية وجعلها لغة مغولية بحتة وتأليف الكتب القومية بهذه اللغة وتعليمها في المدارس ونشرها في البلاد التركية وكتابتها بحروف منفصلة لكي لا يبقى بينها وبين اللغة العربية اقل شبه.

ووظيفة أعضاء جمعية «ترك يوردي» مقاومة كل كاتب تركي او غير تركي لا يرى رأيهم ولا يعتقد معتقدهم ونشر الكتب القومية والاناشيد الحماسية بين الترك وتدريسهم التاريخ التوراني القديم وافهامهم ان الترك اعظم امة في العالم اختارتها الاقدار لسيادة الامم . وقد جرى لهم حوادث عديدة مع فريق من عقلاء الترك انفسهم كعلي كمال بك والدكتور رضا نور بك ولطفي فكري بك وغيرهم فاتهموا هؤلاء بالخيانة وتهددوهم بالقتل وقالوا ان العنصر التركي يتبرأ منهم وانهم من اصل يوناني وانهُ لا وطنية لهم ولا قومية ولا شرف

ثانيا «ترك درنكي» — اي ثبات الترك — ومهمتهُ بث الفكرة القومية في الترك العثمانيين وغير العثمانيين بشكل لم يسبق لهُ مثيل في تواريخ الامم

وأعضاء ترك درنكي من غلاة الاتحاديين وأشدهم كرهاً للعناصر ورغبة في تتريكها والقضاء على الفكرة القومية فيها . وهم على جانب عظيم من الهمة والنشاط ولكن الغرور اعمى ابصارهم وأسدل ستاراً من الجهل على عقولهم فكانت ثمرة نشاطهم شراً على الدولة ووبالاً (١)

ثالثاً : ترك بلكيشي — اي العلم التركي — ومهمة اعضائهِ ترجمة الكتب

---

(١) بلغ منهم الغرور مبلغاً لا يتصورهُ العقل فبينما كانت جيوش البلقانيين امام شطالجه تهدد كيان الدولة كان احدهم - احمد اغايف بك - ينشئ سلسلة مقالات في جريدة تصوير افكار جاء فيها ما ترجمتهُ «يجب ان تهتم تركيا بشؤون ايران اعظم اهتمام لان ايران طريقنا الى الهند والصين!»

العلمية الى اللغة التركية القديمة ونشر هذه اللغة بين الترك و بث الفكرة القومية التركية في تركستان والقوقاس وربطهما بدولة الاتحاديين برباط سياسي متين

رابعاً « ترك كوجي » — اي القوة التركية — ومهمته العناية بصحة الترك وتقوية اجسامهم ونشر الالعاب الرياضية بينهم .

ويشترط للدخول في جمعية « ترك اوجاغي » او في احد فروعها ان يكون طالب الدخول تركياً وان يدفع رسماً شهرياً وان يتعهد ببذل حياته ونشاطه وماله لاعلاء شأن الترك وبسط سيادتهم على الامم الاخرى وان يغير اسمه باسم توراني يعرف به بين اصحابه فمن كان اسمه انور مثلاً صار يعرف اليوم بين اصحابه باسم ايشلداق — اي انور بالتركية القديمة — ومن كان اسمه محمداً او سليماً اوحسيناً او سعيداً صار اسمه اليوم تيموراً او جنكيزا او هلاكو او اوغوز الخ

وقد بدّل كل الضباط الاتحاديين اسماءهم بأسماء تورانية وكذلك رجال الحكومة الحالية لانهم كلهم من جمعية « ترك اوجاغي » ويعرفون بين اصحابهم الترك باسماء تورانية غير اسماءهم التي يعرفهم بها غير الترك .

وقد انشأت جمعية ترك اوجاغي وفروعها اندية عديدة في جميع المدن والقرى التركية لتدريس تاريخ الترك القديم ولا سيما تاريخ هلاكو وأوغوز وجنكيزخان وبث الفكرة التركية في الامة التركية وجعلها تعتقد بتفوقها على الامم الاخرى في كل شيء . وعينت هذه الجمعية ثلاثة ايام في الاسبوع لتعليم النساء التركيات التاريخ القديم وبث الفكرة العنصرية فيهن وحملهن على العناية بتربية اطفالهن تربية قومية تركية . وتبرعت وزارة اوقاف المسلمين اخيراً بخمسين الف ليرا عثمانية لجمعية « ترك اوجاغي » لاجل تأليف تواريخ مفصلة لهلاكو واوغوز وجنكيز وتيمورلنك

وأندية « ترك اوجاغي » محرم دخولها على غير الترك فكل من يود ان يدخل

اليها يجب عليه ان يظهر للبواب ورقة عليها اسمهُ ورسمهُ وتاريخ ولادته وقد سمت جمعية ترك اوجاغي اخيراً في ترجمة القرآن الكريم الى التركية القديمة مع خطبة الجمعة والادعية الدينية وغيرها مما يوجب الدين الاسلامي تلاوتهُ باللغة العربية وعزمت على نزع اسماء الصحابة من الجوامع لاعتقادها بأن وجود هذه الاسماء العربية في الجوامع والاماكن المقدسة مما يضعف الفكرة القومية في الترك

وليست المدارس العثمانية رشدية كانت او اعدادية ملكية او عسكرية الا فروعاً من فروع جمعية «ترك اوجاغي» وكذلك جمعية الاتحاد والترقي وجميع الجمعيات السياسية والعلمية والدينية والادبية التي تأسست في الاستانة والاناضول قبل الحرب الاوربية وبعدها

وقد ادخلت الحكومة في برنامج مدارسها العالية ولا سيما المدرسة الحربية ومدرسة اركان الحرب في الاستانة درس تاريخ التورانين وعلومهم الحربية وادابهم ونظاماتهم وعهدت الى احمد اغايف بك وامين بك وخالد ضيا بك وحمدالله بك في القاء محاضرات يومية في هذه المواضيع على تلامذة المدارس الحربية ومدارس الحقوق والطب والهندسة وغيرها وترسيخ الفكرة التركية في نفوسهم . واستعاض التلامذة في جميع المدارس الابتدائية والاعدادية والعالية من الكتب العصرية بمجموعة «ترك يوردي» — المملكة التركية — وكتاب ترك قليجي — السيف التركي — وتاريخ توران وتاريخ تيمورلنك وهلاكو وجنكيز خان وغيرهم .

وفي كل يوم يجتمع تلامذة المدارس الحربية في ساحات مدارسهم ويستلون سيوفهم وينشدون نشيدهم الوطني الذي يبتدىء بهذه الابيات :

جنكز خانك بايراغي آنلي شانلي صانلاندي
آيت خانك بايراغي حربده بويله اكلاندي

اي : لقد تموجت اعلام جنكيزخان في جو المجد والشرف وأرشدتنا اعلام آيت خان الى نهج هذا الطريق المجيد في الحرب . الخ

والاغرب من هذا كلهِ الدعاء الجديد الذي الفتهُ جمعية « ترك يوردي » وجعلت الترك يستعملونهُ في منازلهم ومدارسهم . وقد قربت اخيراً استعمالهُ في الجوامع في الاستانة والاناضول وهذهِ ترجمتهُ :

« ايها الاله القادر على كل شيء انعم على الترك بالصحة والعافية وأحسن اليهم بذئب ابيض (١) واشملهم برعاية مولانا السلطان الاعظم

« وأنت يا مملكة توران الجميلة المحبوبة ارشدينا الى الطريق المؤدية اليك لان جدنا اوغوز الكبير ينادينا

« ايها الاله القادر على كل شيء انر طريق توران امامنا واجعل امتنا كالورد الناضر واهدنا الصراط المستقيم »

﴿ الاناشيد الحماسية في الجيش ﴾

أما الجيش العثماني فمعظم ضباطهِ وجنودهِ الترك من الاتحاديين ومن المنتسبين الى جمعية ترك اوجاغي وهم يحتقرون الضباط والجنود من ابناء العناصر العثمانية الاخرى ولا يسمون الدولة الاّ الدولة التركية وينفرون من تسميتها الدولة العثمانية لاعتقادهم ان البلاد العثمانية غير التركية ليست الا مستعمرة فتحها الترك بالسيف. وهذا انموذج من الاناشيد الحماسية التي يترنمون بها في الجيش:

بز تركز سن تركلكه امانتسك

هيج قورقه هب اولورسنى ويرميز

اي : نحن ترك وأنت (يا اسيا) امانة بيد الترك فلا تخشي شراً لاننا نفديك بارواحنا

(١) الذئب الابيض انه من آلهة الترك الاقدمين وقد كان شعاراً لهم ايضاً

اى ترك كنجى يتيشير ارتق اويومه

قوش كويلينك امدادينه دورمه

اي : انهض أيها الفتى التركي فقد نمت طويلاً واسرع في الحال الى امداد بلاد اجدادك

جنكيز خانك بايراغي انلى شانلى صانلاندى

ايت خانك بايراغى حربده بويله اكلاتدى

وقد سبقت ترجمتهُ

انتقامى آلهمزسك تركلك بزه نافله

صوصترملم بايقوشلرى يتيشر بوولوله

اي: لا يحق لنا ان ندعى اتراكاً ما لم ننتقم من اعدائنا. فلنسكت البوم عن نعيقهِ وليكفنا ما سمعناهُ من الضجيج والنحيب

يوريبالم ايلرى يه اتلايهلم طاغ تبه

باطلاتالم بومبالرى جانلر كيرسون يرلره

اي : هلموا الى الامام فتنبسط امامكم الجبال والاكام وتتفجر قنابل الديناميت وتفغر الارض فاهاً لابتلاع النواقيس والاجراس

آل بايراغك التنده اتالرم يوررودى

كوك بايراغك التنده يكي توران بيودى

اي لقد سار اجدادنا الى المجد تحت العلم الاحمر الذي هو مصدر عظمة توران الجديدة

يورين طاغلر اينسين التون اردو شان ويرسون

آل بايراق ! يا نغيلر اوزرنده يوكسلسك

اي : سيروا لتنبسط الجبال وتكسبنا جيوش التاي [1] الشرف فان مجدنا سيشاد تحت العلم التركي على الانقاض والحرائق

بز ايغورز دونمز قوناغمز طاغ اوه
تركز بزمدر اسيا تركز تركز هبمز

اى : نحن سعداء فلا نرجع عن سيرنا الى الامام لان مسكننا الجبال والبطاح . نحن ترك واسيا كلها لنا نحن اتراك اتراك كلنا

﴿ كيف يعلمون الامة ﴾

هذا نموذج من الاناشيد التركية الوطنية التي يترنم بها الترك في ميادين القتال على مسمع من جنود العرب وضباطهم

والى القراء نموذج من الخطب والدروس التي يلقيها على التلامذة العثمانيين في مدارس الدولة اساتذة من اعضاء جمعية «ترك اوجاغى» عينوا برواتب باهظة لتتريك ابناء العناصر العثمانية :

قال استاذ التربية العسكرية في المدرسة الحربية في الاستانة في درس القاهُ على صف الضباط بعد اعلان الحرب العثمانية بايام ما خلاصتهُ :

« اودّ ايها السادة ان القي عليكم كلمة في غاية الاهمية بمناسبة الحوادث العظيمة التي وقعت في الغرب فاظهرت لنا معاشر الترك اموراً لم تخطر في بالنا من قبل وعبراً ينبغي أن نعتبر بها . فان البلجيك الصغيرة تجاسرت على محاربة المانيا العظيمة ووقفت بجيش لا يزيد على مئة الف جندي امام اعظم جيش ذكره تاريخ بني البشر فحالت دون القضاء على حليفتها فرنسا . لذلك لا يسعنا نحن الترك اعداء البلجيك الاّ ان نطأطىء رؤوسنا اجلالاً لها واحتراماً لجيشها

---

(١) اسم لجبل آلتون طاغ الذى يعده الترك التورانيون بلادهم الاصليه

الباسل.ولكن اتعلمون ايها الاصدقاء لماذا وقفت البلجيك تيار الجيش الالماني العظيم؟ وقفته لانها كانت تحاربه باسم القومية وباسم الوطن . اوَ تعلمون لماذا عظمت فرنسا وانكلترا والمانيا وسدن العالم وصرن اعلى امم الارض مقاماً واكثرها ثراء؟ لانهن خضن معترك الحياة باسم القومية لا باسم الدين. فعلينا ايها الاعزاء ان نظهر من الآن وصاعداً امام العالم بصبغة القومية المقدسة وان نضرب بالعصبية الدينية عرض الحائط.

« نحن ايها السادة اتراك واني لا عجب من تسميتنا عثمانيين. فن هو عثمان الذي ننتسب اليه؟ انه تركي جاء من آلتاي واجتاح هذه البلاد بجيشه التركي. فانتسابنا الى اصله اشرف من انتسابنا اليه . ولقد خدعنا بجهل اسلافنا في الماضي فبئس الاسلاف الذين انسونا قوميتنا . انكم ايها الاعزاء ستلتحقون بالجيش قريباً وستكونون اساتذة جنودنا الابطال . فعلموهم انهم ترك وانهم اذا حاربوا العدو من اجل الترك وتحت العلم التركي ينتصرون عليه ويحرزون ما احرزته البلجيك من المجد والفخر. وتأكدوا ان التركية خير لنا من الاسلام وان التعصب للجنسية من اكبر فضائل الهيئة الاجتماعية »

فاجابه احد ضباط العرب قائلا : « تعلم ايها القائد ان للامم الشرقية تقاليد لا يمكن الاغضاء عنها وقد حفظت الجنسية العثمانية هذه التقاليد وكفلت سلامة الدولة الى الان . فتتريك العناصر العثمانية او انكار قوميتها عليها يؤدي الى اضمحلال الدولة في القريب العاجل . فانا احتج على هذا الكلام واقول بكل صراحة ان الرابطة الاسلامية العثمانية هي الرابطة الوحيدة التي تربطنا بالترك . ولما كنت حضرتك تعلمني الان ان هذه الدولة دولة تركية وان هذا العلم الذي عهدت الي في الدفاع عنهُ هو علم تركي أي علم اجنبي عني فقد قضيت على قوتي المعنوية قضاء مبرماً واخمدت كل عواطفي الوطنية لاني انا وابناء العرب

وجميع ابناء العناصر غير التركية لا نحارب في جنب الترك الا لمقاصد متحدة وذبًا عن حياض الاسلام والعثمانية . »

فأجاب القائد قائلاً : « اعلم ان الحقيقة غير العواطف وأنك وان تكن عربيًا فأنت وعنصرك من تبعة تركيا . الم يستعمر الترك بلادك الم يفتحوها بالسيف؟ ان العثمانية التي تتخذها حجة لك هي حيلة اجتماعية يستعملها الضعيف للوصول الى غايتهِ . أما الدين فلا شأن لهُ في السياسة وسننهض قريبًا باسم التركية وتحت العلم التركي ونترك الدين جانبًا لانهُ من الامور الشخصية الثنوية. أما انت وأبناء جنسك فعليكم ان تعرفوا انكم ترك وأنهُ ليس في العالم قومية عربية او وطن عربي » (١)

وقد احتج ضباط العرب الذين سمعوا هذه الخطبة الى وزارة الحربية وطلبوا منها عزل القائد الاستاذ فلم تعبأ باحتجاجهم ولا اجابتهم الى طلبهم بل اتخذت التدابير اللازمة للتخلص منهم فقذفت بهم الى ميادين القتال وعرضتهم لرصاص العدو بلا سبب الاّ رغبتها في محوهم ليتسنى لها بعد ذلك قتل الفكرة القومية في بلادهم . وهذه الرغبة ، رغبة قتل العرب قديمة العهد في الترك الاتحاديين . فقد عثر ضباط العرب سنة ١٩١٢ في بولاير على كتاب من احد زعماء الاتحاديين الى قائد اتحادي جاء فيهِ «عرّضوا العرب لرصاص العدو واعملوا على التخلص منهم لان قتلهم يفيدنا . أما الكرد فاحتفظوا بهم لانهم يلزمون لنا في بلاد الارمن ! » (٢)

---

(١) جرت هذه المناقشة على مسمع مئات من ضباط العرب في المدرسة الحربية في الاستانة وقد نقلها الينا غير واحد منهم فعربناها للقراء

(٢) نشر هذا الكتاب في حينه في معظم الصحف العربية

﴿ الاتحاديون والاسلام ﴾

لقي جمعية ترك اوجاغي نجاحاً باهراً في بث الفكرة القومية في الترك . فلم يمض على انشائها بضعة اشهر حتى انخرط في سلكها ميئات الالوف من شبان الاستانة وتراقية والاناضول والقوقاس وتركستان فاتخذها الاتحاديون سلاحاً لهم ومعولاً في يدهم لهدم الاسلام وعهدوا الى المعممين من اعضائها في القاء الخطب والمحاضرات الدينية في الجوامع والمدارس ونشر كتب الكفر والالحاد في البلاد التركية من اقصائها الى اقصائها . وكان من اشهر المعممين الذين عهدوا اليهم في القاء الخطب والدروس الدينية في جامع اياصوفيا الشهير رجل افغاني الاصل اسمه عبيدالله وهو غير عبيدالله مبعوث آيدين ولكنه مثله في كره العرب والاسلام . وكان اعظم كتب الالحاد رواجاً كتاب «قوم جديد» (وهو خلاصة الخطب التي القاها عبيدالله المذكور في جامع اياصوفيا) وكتاب «تاريخ المستقبل» لجلال نوري بك «وصوك كتاب» ومجلة «اجتهاد» الشهيرة وغيرها. والى القراء نتف من الخطب التي القيت في اعظم جوامع الاستانة والكتب التي طبعت على نفقة المشيخة الاسلامية ووزارتي الاوقاف والداخلية ووزعت بالملايين في البلاد التركية

خيل الترك ورؤساء واشراف الامم الاخرى — قال عبيدالله في خطبة القاها في جامع اياصوفيا في شهر رمضان المبارك ونشرت في صفحة ٩٠ من كتاب قوم جديد ما نصه :

(اوربا وبتون جهان بشريت ترك حكومت مستقلهسنى)
(شجيع فدا كار برقومك حكومتى اولهرق طانيور . «والعاديات)
(ضبحاً» آيت جليله سيله تقديس ايديلن ترك اوردوسنك)
(باركيرلري سزك تقديس ايتديككز أقوام سائره أشراف)

(ورؤساسنك شرافت وحرمتندن أضعاف مضاعفه ايلهفضلهدر)

اي : «ان اوربا وكل العالم المتمدن يعرفون حكومة الترك المستقلة بأنها حكومة شعب شجاع غيور وأن خيل الجيش التركي التي نزلت في تقديسها آية (والعاديات ضبحاً) هي اعظم شرفاً واحتراماً بأضعاف مضاعفة ممن تقدسونهم من اشراف الامم الاخرى ورؤسائها» ومعنى هذه العبارة واضح لا يحتاج الى بيان فان الترك لا يقدسون من اشراف ورؤساء الامم الاخرى الا النبي (صلعم) وخلفائهِ الراشدين وائمة آل البيت الطاهرين عند العرب

رأي الاتحاديين في الحرمين الشريفين — وجاء في كتاب قوم جديد صفحة ٨٦ ما نصهُ عن الحرمين الشريفين وحج بيت الله الحرام :

(ما دام كه حرمين شريفين ترك خلافت اسلاميه سنك)
(نفوذ وقوت قاطعه وحافظهسى التندهتماميله مصون دكلدر اوحالده)
(مقامات مشار اليهانك شرف وحرمتى ده خلافتك تناقص نفوذ)
(وقدرتى نسبتنده تناقص ايتدى. بوندن جيقه جك نتيجه شودركى)
(بوكوندن اعتباراً شرعاً خلافت اسلاميه نك تحت اداره ونفوذ نده)
(اولمسى لازم كلن او مقامات مقدسه براً و بالخاصه نصارى ودشمن)
(دونمالريك مهابتى تحتنده بحراً تهلكه يه معروضندر . او تهلكه يى)
(دفع ورفع ايده جك دهادهشتلى دونمالر اوردولر احضار واعداد)
(ايتمدكجه حجك اداسى فرض دكلدر. كيدنلر (اجعلتم سقاية...الخ)
(آيت جليله سيله خطاب بيوريلان عتابه كرفتار اولا نلردندر. زيرا)
(حرمينك شرافتى شرافت ذاتيه دكلدر اولجه ديدكمزكبي شرافت)
(مكان بالمكيندر اومكين دولت عثمانيه در)

اي: «ما دامت مقامات الحرمين الشريفين ليست مصونة كما ينبغي بنفوذ

خلافة الترك الاسلامية وقوتها القاطعة والحافظة فان شرف المقامات المذكورة وحرمتها يتناقصان بنسبة تناقص نفوذ الخلافة وقدرتها . ونتيجة ذلك ان تلك المقامات المقدسة التي يجب ان تكون تحت ادارة الخلافة التركية ونفوذها هي معرضة من جهة البر ولا سيما من البحر الى اساطيل النصارى والاعداء ولذلك لا يكون الحج فرضاً على المسلمين قبل ان تنشىء الدولة اساطيل وجيوشاً اعظم من اساطيل الاعداء وجيوشهم لدفع اخطارها . اما الذين يذهبون الى الحج فانهم يقعون تحت طائلة الملام في قوله تعالى « اجعلتم سقاية . . . الخ » لان شرف الحرمين غير قائم بذاتهما بل هو كما قلنا قبلاً من قبيل شرف المكان بساكنه وهذا الساكن الذي به شرف الحرمين الشريفين هو الدولة »

رأي الاتحاديين في الخلفاء الراشدين — وقال عبيد الله من خطبة القاها في جامع ايا صوفيا ونشرت في كتاب قوم جديد في صفحة ٨٩ ما نصهُ :

(بونقدر جهالت نه مرتبهِ غفلت دركه جاملركزه خلفاى)
(عربك اسملرينى اصارصكزده برجوق احاديث نبويه ايله تقديس)
(بيورلمش اولان خلفاى تركدن هيج برينك اسمنى حرمتله ياد)
(ايتمزسكز خطبه ده خلفاى تركك اسمنى ذكر اولنوركن مقام)
(تذليل وتنزيلده براياق اشاغى اينرسكز جمعه نمازنده آخر)
(ظهر ديه رك برده نماز ضم ايدرسكز
(بونلرهب سياسةً سزك تنزيل واعتباريكز ايجون محدث)
(ومبدع شيلردر
(دهاسى وار : قومكز برقوم مقدس ومبجل اولديغى حالده اقوام)
(سائره دن عبد القادر كيلانيلر شيخ بدويلر وشيخ فلان وفلانلرك)
(تقديسي واهل جنت منكر ونكير وملائكه وتاجناب حقه قدر)

(هب عربجه تكلم ايتملرى اول شام اخر شام كبي سوزلره بتون)
(توكلرك قانديرلمسى قوم عربك ايجنده برمهدى ظهور ايده جكنه)
(اعتقادله اكا انتظار اولنمه‌سى ودها نيجه نيجه خرافات ...)

اي «ماهذا الجهل وما هذه الغفلة التي استولت عليكم تعلقون اسماء خلفاء العرب على جدران جوامعكم «اي اسماء ابي بكر وعمر وعثمان وعلي رضى الله عنهم» ولا تذكرون بالاحترام اسماً من اسماء خلفاء الترك الذين قدستهم الاحاديث النبوية الكثيرة. واذا ذكر في الخطبة اسم الخليفة التركي ينزل الخطيب درجة من درجات المنبر تنزيلاً لمقاله وتذليلا له ثم تزيدون ركعتين يوم الجمعة باسم «اخر ظهر» فكل هذا مبتدع ومحدث للحط من شأنكم سياسة. ولم تقف الحال بكم عند ذلك بل تركتم ابناء قومكم المقدسين المبجلين وصرتم تقدسون عبد القادر الكيلاني والشيخ البدوي والشيخ الفلاني وتدعون ان الله وملائكته حتى الموكلين منهم بعذاب القبر منكر ونكير يتكلمون اللغة العربية وتقولون دائماً «اوله شام واخره شام» وتسعون لتضليل الترك واقناعهم بانه سيخرج من العرب مهدي الى غير ذلك من الخرافات ...»

الخضر والملائكة والاولياء في نظر الاتحاديين: — وخطب عبيد الله في جامع ايا صوفيا في شهر رمضان المبارك خطبة في هذا الموضوع نشرت فى كتاب قوم جديد صفحة ٨٨ جاء فيها ما نصهُ:

(شاشارم عقلكزه واعتقاد باطلكزه كى قومكزدن اولان)
(ترك اوغلى ترك جليل الشان بر حكمداريكز بو بلده وجامعى فتح)
(ايتمزدن اول خضر نرده ايمشكه كلوب بنانى قبله يه جويرمه‌مش ده)
(حضرت فاتح ضبط ايتدكدن صكره بوجامعه كيره بيلمش)
(حضرت فاتح صلى الله عليهِ وعلى أصحابهِ وسلم كبي قوى الشوكت)

(برحكمدارى تقديس ايتمزسكزده موهوم وتخيل خضرلره اسناد)
(حرمت ايلرسكز. بونك كبي ادرنه ده اسكى جامعده هر صباح)
(نمازى اثناسنده خضرك بولنديغنه خلقجه بر اعتقاد واردر .)
(اردوى اسلام مغلوب اولوب ده بلغارلر ايچرى كيردكلرى زمان)
(اوخضر نريه قاچش ؟ بيكارجه اوليا وخضرلر وملكلر عسكر دن)
(اول قاچديلرمى ؟ كفاره قارشونه ايچون طورمديلر؟ احد محاربه سنده)
(فن حربجه مهم أولان بر نقطه نك تركنى متعاقب مليونلرجه)
(ملائكه نك قوه معنويه سى لاحق ايكن اسلام اردوسي مغلوب)
(ورسول كبريا صلى الله تعالى عليـهِ وسلم افندمز مجروح اولديغى)
(وايكى محارب بيننده غالبيت ومغلوبيتك مادى قوته منوط وجناب)
(حق بيطرف اولديغي آيات واحاديث نبويه ايله مثبت دكلميدر ؟)

أي « ياللحيرة من عقلكم واعتقاداتكم الباطلة ! أين كان الخضر قبل أن يفتح هذه البلد وهذا الجامع سلطان جليل الشأن تركي ابن تركي من قومكم المبجلين . لماذا لم يأتِ الخضر قبلهُ فيدير الكنيسة الى القبلة ولماذا لم يستطيع أن يدخل هذا الجامع الآ بعد مادخله السلطان الفاتح ؟ انكم تتركون تقديس سلطان قوي الشوكة كحضرة الفاتح صلى الله تعالى عليهِ وعلى آله وأصحابهِ وسلم (كذا) وتوجهون احترامكم لشخص خيالي موهوم كالخضر . وكذلك العامة في أدرنه يعتقدون ان الخضر يحضر صلاة الصبح كل يوم في الجامع القديم هنالك . فالي أين هرب هذا الخضر لما انغلبت عساكر الدولة ودخل البلغاريون أدرنه ألم ينهزم الخضر وألوف من الاولياء والملائكة قبل أن تنهزم عساكرنا ؟ لماذا لم يقف هؤلاء الملائكة والاولياء في وجه الكفار ؟ ألم يغلب جيش الاسلام ويجرح الرسول عليـهِ الصلاة والسلام في غزوة أحد لانهم أهملوا نقطة مهمة من فن

الحرب مع وجود قوة الملايين من الملائكة؟ أليس ثابتاً في الآيات والاحاديث النبوية ان الانتصار والانخذال منوطان بالقوة المادية وان المولى سبحانه وتعالى لاشأن لهُ في ذلك؟»

اركان الاسلام عند الاتحاديين — ولم يقف الاتحاديون في كفرهم والحادهم عند هذا الحد بل حاولوا هدم الاسلام من اركانه فصرحوا في كتابهم القومي الشهير «قوم جديد» بما يلي في صفحة ٥١ و ٥٢ :

(قوم جديداحكام دينية دن اولان صوم وصلات وحج وزكات وكله)
(شهادتي حاشا انكار ايتمز آ كلرده متمسكدر فقط آكلرى اركان)
(دين عدايتميوب قوم جديدك احكام آياتيه واحاديثيه دن جيقارديني)
(اركان دين شونلردر اولاً عقل ثانياً كلمة شهادت ثالثاً اخلاق)
(حسنه رابعاً مالاً وبدناً جهاد وحرب خامساً خلافت معظمه عثمانيه)
(سنجاغى التنده اتحاد واتفاق ايله تحصيل لوازم حربدر)

أي: «ان النشء الجديد – الشبيبة التركية التي تتألف من الاتحاديين واعضاء جمعية ترك اوجاغي وعشرات الالوف من غلاة الترك — لا ينكر من احكام الدين الصوم والصلاة والحج والزكاة وكلمة الشهادة بل يتمسك بها ولكنهُ لا يعدها من اركان الدين التي استخرجها النشء الجديد من احكام القرآن والاحاديث وهذه هي . اولاً العقل ثانياً كلمة الشهادة ثالثاً الاخلاق الحسنة رابعاً الجهاد والحرب مالاً وبدناً خامساً السعي لاعداد لوازم الحرب بالاتحاد والاتفاق تحت راية الخلافة المعظمة العثمانية»

آراء الاتحاديين في الجوامع والاماكن المقدسة — وجاء في كتاب قوم جديد في صفحة ١٩ ما نصهُ .

(ملت اسلامده اتحادى محافظه مقصد علويسيله نبي ذيشان)

(افنديمز خطوه بخطوه محله بمحله جامع بناسنه مساعده ويرلمزدى)
(ويكديكرينه يقين اولان برقاج قريه يه بر جامع كفايت)
(ايديورلردى)

اي : « كان النبي (صلم) يمنع بناء المساجد المتقاربة وفي كل محلة وكان يرى ان المسجد الواحد يكفي لبضع قرى وذلك بقصد المحافظة على الاتحاد في الملة الاسلامية »

وجاء في صفحة ١٤ منه ما نصهُ :

(مركز خلافتده ـ سلاطين جامعلرندن ما عدا سنى وتكيه‌لرى)
(بر طرف ايدره‌ك مصارف واقعه لريني لوازم عسكريه يه تخصيص)
(اولادر

اي : « الاولى بنا ان نعطل المساجد والتكايا الموجودة في مركز الخلافة ما عدا المساجد التي بناها السلاطين وان نخصص نفقاتها للوازم العسكرية »

الاتحاديون وترجمة القرآن — وجاء في صفحة ١٥ من كتاب قوم جديد ما نصهُ:

(كچنلرده سياسى غزته لردن برنده عموم تركياده لسان عربك)
(تعلم وتعميمنه اهميت ويرلى ايمش كه ملت هيچ اولمزسه جمعه كونلرى)
(قرائت ايديلن خطبه‌لرى آكلايه بيلسون دينيليوردى)

(بو سوزده بلاهت اثريدر . خطبه‌يى آكلاتمق ايچون بتون)
(تركلره عربجه‌يى اوكرتمكدن ايسه خطبه‌يى ترجمه ايراد ايتمك)
(قولاى برشئ تصور ايديلورمى ؟ ذاتاً امام اعظم مذهبنجه قرآن)
(وحديث وخطبه‌يى ترجمه جائزدر)

اي: «جاء في احدى الجرائد السياسية من مدة انهُ يجب الاهتمام بتعليم اللسان العربي وتعميمه فى كل تركيا حتى تستطيع الامة ان تفهم خطبة الجمعة على الاقل

«وهذا القول ايضاً اثر من آثار البلاهة. لانهُ بدلاً من تعليم اللغة العربية يوجد شيء آخر وهو القاء خطبة الجمعة باللغة التركية. فهل يتصور العقل شيئاً اسهل من هذا. لاسيما وان الامام ابا حنيفة اجاز ترجمة القرآن والحديث والخطبة»

الإتحاديون واركان الدين والمذاهب والكتب الفقهيه — وجاء في كتاب قوم جديد في صحيفتي ٣٨ و٢٩ ما نصهُ:

(اى امت اسلاميه باقيكز آيت كريمه نه خبر ويريور «يا أيها الذين)
(امنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونهُ اذلة)
(على المؤمنين اعزة على الكافرين يجاهدون... الآية» ايشته بو آيت)
(كريمه دن صراحة مستبان اولوركه خلاف قرآن وحديث وخلاف)
(حقيقت اسلام جبين جاهل ذليل مسكين بر (قوم عتيق) واردر.)
(بو قوم اعتقادات دينيه وسياسيه يه خلاف قرآن اوله رق حرب)
(ولوازم حرب وحسن اخلاقه علوم وفنون حكمت وتجارت وصنايع)
(وثروت وسياست وسائر آدميت وبشريتك موجب شان وشرف)
(اولان كمالات وترقياته اعتبار واعتقاد ايتمز بوكبي كمالاتدن محروم)
(اولدقلرى جهتله دائماً مغلوب ومقهور اولورلر ويوماً فيوماً ديندن)
(ارتداد اوزره درلر. تدريجاً خرستيان دينه كيررلر. بونلر جناب)
(واجد الوجود حضرتلرينك باشليجه امر بيورديغى شيلردن)
(بيكلرجه سنى هيچ قاله آلميه رق اركان دينى يالكز بش شيئه يعنى)
(صوم صلاة حج زكاة وكلمهٔ شهادته حصر ايدرلر وكافهٔ معاملات)
(وحركاتنده اوامر قرآنيه واحاديث نبويه خلافنده اولسه دخى)
(كنديلرينه بر كوى. حلبي. شافعي. كنز. منية المصلي. مالكى.)
(فتاوي. حنبلي... الخ كبي بر طاقم كتابلري دستور العمل اتخاذ)

(ايدرلر . بوكتابلر اختلافات كثيره نفاق وشقاق ومنافرات ايله)
(مملودر . بونلرله اجراى عمل غير جائزدر)

اي : « ايها الامة الاسلامية. انظري ماذا ورد في الآية الكريمة «يا ايها الذين آمنوا من يرتدّ منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونهُ اذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون الاية »وظاهر من صريح هذه الآية الكريمة أنه وجد قوم عتيق جبان جاهل ذليل،مسكين يخالف القرآن والحديث وحقيقة الاسلام.وهذا القوم لا يعتقد الاعتقادات الدينية والسياسية وانهُ خلافاً للقرآن لا يحترم الحرب ولوازمها وحسن الاخلاق والعلوم وفنون الحكمة والتجارة والصناعة والثروة والسياسة وكل الكمالات والترقيات التي ترفع شأن البشر وتشرف الانسانية . ولانهم محرومون من هذه الكمالات تراهم دائماً مغلوبين مقهورين . وهم يرتدون عن الدين يوماً بعد يوم ويدخلون في دين النصرانية بالتدريج.وانهم لا يهتمون بألوف الاشياء الاولية التى أمر الله تعالى بها ويرون ان اركان الدين خمسة أشياء وهي الصوم والصلاة والحج والزكاة وكلمة الشهادة دون غيرها . وفي كل معاملاتهم وحركاتهم جعلوا دستور العمل كتب البركوي والحلبي والشافعي والكنز ومنية المصلى والملكي والفتاوي والحنبلى . . . الخ وان خالفت هذه الكتب الاوامر القرآنية والاحاديث النبوية . وان هذه الكتب مملوءة في الواقع بالاختلافات الكثيرة والنفاق والشقاق والتنافر ولا يجوز العمل بها »

الاتحاديون يفتون بقتل الامة — وخطب الشيخ عبيد الله فى جامع أياصوفيا فى أوائل شهر رمضان المبارك فقال ما ترجمتهُ نقلاً عن كتاب قوم جديد صفحة ٢٥:

« وهنا أكرر ما قلته آنفاً من أن جميع الناس ويستثنى منهم الفقير المعدم والاعرج والاعور فقط ويدخل بينهم المشايخ الذين يدعون انهم ورثة النبي والمدرسون

والمفتون والقضاة ومشايخ الطرق والدراويش والتجار والصناع ، والحاصل جميع الناس أصبحوا في حكم القرآن المجيد مرتدين ومن زمرة المنافقين ومن ثم وجب قتلهم ، لانهم تعمدوا ترك الجهاد بالمال والنفس الثابت بوجود آلاف من الآيات البينات » الى أن قال : « ويتوقف تجديد ايمان هؤلاء أولاً على الاشتراك بدنا بالحرب وثانياً على اعطاء نصف مايمتلكونه الى دار الخلافة التركية اذا كانوا من أصحاب الغنى والاموال ليتسنى لرجال الترك الانتقام من اعدائهم في الداخل والخارج ونزع البلاد التي انتزعوها من أيديهم ، واعادة ذكر كلمة « الله » الى مساجدنا وجوامعنا ، واذا لم يفعلوا هكذا أي اذا لم يدفعوا نصف مايمتلكونه للدولة فلا يقبل منهم تجديد الايمان فيحشرون وهم مرتدين وكفرة ، ويلحقون بأهل جهنم . وهذا لا بد منه ولو قرأوا في اليوم مئة الف مرة « آمنت بالله .... » ولو صلوا الليل والنهار ولو كانوا من الذين صلوا وراء النبي ، ولو حجوا بيت الله الحرام مئة الف مرة ، ولو كانوا بدرجة الامام الاعظم من العلم أو بدرجة الغوث عبد القادر الكيلاني من القطبية »

وقال أيضاً في صفحة ٢٧ : « ان بعض المشايخ والحفاظ والحجاج في الاستانة وكثيرين ممن يتبعونهم وكلهم من الذين يجرؤن على ارتكاب أنواع المنكرات اشتغلوا بالكتب كالحمير التي تحمل التوراة فتركوا الجهاد ، والبعض منهم فسروا الآيات والاحاديث حسب ماتقتضيه منافعهم ، وللحصول على غرض دنيوي . فلعنة الله على أمثال هؤلاء الحفاظ الذين يقرؤن القرآن بالدراهم وعلى المنافقين الذين تسلطوا بالاشتراك مع أعداء الدين على فرقة الاتحاد والترقي التي هي في الحقيقة الفرقة المحاربة والساعية لاتحاد الاسلام ، والمجاهدة في سبيل تشييد قوى الاسلام ، وبالنتيجة لعنة الله على أولئك الذين سلكوا طرق الدسائس والتفغيل والتزوير لمنع الذين كانوا يريدون أن يجاهدوا بأموالهم وانفسهم

فى سبيل الله ، لعنة الله عليهم وعلى آلهم وأقوالهم وعلى تآليفهم ومصنفاتهم واعتقاداتهم أجمعين

« فكل الذين ثبتوا فى الصوم والصلاة والحج وأعرضوا اليوم عن الجهاد المفروض مالاً وبدناً أصبحوا اعداء رسول الله ومن اكبر المنافقين »

رأي الاتحاديين في المسلمين — وبعدما افتى الخطيب المحترم بقتل « جميع الناس» لانهم تعمدوا ترك الجهاد بالمال والنفس في صفوف الاتحاديين استطرد في الكلام الى جميع العناصر الاسلامية فقال ما ترجمته :

« أن من لا يشترك من رعايا الدولة الاسلامية العثمانية الثابتة خلافتها بالنص القاطع !!من العرب أو التتار أو الالبان أو أبناء مكة واليمن،والحاصل جميع الاقوام المختلفة اذا لم يشتركوا مالاً وبدناً ونقداً بالجهاد الذي هو اعظم العبادات في صفوف حضرات عبد الرحيم وجمال ورضا وشكري وبكر وجاويد ورؤوف وانور وعزت وطلعت وامثالهم من ابناء الترك الذين هم اولياء الله صلى الله تعالى عليهم وعلى آلهم واصحابهم وقدس الله اسرارهم ، يكونون في صف المرتدين عن الدين والمتنقين طوعاً دين الصليب الباطل . ومن هذا القبيل الارناؤد ، فانهم ارتدوا عن الاسلام — إما لاستعمالهم السلاح ضد الجنود التركية مشتركين مع الكفار ، أو لاضعاف قوة الجيش التركي بفرارهم من ساحات القتال ، فسببوا بذلك انهزام الترك واصبحوا من الكفرة ، ومن هذا القبيل أيضاً المصريون والهنود والبخاريون والتتار الروسيون وسكان فاس وتونس والجزائر وأهل الحجاز واليمن ، ولم يكتفِ قسم من العثمانيين الاتراك بذلك بل انهم اتفقوا مع قوزميدي وبوشو والبطركخانة الرومية واعانوا دين الصليب ، واعلنوا العصيان سمعاً وطوعاً على الاسلام ، وأقاموا الدنيا على اهل الايمان . »

السياسة والشريعة في نظر الاتحاديين — وجاء في الكتاب عينه في صفحة ٥٦ و٥٧ ما ترجمتهُ « يجب ان تقرأ الخطب ايام الجمعة والاعياد باللغة التركية ثم تقرر خطبة كل جمعة بتلقين من الحكومة تتضمن الاحوال السياسية ويجب ايضاً ان تقدم الامور السياسية في بعض الاحوال على الامور الشرعية ولو لم تكن منطبقة على الاحكام الشرعية !! فتعطل موقتاً الامور الشرعية . ويوجد جواز شرعي للعمل هكذا بدليل وضع النبي توقيعه على عهدة الصلح في وقعة الحديبية مجرداً من الالقاب ونعوت النبوة حسب طلب كفار قريش وكما تقتضيه الاحوال ويوجبه الزمان وكذلك الايات الناسخة والمنسوخة هي من مقتضيات السياسة »

تكفير غير الاتحاديين — وجاء في احدى الخطب التي القاها الشيخ عبيد الله في هذا الموضوع ما ترجمتهُ نقلاً عن كتاب قوم جديد صفحة ٧٠ و٧١

« كثير من المسلمين حتى من علمائهم ومشايخهم أثبتوا في الحرب البلقانية انهم ارتدوا عن دينهم لانهم دخلوا في حزب الحرية والائتلاف واتفقوا مع البطركخانة لاجل الدراهم والمنافع . ومن هذا القبيل أيضاً الضباط والجنود والمعممون الذين فروا من ساحات القتال . فهؤلاء ليسوا مسلمين بل هم منافقون ومرتدون عن دينهم أما المسلمون الحقيقيون فهم الذين حاربوا في طرابلس الغرب وحرب البلقان تحت امرة انور ورضا واسعدوجاويد ورؤوف صلى الله تعالى عليهم (كذا) وبقية رجال جمعية الاتحاد والترقي المقدسة الذين لم يولّوا ظهورهم الى العدو بل داوموا في جهادهم في سبيل الله . فهؤلاء هم المسلمون الحقيقيون وقد كان عدد الذين ينتمون الى جمعية الاتحاد والترقي في هذه الحرب لا يتجاوز مئة الف أما الباقون فانهم كانوا من المرتدين المنتمين الى الائتلاف (اي حزب الحرية والائتلاف) والبطركخانات »

هذا نموذج من الخطب والكتب الدينية التي القيت في جوامع الاستانة

ووزعت مجاناً بالملايين في الاناضول والقوقاس وتركستان . اما كتاب توم جديد فقد طبع بمطبعة شمس بالاستانة على نفقة الحكومة الاتحادية وتضمن خلاصة ارائها في الدين الاسلامي المبين فليتدبره المسلمون الحقيقيون

الفصل السابع

﴿ تفاقم الخطب ﴾

الاتحاديون وأقوالهم وخططهم ـ جمال باشا السفاح ـ نكبة العرب ـ بيان جمال باشا تهم الاتحاديين ـ رد زعماء العرب ـ سورية التعسة

قال أحد عظماء الترك : « ان لم نعامل العرب كما نريد عاملونا بما نستحق » فذهب قولهُ مثلاً

والف جلال نوري بك الكاتب التركي الشهير كتاباً عنوانهُ « تاريخ المستقبل» جاء فيه :« ان المصلحة تقضي على حكومة الاستانة باكراه السوريين على ترك أوطانهم وان بلاد العرب ولا سيما اليمن والعراق يجب تحويلها الى مستعمرات تركية لنشر اللغة التركية التي يجب أن تكون لغة الدين . ومما لا مندوحة لنا عنهُ للدفاع عن كياننا ان نحول جميع الاقطار العربية الى اقطار تركية لان النشء العربي الحديث صار يشعر اليوم بعصبية جنسية وهو يهددنا بنكبة عظيمة يجب ان نحتاط لها من الآن »

وقال احمد شريف بك في جريدة طنين « لا يزال العرب يلهجون بلغتهم وهم يجهلون اللغة التركية جهلاً تاماً كانهم ليسوا تحت حكم الترك فمن واجبات الباب العالي في هذه الحال ان ينسيهم لغتهم ويجبرهم على تعلم لغة الامة التي

تحكمهم . فاذا اهمل هذا الواجب كان كمن يسعى الى حتفه بظلفه لان العرب ان لم ينسوا لغتهم وتاريخهم وعاداتهم فانهم سيعملون عاجلاً أو آجلاً على استرجاع مجدهم الضائع وتشييد دولة عربية جديدة على انقاض دولة الترك »

هذه هي آراء الاتحاديين بالامة العربية كما صرح بها فريق من زعمائهم وهذه هي الغاية التي وضعوها نصب اعينهم منذ تقلدوا زمام الاحكام في البلاد العثمانية . وقد ادرك العرب مصيرهم من ذلك الحين وعلموا ان الاتحاديين قرروا حسم المسألة العربية حسماً نهائياً بالطريقة التي الفوها منهم وهي مداواة العلل الاجتماعية بالسيف والمحافظة على سلامة دولة الترك ببتر الاعضاء التي يخشون ان يتطرق الفساد اليها . فنشأ عن ذلك ان العناصر العثمانية التي عمل الاتحاديون على سحقها واستئصالها لمت شعثها وجمعت كلتها واستعدت للدفاع عن كيانها شأن كل ذي حياة في الوجود . واقتفى العرب اثر تلك العناصر فالفوا الجمعيات التي اشرنا الى بعضها في الفصول السابقة وكان من شدة اخلاصها للدولة العثمانية ما ادى الى ذلك الاتفاق المشؤوم الذي ابرمهُ المرحوم الزهراوي مع عصبة الاتحاديين

على ان تلك العصبة السفاحة لم تكن لتعدل عن الخطة التي قررت اتباعها مع العرب مهما اخلصوا لها . وما تظاهرها بالميل الى بعض زعمائهم في بدء الامر الاّ خدعة قصدت منها اكتساب الوقت لاعداد ما ينقصها من المعدات لسحق الامة العربية والتربص لاحسن فرصة تمكنها من ضرب العرب ضربة قاضية

***

اعلنت الحرب الاوروبية في اوائل اغسطس سنة ١٩١٤ فقابلها الاتحاديون بحماسة عظيمة لا لثقتهم بانتصار المانيا التي قرروا خوض غمار الحرب

في جانبها بل لانهم رأوا في انشغال الدول الاوربية عنهم واهتمام الرأي المتمدن العام بسواهم خير فرصة ينتهزونها لتحقيق آمالهم وتنفيذ الخطة التي رسموها من زمن بعيد . فاعلنوا التعبئة العامة في البلاد العثمانية وجعلوا يقربون احرار العرب منهم ويعينون زعماءهم وادباءهم في اسمي المناصب الملكية والعسكرية ليكسبوا ثقة الامة العربية بهم فتطمئن اليهم ولا تحتاط لهم فينفذون خطتهم فيها على اهون سبيل

وهذا ما وقع فعلاً فان الاتحاديين عينوا في بدء الحرب الاوربية الفريق زكي باشا الحلبي — وهو من كبار ضباط العرب — قائداً على الجيوش التي كانت مرابطة في سورية وجعلوا معظم اعوانه ومساعديه والجنود التي كان يقودها من ابناء العرب وعاملوا السوريين والعراقيين احسن معاملة فقلدوهم المناصب وتظاهروا بالاخلاص لهم وقالوا انهم سيعملون معهم يداً واحدة للدفاع عن كيان الدولة المشتركة بينهم . فصدق العرب هذه الاكاذيب واندفعوا بعامل الوطنية الى شد ازر الاتحاديين واجمعوا على وجوب تأييدهم وبذل كل غال ونفيس في سبيلهم فخاض جنودهم غمار المعارك في معظم ميادين القتال وابلوا بلاء حسناً في القوقاس والعراق والدردنيل والغوا جمعياتهم واحزابهم السياسية وتناسوا كل المنازعات الداخلية ودفعوا في سبعة اشهر من الضرائب والاعانات الحربية اضعاف ما ضرب على الامة التركية وما تبرع به الترك منذ بدء الحرب الى الان. وقد ظلت الحال على هذا المنوال والعرب درع الدولة المتين ومورد ها العظيم في المال والرجال الى ان عين جمال باشا السفاح خلفاً للفريق زكي باشا الحلبي في منصب القيادة العامة في سورية

جمال باشا السفاح

اشتهر جمال باشا من زمن بعيد بتفننه في طرق القتل والاغتيال وجرءته على سفك دماء الابرياء . فهو مدبر مذابح الارمن في اطنه بعد الدستور اذ كان

والياً عليها . وهو منظم مؤامرات الاتحاديين ومدير فرع الجواسيس والفدائيين في جمعيتهم . وهو الذي قتل مئات من الابرياء في الاستانة عقب اغتيال محمود شوكت باشا لا لجرم ثبت عليهم بل لانهم لم يكونوا من انصار جمعية السفاحين وقد اختارته جمعية الاتحاد والترقي لقيادة الجيوش العثمانية المرابطة في سورية لانها رأت فيه اقدر رجل على تنفيذ الخطة التي قررت اتباعها في البلاد العربية

وصل جمال باشا الى سورية بعد اعلان الحرب الاوربية بنحو سبعة اشهر فتظاهر بكره الاتحاديين (١) والميل الى العرب واخذ يقرب احرار السوريين والعراقيين منه ويستشيرهم وينفذ رغائبهم الى ان امنوا جانبه واخلصوا له فاستعمل بعض الذين كانوا واسطة التفاهم بين الترك والعرب كالمرحوم عبد الكريم قاسم الخليل وغيره آلة لتنفيذ خطته وحملهم على السعي لاقناع ضباط العرب وقادة ارائهم بقبول وظائف كبيرة ملكية وعسكرية في الاناضول وعلى الحدود بحجة ان الدولة في حاجة الى امثالهم في تلك الانحاء ثم امر باقفال مدرسة « صف الضباط » الذي فتح في دمشق بعد الحرب الاوربية وكان فيه نيف وخمس مئة ضابط من خيرة شبان العرب

فلما تمكن من ابعاد الضباط والجنود العرب عن سورية والعراق واقناع بعض أحرار العرب وزعماءهم وقادة آرائهم بقبول مناصب ملكية وعسكرية في خارج البلاد العربية أماط اللثام عن حقيقة حالهِ وقلب للعرب ظهر المجن فنصب المشانق وفتح أبواب السجون وطرق المنافي وكان أول من شنق صديقه وصديق الاتحاديين المرحوم عبد الكريم قاسم الخليل الذي سعى الى حتفهِ بظلفهِ

---

(١) لم يخدع جمال باشا العرب فقط بالسياسة التي اتبعها معهم في بدء الامر بل خدع العالم كله ايضاً حتى ان صحف الغرب ذكرت غير مرة خبر عصيانه على الاتحاديين واتفاقه مع العرب على انشاء دولة عربية مستقلة

وساعد باخلاصه وحسن نيته ذلك السفاح العظيم على ارتكاب ماارتكبه من الفواجع والموبقات

أمّن الاتحاديون جانب العرب بعد التدابير التي اتخذها جمال باشا السفاح فصبوا عليهم جام نقمتهم . ساقوا الزعماء والادباء الى المشنقة زرافات ووحدانا ونفوا النساء والشيوخ والاطفال الى الاناضول وجوّعوا العرب في سورية والعراق فأماتوا منهم الالوف ومئات الالوف . فمن نجا من ميادين القتال لم ينج من المشنقة ومن نجا من هذه لم ينج من النفي اوالاغتيال اوالموت جوعاً

وقد صبغ الاتحاديون فظائعهم بصبغة قانونية على طريقتهم فألفوا مجلساً عرفياً في عاليه « بلبنان » جعلوا مهمته التوقيع على أحكام الاعدام التي تصدرها جمعيتهم في الاستانة . فأبدى هـذا المجلس من الجرأة على ارتكاب الفظائع والسرعة في تنفيذ أوامر الاستانة ما أدهش الاتحاديين أنفسهم . فلم يمض على تأليفهِ بضعة أشهر حتى قضى على الامة العربيـة في سورية أعظم قضـاء ولم يبقِ فيها رجلاً من الف رجل يحسن القراءة والكتابة . ولاعجب في ذلك مادام الرئيس الحقيقي لعصبة الاتحاديين في سورية جمال باشا السفاح حفيد جنكيز وتيمورلنك وهولاكو هذا العصر

***

بنى المجلس العرفي الذي ينفذ ارادة جمال باشا أحكام الاعدام على أمرين : أولهما الانتساب الى احدى الجمعيات العربية التي كانت أشد اخلاصاً للدولة العثمانية مـن كل من يدعي الاخلاص لها كما يتضح للقاريء من مراجعة برنامجها وخلاصة أعمالها في هـذا الكتاب وثانيهما رسائل سياسية اختلق الاتحاديون بعضها وعزوا البعض الآخر الى زعماء الاحزاب العربيـة . أما الرسائل التي اختلقوها فلم ينشروا صورتها بالزنكوغراف كما فعلوا بالرسائل الاخرى

لانها مكتوبة بخط يدهم و بلغة تركية أكثر منها عربية . وأما الرسائل التي عزوها الى بعض زعماء الاحزاب العربية فينتهي تاريخها الى ماقبل اعلان الحرب الاوربية بأعوام. وقد نشروا صورتها الفوتغرافية في صحف سورية ولكنهم حذفوا منها كل مايظهر حقيقة رأي الكاتب مدّعين ان ماحذفوه يمس حلفاء الدولة وقد عملوا فيها حذفاً وتحريفاً وتشويهاً ومسخاً بحيث لم يتركوا الا عبارات متقطعة لا رابطة بينها ولا هي تفيد المعنى المقصود متحدّين في الحذف والتحريف طريقة الشاعر العربي القائل

ماقال ربك ويل للاني كفروا   بل قال ربك ويل للمصلينا

ثم رأى جمال باشا السفاح بعد ذلك أن يثبت عدالة مجلسهِ العرفي للملأ فنشر البيان التالي بامضائهِ في صحف سورية في ٥ رجب سنة ١٣٣٤ و ٧ مايو سنة ١٩١٦ . وهذا هو البيان بنصهِ وفصهِ :

« لما جرى القصاص على بعض الاشخاص المنتسبين الى الحزب المتشكل في مصر والممالك العثمانية تحت تمويه عنوان «حزب اللامركزية» والذين حوكموا في ديوان الحرب العرفي بعاليه كنت كتبت في البيان الذي نشرتهُ في أوائل أوغسطس سنة ١٣٣١ ان التحقيقات جارية بصورة دقيقة بحق أعوانهم الاشرار الذين لم يكن قبض عليهم قبلاً

«ان الوثائق السياسية التي عثرنا عليها واعتراف عبد الغني العريسي صاحب المفيد الذي ألقي القبض عليهِ اخيراً بعد ان ذكرنا في البيان خبر فراره واعتراف سيف الدين الخطيب عضو محكمة بداية حيفا السابق ورفيق رزق سلوم ضابط الاحتياط ورفقائهم الآخرين قد نوّر المسألة من جميع اطرافها وسيق الى ديوان حرب عاليه الاشخاص الذين ظهر ان لهم علاقة في هذه المسألة بدرجات متفاوتة مع من تبين ان لهم دخلاً في المساعي الخائنة بتنفيذهم ترتيبات الجمعية وتشبثاتها واعمالها .وفي ختام التحقيقات والمحاكمات التي اجراها الديوان العرفي

في عاليه صدرت الاحكام المقتضاة بحق المظنون فيهم من الموقوفين والفارين كل على حسب اشتراكه في ترتيبات هذه الجمية التي غايتها ومقصدها سلخ سورية وفلسطين والعراق عن راية السلطنة العثمانية وجعلها امارة مستقلة . فحكم على شفيق بن احمد مؤيد العظم والامير عمر بن الامير عبد القادر . وعمر بن مصطفى حمد . ورفيق بن موسى رزق سلوم . ومحمد بن حسين الشنطي . وشكري بن بدري علي العسلي . وعبد الغني بن محمد العريسي . وعارف بن محمد الشهابي . وتوفيق بن احمد البساط وسيف الدين بن ابي النصر الخطيب . والشيخ احمد بن حسين طباره . وعبد الوهاب بن احمد الانكليزي . وسعيد بن فاضل عقل . وبترو باولي . وجرجي بن موسى الحداد . وسليم بن محمد سعيد الجزائري . وعلي بن محمد بن حاجي عمر . ورشدي بن احمد الشمعه . وامين لطفي بن محمد حافظ . وجلال بن سليم البخاري بالاعدام لثبوت اشتراكهم في هذه التشبثات بالدرجة الاولى وبصورة فعلية . وعلى من تبين دخولهم في الدسيسة بصورة فرعية : سالم بن مصطفى مظلوم بالاعتقال بالقلعة خمس سنين . وتوفيق بن محمد الناطور ويوسف بن مخيبر سليمان بعشر سنين . وحسين بن خليل حيدر بخمس عشرة سنة . وعلى رياض بن رضا الصلح بنفي مؤبد. وعلى الاميرطاهر بن احمد الجزائري بعشر سنين في الكريك وعلى الذين مع كونهم لم يفهموا المقصد والتشبث الحقيقي وثبت وجود مساع لهم مع هذه الجمية بصورة محسوسة اما بسائق الجهل أو التصلف وانما لم يوجد عليهم وثائق تنوّر وجدان الهيئة الحاكمة وتثبت مجروميتهم واشتراكهم وهم رضا الصلح واسعد حيدر باعادتهما الى منفاهما واعطى القرار بمنع محاكمة وبراءة كل من محمد افندي كامل الهاشم . ابراهيم القاسم . سامي العظم . الشيخ جمال الدين الخطيب . عبد الحميد معلم الرسم . محيي الدين فريحه . البيطار حسين صبري . رشدي الغزي . عاصم بسيسو الغزي .

عزت الاعظمي . مصطفى الكيلاني . عبد الرحيم حنون . الدقتور حسام الدين . نجيب شقير . الشيخ فتح الله . الدقتور احمد قدري . سليم الطياره . جميل الحسيني . المفتي سعيد افندي الباني . سليم الشمعة . سليم البخاري . فائز الخوري . رشيد الخشيمي . عمر الاتاسي . البكباشي علي رضا . الدقتور امين قازما . سعيد عدره . الدقتور عبد الحفيظ . اليوزباشي جميل . فريد باشا الياقي عثمان العظم

« ومن الذين صدر بحقهم حكم الاعدام وهم شفيق المؤيد . الامير عمر . شكري العسلي . عبد الوهاب الانكليزي . رشدي الشمعة . رفيق رزق سلوم جرى اعدامهم هذا الصباح في الشام . والآخرون جرى اعدامهم في بيروت وسائر المجرمين صار سوقهم الى منفاهم وحبوسهم وعلى هذه الصورة تقرر اذاً في سورية وفلسطين السكون والامن المحتاج اليهما الى الابد

« وسينشر كتاب حاوٍ جميع الوثائق على حدة مع اعترافات المجرمين المهمة وتاريخ صغير لهذه المسألة

« ومن امعان النظر في الوثائق يفهم اولاً : ان هؤلاء الاشخاص قد ضحوا بلا تردد جميع ما لديهم من المقدسات الدينية والوطنية لقاء منافعهم الخسيسة والمادية . ان هؤلاء الاشخاص قد اشركوا في مساعيهم ونفوذهم وقدرتهم اعداء الدولة وسعوا في اعداد الطاعة في الداخل تجاه تجاوزات الاعداء في الخارج

« ومما هو جدير بالتقدير ان ادارة هذه التشبثات لم تتسع بالنظر لما جبل عليه العنصر العربي النجيب من الصداقة والطاعة والصلابة الدينية العارية عن شوائب الظنون والشكوك باسرها . بل حصرت بين بعض اشخاص مسلمين ومسيحيين لا اهمية لهم ولا يكاد يتجاوز عددهم المائتين من المحكوم عليهم حديثاً وقديماً وجاهاً وغياباً

«وبناء على الصلاحية التي تخولني اياها المادة الثانية من القانون المؤرخ في ١٤ مايو سنة ١٣٣١ المتضمن التدابير التي ينبغي للجهة العسكرية التوسل بها في وقت النفير العام ضد الخارجين على الحكومة واجراآتها فاني ساعٍ في ابعاد اولئك الاشخاص الذين يتخذون حقوق الدولة ومقدساتها ملعبة في سبيل منافعهم الشخصية مع من لهم علاقة معهم من اسرهم وعائلاتهم من قريب أو بعيد الى بعض ولايات الاناضول . وقد اتخذت الاسباب الكافلة لاعاشة هذه العائلات ورفاهيتهم في المحال التي ينفون اليها تحت عناية الحكومة السنية وعاطفتها ، وسيعطون هناك اراضي واملاكاً قيمتها تعادل املاكهم واراضيهم التي يملكونها في سورية . واني اوصي جميع الاهلين في سورية وفلسطين بالسكينة والطمأنينة . على انهُ من الآن فصاعدا لم يبق محل لاجراء التعقيبات والابعاد الى الولايات العثمانية في حق احد مطلقاً ما لم تظهر وثائق قوية تدل على خيانته» (١)

قومندان الفيلق الرابع وناظر البحرية

احمد جمال

هذا هو بيان جمال باشا السفاح. وقد رأينا ان نترك الكلام في الرد عليهِ الى بعض زعماء الاحزاب العربية . قال زعيم كبير من زعماء العرب :

«نشر جمال باشا السفاح بيانا يبرئ فيه عمله الفظيع وجريمته التي اجرمها في سورية بقتل الابرياء واضطهاد المسالمين. ويظهر ان الدافع لهُ على كتابة ذلك البيان هو شعوره بسوء فعله وبما كان لهُ من الوقع السيء في جميع البلاد العربية وقد ذكر فيهِ اسماء الذين وقع عليهم ظلمهُ من الشهداء والمعتقلين ولم يرد في هذا البيان وبيناتهِ الا ما عرفناهُ في هذه العصابة السفاكة من العمل بالهوى وانتحال الاسباب التي لا يبني عليها حكماً الا الجهلة والسفاحون الا وهي المحاسبة على

(١) نشر هذا البيان في جريدة المقطم الغراء نقلاً عن صحف بيروت

ما في النفوس والمعاقبة على مافي النيات ان كان هناك شيء مما ذكرهُ في بيانهِ في نفوس أولئك الشهداء استحقوا من اجله العقاب وما مثلهُ في هذا الا مثل قاض احمق جاءهُ رجل وقال لهُ اني اعترف لك اني انوي سرقة بيت فلان فحكم عليهِ باقصى عقوبة السارقين

«هكذا زعم جمال باشا في بيانهِ انهُ ثبت لهُ مما اعترف به بعض الشهداء انهم ينتسبون الى جمعية غايتها سلخ سورية والعراق عن راية السلطنة وجعلها امارة مستقلة. فاستحقوا من اجل هذا عقوبة القتل ولم يأت في بيانهِ بدليل واحد يدل على ادنى عمل عدائي ظهر من بعض أولئك الافراد اوكلهم يبرر حكمهُ بمثل تلك العقوبة

«لو صح ان نية الاستقلال او مطلق الرغبة فيهِ تستوجب عقوبة القتل لابيدت كل الشعوب التي فقدت استقلالها وهي ترغب فيهِ ولكن قضاة جمال باشا لم يتعلموا امثال هذه النظريات الفلسفية التي تحتاج الى تحكيم العقل والوجدان والرحمة بل تعلموا ان يعملوا بما يؤمرون به وان يسألوا سؤالين او ثلاثة ويقولون (حكمت) ثم ينظم رئيس عصابتهم اسباب الحكم «وحيثياته» او يكون قد وضعها من قبل

«والحقيقة التي لا ريب فيها ان نقمة الاتحاديين التي حلت بأهل سورية اليوم ترجع اسبابها الى امرين الاول انهُ منذ اعلن الدستور الصوري ارادوا ان يجعلوا وسيلة لاستئثارهم بامور السلطنة فقامت في وجوههم الجمعيات والاحزاب كحزب الاهالي والحزب الحر وحزب الائتلاف فطاردوها اشد مطاردة وشردوا زعماءها في اطراف البلاد وقتلوا بعضهم شر قتلة

«والثاني تصميمهم على ان «يتركوا» العناصر ولو بالقوة وأن يمحوا من البلاد كل صبغة غير تركية. ولما شعرت الامة العربية بما في ذلك من الخطر على كيانها

وجنسيتها ولغتها وهي أمة ذات مدنية وتاريخ لا تسمح بأن تصبح واياهما أثراً بعد عين باندماجها بعنصر آخر هبَّ علماؤها وأدباؤها وذوو الرأي فيها الى مقاومة هذه الفكرة الاتحادية بالطرق القانونية والوسائل الدستورية فألفوا الجمعيات والاحزاب كجمعية الاصلاح البيروتية وحزب اللامركزية وجمعية شبان العرب بالاستانة وكلها ترمي بمبادئها الى غرض واحد وان اختلفت في التفاصيل وهو الحصول على نوع من الاستقلال الاداري.ومن مقتضى هذا النوع من الحكم ان يكون التعليم منوطاً بالحكومة المحلية وأن تكون معاملات الحكومة كلها بلغة البلاد . وكان المراد من هذا أن تبقى لغة العرب وجنسيتهم مصونة في بلادهم من عبث الاتحاديين الاغرار ولم يكن يدور في خلد أحد من القائمين بهذه الحركة التحدث بالانفصال عن راية السلطنة قط بل ان فكرة الاستقلال الاداري نفسها لم تكن لتطرأ على بال أحد منهم لو لم يبادئهم الاتحاديون بما في نفوسهم من الغرض ومايضمرونهُ للعرب من الشر

«وهذا ما أدى بالعرب أيضاً الى عقد مؤتمرهم الذي لم يكن الغرض منهُ الا رفع صوتهم عالياً لدى العالم أجمع بأنهم لا يسمحون بلغتهم وجنسيتهم أن تكونا هدفاً لاغراض الاتحاديين.وقد وافق على هذا المؤتمر وقراراتهِ سائر عقلاء الامة العربية والمتنورين فيها في كل أنحاء البلاد . ولو كان للعرب يومئذ غرض بالانفصال عن تركيا أو نية سيئة نحو اخوانهم الاتراك لكان لهم مندوحة عن أمثال هذه المؤتمرات بالقيام في وجه الاتحاديين بقوة السلاح وقد كانت تركيا خارجة من حرب البلقان مضعضعة القوة فاقدة الحول ولكن للعرب من طول اناتهم وشرف نفوسهم ورجاحة عقولهم مايمنعهم من اتيان مثل ذلك الامر وهم عنهُ راغبون وبالقليل من حقوقهم مقتنعون

«ولما هال الاتحاديين أمر هذا المؤتمر وعلموا ان الامة العربية لا تؤخذ على

غرة ولاتسمح بوجه من الوجوه أن تتجرد من جنسيتها وان أساس كل نهضة في الامم وحياة في جسم الشعوب مبني على كواهل المتعلمين والعقلاء والنابغين فيها وان الفكرة التي حاولوا تنفيذها في بلاد العرب لاتتم الا بالقضاء على هذه الطبقة المتنورة وهدم ذلك الاساس المتين أخذوا يداورون رجال هذه النهضة وشبانها وعقلاءها فوعدوا الاصلاحيين مواعيد كثيرة وأخذوا بعضهم الى الاستانة ووسدوا اليهم بعض المناصب كالزهراوي رحمهُ الله وتقربوا من بعض أعضاء الجمية الاصلاحية في بيروت وأخذوا يجذبون في دمشق نشاط شبان العرب كل هذا ليأنسوا بالاتحاديين ويأمنوا اليهم فلا يفلت منهم أحد الى خارج البلاد وذلك كلهُ تحيناً للفرص التي تمكنهم من رقاب هذه الطبقة من المتنورين كافةً ليستأصلوها استئصالاً وربما كانوا عارفين بأنهم سيدخلون في حرب عامة في صف الالمان وان البلاد ستقفل أبوابها من كل جهة والقوة الذاتية التي في البلاد سيقذف بها الى أقصى ميادين الحرب فتكون الفرصة سانحة لهم لتنفيذ خطتهم الشنعاء التي أدمت قلوب العرب اليوم

«جاءت الساعة وأعلنت الحرب ودخلت حكومة الاتحاديين فيها فماذا كان من العرب ؟ كان منهم ان كفوا عن كل طلب من مطالب الاصلاح واندفعوا بجسم واحد لخدمة الجيش والدفاع عن دولة الترك ولم يكونوا يعلمون ماخبأهُ لهم أولئك الغادرون الماكرون الذين بعد مافرقوا الجنود السورية وأفقروا البلاد من شبانها وأهلها الاقوياء أخذوا يقبضون على كل من تنسموا منهُ ريح الحرية وكل من كان يطالب مع المطالبين بالاصلاح من شبان البلاد ومتنوريها ويقدمونهم الى المشانق جماعات جماعات. فقبضوا على أعضاء جمعية الشبان وعلى أعضاء جمعية الاصلاح البيروتية وعلى بعض المنتسبين الى حزب اللامركزية وعلى أفراد كثيرين من الذين لاعلاقة لهم بحزب من الاحزاب العربية ولا سبب

للقبض عليهم الا نبوغهم أو ذنوب قديمة لهم هي معارضتهم للاتحاديين معارضة شديدة لما كانوا أعضاء في مجلس المبعوثان مثل رشدي بك الشمعه وشفيق بك المؤيد وشكري بك العسلي وغيرهم . فهؤلاء لم يكن لاحدهم أدنى دخل في الجميات والاحزاب العربية وما قتلوا الاّ لان عصابة الاتحاديين حكمت عليهم بالاعدام منذ كانوا في مجلس النواب وناقشوا حكومة الاتحاديين الحساب في القروض التي اقترضتها باسم الدولة ولم تنتفع منها الدولة بشيء . يدلك على هذا ان المرحوم شفيق بك لما اعلنت الحرب انقلبت عواطفهُ نحو الاتحاديين انقلاباً غريباً جداً حتى استوجب لوم بعض اخصائهِ واصدقائهِ ولما قبضوا عليهِ وزجوه في السجن قابل صديقهُ الدكتور .... أحد اذناب جمال باشا وقال لهُ اني استغرب قبض اخوانك على شفيق بك وحبسهِ وعواطفهُ نحوكم ومساعدتهُ لكم على ما تعلم . فقال لهُ ان لشفيق بك ذنباً قديماً ستر كل حسناتهِ وهو اهانتهُ لطلعت بك لما كان عضواً في مجلس المبعوثان ولا بد ان يقتل بهذا الذنب قتلاً . وقد كان .

«ثم ان هناك اشخاصاً آخرين لم يكونوا في سورية منذ بضع سنين ولم يكن لهم علم ولا دخل في كل ماهو حاصل فيها مثل المرحوم سليم بك الجزائري البكباشي اركان الحرب فانهُ كان يقيم في الاستانة ثم في ازمير منذ اكثر من خمس سنين وقد جيء بهِ من ازمير وقتل ومثلهُ المرحوم عبد الوهاب بك الانكليزي فقد كان مفتشاً في انحاء الاناضول وجيء به الى الاستانة ثم الى سورية وقتل وغيرهما من الذين لم تحضرني اسماؤهم وقتل اناس آخرون من اللبنانيين مثل المرحومين الشيخ فريد والشيخ فيليب الخازن وغيرهم من الذين لا علاقة لهم أبداً بالآخرين

«وقد كان كلما حكم على جماعة من هؤلاء بالقتل ينشر جمال باشا بياناً ينتحل فيهِ سبباً من الاسباب لقتلهم . فاعضاء الجمعية الاصلاحية انتحل لهم سبباً وما

السبب الحقيقي الأ انهم من مؤسسي جمعية الاصلاح واعضاء المؤتمر العربي .
واعضاء جمعية الشبان انتحل لهم سبباً واللامركزية كذلك والاسباب كلها ترجع الى اصل واحدوهوعزم الاتحاديين على استئصال العلماء والمفكرين من سورية وبلاد العرب عامة لكي يتسنى لهم تتريك البلاد العربية على اهون سبيل . يدلك على ذلك ان تلك العصبة السفاحة بعد ما فرغت من ازهاق النفوس البريئة في سورية مدت يدها الى العراق فجاءت منها الى مجزرة جمال في عاليه بلبنان بجماعة من علماء بغداد وادبائها كالعلامة شكري افندي الالوسي والسويدي وشلبي وغيرهم من الذين لم نقف على اسمائهم بعد وكان في عزمه ان يمد يده الى الحجاز ايضاً لو لم يقف دونها صد من الحديد والنار كما يعلم القراء

« ومن الادلة الناصعة على ان جمال باشا ينتحل لكل جماعة سبباً يبرر حكمه عليهم بالقتل قوله في بيانه عن الشهداء الذين وردت اسماؤهم في ذلك البيان انهم منتسبون الى حزب اللامركزية المؤلف في مصر والبلاد العثمانية وان غايتهم استقلال سورية والعراق . على ان الذي نعلمهُ ونتحققهُ انهُ ليس بين هذه الاسماء سوى اسم واحد او اسمين من هذا الحزب بشهادة سجلات الحزب نفسه التي سيأتي يوم تنشر فيه صورتهُ على الملأ بالفوتوغراف لتبرهن على قيمة اقوال عصابة السفاحين التي يموهون بها اليوم على عقول الشعب وبنيانها . وليت شعري كيف يتسنى لحزب قانوني جديد موجود في نفس البلاد العثمانية ان يعمل للانفصال عن الاتراك . وقد قال جمال باشا في بيانه ان كل الذين قبض عليهم وحوكموا وحكم عليهم باحكام مختلفة لم يتجاوز عددهم مئتي نفس وانهم من جماعات مختلفة لا يجمعهم غرض واحد وقد حكم عليهم لاسباب مختلفة ايضاً.فاية قوة واية حول لدى هذا العددالقليل ليعمل لاستقلال سورية والعراق وكيف جمع جمال باشا بين اغراض هؤلاء الجماعات المختلفة

ليؤلف من مئتي شخص جيشاً عرمرماً يقاتل في سبيل استقلال سوريا والعراق

«ان الحقيقة التي يجب ان تقال هي ان الاتحاديين كما قلنا ارادوا اغتنام فرصة هذه الحرب ليبدأوا بتطبيق بيانهم العقيم باستئصال نوابغ الامة العربية واخطأوا في تقديرهم قوة الحياة التي في هذه الامة فكان من هوسهم وتعجلهم في تنفيذ خطة التتريك ومحو كل اثر وكل صبغة عربية من البلاد ما يضحك و يبكي في آن واحد

«فما يضحك انهم عجّلوا بصبغ البلاد بالصبغة التركية فأول ماصنعوهُ هو انهُ بينما كانت المشانق تنصب في دمشق و بيروت كان أعوانهم يحطمون اللوحات التي توضع على المخازن والدكاكين لانها مكتوبة بالعربيـة ويأمرون أصحابها باستبدالها بلوحات مكتوبة بالتركية حتى بلغ بهم الهوس ان أمروا الاطباء بتغيير لوحاتهم لتغيير حرف واحد هو الفارق بين التركية والعربية وهو حرف الكاف من كلمة (دكتور) واستبداله بحرف القاف ليكون هكذا (دوقتور)

«وأما المبكي فهو انهم هدموا قبر المرحوم عبد القادر الجزائري واستخرجوا رفاته فذرّوها في الهواء لانه أمير عربي شهير كسب شهرتهُ في سبيل الدفاع عن وطنهِ خمس عشرة سنة وصار اسمه محترماً ومبجلاً حتى عند الذين حاربهم كما يعرف ذلك كل قراء التاريخ

« وبعد فاذا كان الرجال الاحياء متهمين بحب الاستقلال فقتلوا واللوحات التي على الدكاكين متهمة بذلك فحطمت والاموات متهمة بذلك فذروا رفاتهم في الهواء فما ذنب النساء والاطفال . ماذنب اليتامى والايامى الذين قتلوا عائليهم ماذنب هؤلاء حتى يساقوا زرافات زرافات الى بلاد الاناضول سوق الاغنام وأي عدل أو أي قانون أو توحش وبربرية يسوغ لمثل اولئك الغلاظ القلوب اقفار البيوت من أهلها وانتهاك حرماتها كما فعلوا في دمشق وغيرها

«ان المآزق التي زجوا أنفسهم ودولتهم فيها بأعمالهم الخرقاء وسياستهم العوجاء لمآزق ليس في استطاعة أمثال هؤلاء الخروج منها بهذه الدولة سالمة أبداً وستنالهم الندامة ويلعنهم عند ظهور النتيجة حتى أشياعهم الذين يهللون اليوم لهم ويكبرون»

وقال الاستاذ السيد رشيد رضا صاحب مجلة المنار وأحد زعماء حزب اللامركزية مانصه :

« كل ما احتج به جمال باشا لسفك الدماء واجلائه الناس عن أوطانهم أباطيل . وقد قتل بعد من ذكرهم في بيانه عدداً ليس بقليل منهم السيد عبد الحميد الزهراوي الشهير وأول أباطيله تسمية القتل برأيه ورأي ديوانه العرفي قصاصاً وانما القصاص في شرع الله أن يقتل الجاني بمن قتله بغير حق ومعناه في اللغة المساواة والمماثلة

«ثم انه يقول ان التهمة الموجبة للقتل والنفي هي الاشتراك في جمعية غايتها جعل العراق وسورية وفلسطين مملكة مستقلة بعد سلخها من راية الدولة . نحن نعتقد بطلان هذه التهمة بأدلة كثيرة (منها) أن الحزب الذي جعله موضعاً للتهمة التي رمي بها هؤلاء الناس له برنامج معروف مطبوع ينطق بكذب تلك التهمة (ومنها) ان هؤلاء الذين اعترف الباشا بقتلهم في هذا البيان لا يوجد فيهم الا واحد أو اثنان من الداخلين في هذا الحزب(ومنها) اننا نعلم باختبارنا لبعضهم واختبار من نثق به للآخرين انهم لا يجمعهم رأي ولا مودة ولا سكنى ولا معرفة فكيف يتفقون مع ذلك على أمر عظيم كالذي اتهموا به ؛ وانما الجرم الاكبر الذي يجمعهم و به استحقوا العقاب هو أنهم من اذكياء العرب الذين يقولون بوجوب محافظة قومهم على لغتهم وان يكون لهم حظ من مشاركة الحكومة في ادارة بلادهم ، وان لبعضهم ذنوباً سابقة لا يغفرها الاتحاديون كاهانة شفيق بك لطلعت بك ، والسعي لعدم اقراض اوربا للاتحاديين عشرات

من الملايين ، يضيعونها وتبقى للبلاد رهينة بها للدائنين ، وتوثيق اعضاء المنتدى الادبي في الاستانة عرى الاخاء بين طلبة العرب في مدارس الحكومة فيها ، واهانتهم لصاحب جريدة اقدام التركية في نشر تلك المقالة التي قال فيها كاتبها ان الطريقة المثلى للتنكيل بعرب الجزيرة اغراء بعضهم بقتال بعض بالمال «لان العرب تبيع كل شيء بالمال حتى العرض والناموس »

« ثم انهُ يصرح بأنهم أخذوا بالظن فلم تثبت عليهم تلك التهمة باليقين ، ولو ثبتت لما جاز قتل أحد منهم بها شرعاً ولا قانوناً لانها عبارة عن رأي سياسي لم يدع قائلهم انهم شرعوا في تنفيذه بالخروج على الدولة في اثناء النفير العام الذي حاكمهم بقانونه . وكيف يعقل أن يقوم نفر قليل كهؤلاء بالخروج على الدولة والسواد الاعظم من قومهم يخالفهم فيهِ باعتراف جمال باشا نفسه والدولة تحكم بلادهم بالاحكام العرفية القاسية وجميع شبان الامة وكهولها جنود مسلحون بين يديها ؟ وياليت شعري ما تلك المنافع المادية الخسيسة التي ضحى أولئك الاذكياء الفضلاء دينهم ووطنهم لاجلها . ان كانت ما ذكره من غاية جمعيتهم المزعومة ، فتلك غاية سياسية عالية لا مادية خسيسة ، وان كانت غيرها فما هيه »

وقال العرب في بيان سياسي نشر في المقطم في ١٧ شوال سنة ١٣٣٤ و١٦ اغسطس سنة ١٩١٦ رداً على بيان جمال باشا مانصه «ونحن نعلن رسمياً على رؤوس الاشهاد انهُ ليس بين الذين شنقوا او اضطهدوا من ضباط العرب والقائمين بالفكرة العربية من كان يفكر في الانضمام الى دولة اجنبية اوالانفصال عن الدولة العثمانية . وقد ارتكب جمال باشا ما ارتكبهُ من الفظائع والموبقات من غير ان يبدر في البلاد العربية اقل بادرة تشتم منها رائحة العصيان . فلم يفعل جمال باشا الا ما فعله من قبل تيمورلنك وجنكيزخان وهولاكو وما يفعله الاتحاديون اليوم بقيادة عصبة من الاشرار السفاحين لم يخش زعيمها طلعت بك ان يصرح على

رؤوس الاشهاد بانهُ « ذبح المجرمين والابرياء من الارمن نساء وشيوخاً واطفالاً مخافة ان يكونوا في المستقبل عضواً فاسداً في جسم الدولة العثمانية »

* * *

هذا ولم يكتف الاتحاديون باعدام الابرياء من العرب بحجة اشتغالهم بالسياسة قبل اعلان الحرب بل ارتكبوا من الفظائع ما تقشعر لهوله الابدان فلم يتركوا شريعة من الشرائع الاّ داسوها ولا حرمة الاّ انتهكوها ولا حقاً الاّ اغتصبوهُ ولو وضعنا امامنا كتب الشرائع والقوانين المنزلة والموضوعة وقابلنا بينها وبين اعمال الاتحاديين لما وجدنا شريعة واحدة أو قانوناً واحداً لم يدوسوهُ باقدامهم . فقد احتقروا الاسلام وخالفوا شرائعهُ كلها بكل عمل من اعمالهم وحطوا من كرامة نبي المسلمين (صلعم) وصحابته واعظم خلفائه الراشدين بدليل ما سبقنا الى ذكره من اقوالهم [1] وسعوا للقضاء على الدين الاسلامي وانتهكوا حرمة الاديان الاخرى وضربوا بشرائعها وقوانينها عرض الحائط . ثم عادوا الى قوانين الدولة ونظاماتها قبل الدستور وبعده فمزقوها تمزيقاً ولم يراعوا نظاماً من نظاماتها ولم يحترموا قانوناً من قوانينها وكل ذلك ظاهر في جميع اعمالهم كالشمس في رائعة النهار . فاية جناية تستحق الاعدام ارتكبها الذين شنقوا من اصحاب الفكرة العربية في بيروت ودمشق وغيرهما من مدن سورية والعراق وهم لم يوقظوا فتنةً ولا دعوا الى ثورة او عصيان ولا فكروا في الاستقلال والانفصال عن الترك بل كان جل آمالهم حمل الحكومة الاتحادية بالطرق القانونية على اجابة العرب الى مطالبهم الحيوية التي لا تعيش امة الاّ بها

وهب ان هؤلاء الابرياء استحقوا الاعدام بغيرتهم على الوطن المشترك فما هو ذنب نسائهم واطفالهم وذوي قرباهم الذين نفوا الى الاناضول ؛ واذا كان

(١) انظر من صفحة ١٤٧ الى صفحة ١٥٩

لهؤلاء المساكين ذنب فما هو ذنب رفات ذلك العربي الكبير الامير عبد القادر الجزائري التي اخرجت من قبرها وبعثرت وديست بالاقدام وذرتها الريح ؟ واذا كان لتلك الرفات الطاهرة ذنب فما هو ذنب النساء والاطفال والشيوخ من أبناء سورية والعراق الذين يموتون اليوم جوعاً في اخصب بقاع الارض ؟

لقد اذنب كل هؤلاء في نظر الاتحاديين ولكن ما هو ذنب المدارس التي اقفلوا ابوابها والجوامع والكنائس والمقابر التي انتهكوا حرمتها والآثار التى دمروها ونهبوها والارض التى منعوا العالم من استغلالها والبلاد التى ساعدوا على نشر الاوبئة فيها ونهبوا اموالها وغلالها وافقروها من سكانها وجعلوها قاعاً صفصفاً ينعق فوقهُ البوم ويأوى اليه الغربان ؟

﴿ المصائب لا تأتي فرادى ﴾

عانى العرب في سورية على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم من مسلمين ومسيحيين ودروز ونصيريه ويهود وغيرهم من الاضطهاد والشدة والضيق والجوع والفقر مالم يسبق لهُ مثيل في غابر العصور فمصائب سنة الستين لم تكن شيئاً يذكر في جانب مصائب هذا الحين وتاريخ سورية الذي لايضاهيه تاريخ في ويلات حروبهِ وضيقاتهِ وشدائدهِ لم يرد فيهِ في غابر الزمان نظير لما قاساهُ أهل سورية ويقاسونهُ هذه الايام كما روى بعض الرواة الصادقين الذين رأوا رأي العين ماحلّ بتلك البلاد التعسة من الفظائع والاهوال. وهانحن نثبت في هذا الكتاب خلاصة ماروٰاهُ بعض أولئك الرواة ريثما يتاح لنا الوقت لنشر كل فظائع الاتحاديين على الرأي العام في أربعة أقطار المعمور

نقل حضرة الكاتب الفاضل « الرحالة » الى جريدة المقطم ماروٰاهُ لهُ شاهد عيان وصل الى القاهرة في أواسط شهر اكتوبر سنة ١٩١٦ فقال في مقالة طويلة لهُ :

« أخبرني الصديق الذي وصل أخيراً من سورية ان ابنة المرحوم رشدي بك الشمعة كانت مصابة بالحمى المعوية قبيل صدور الحكم على والدها فأمر جمال باشا بابعادها مع بقية أفراد العائلة قبيل التنفيذ بنحو اسبوع ولكن الطبيب استرحم وأظهر ما في هذا الامر من الخطر على حياتها الا ان احمد جمال باشا « المسلم الصراح » الذي لا تشوبه شائبة أصرّ على رأيه وأصدر الامر بنفي أسرة رشدي بك الشمعة مهما يكن مرض كريمتهِ خطراً فحملت على ظهور الرجال وسيقت هي ووالدتها واخوتها الى محطة البرامكة ومنها الى محطة رياق حيث أطل أخوها الصغير من الشباك عرضاً فرأى أباهُ في قطار بيروت آتياً من عاليه ليشنق في دمشق مع من سيشنق في ذلك اليوم فصرخ الولد صراخ الفطيم عندما يرى مرضعهُ الحنون وصار ينادي « ابي ! ابي ! » ومدت مريضتنا رأسها من الشباك لتحقق هذا الحلم بنفسها فرأت والدها يبتسم في وجه ولده ابتسام المحروق على تقبيله فصاحت من شدة الانفعال وارادت أن تخاطبه وتودعهُ الوداع الاخير وتطلب رضاه ولكن الجندرمة الموكول اليهم حماية « المؤمنين » في هذا « الجهاد المقدس » لكموها على وجهها فسقطت على المقعد أمام عيني أبيها الذي بقي مبتسماً ابتسامة الاحتقار وما أمسى المساء حتى فارقت الحياة قبيل وصولها الى حماة وهي تشير بيديها وفمها من غير وعي كأنها تقبل الايدي التي طالما حملتها في صغرها

« وقد عرف المشنوقون صدور الحكم عليهم بالاعدام قبل التبليغ بأربعة أيام وكان وداع الشاب الضابط جلال البخاري لوالده الشيخ المسن الاستاذ سليم البخاري الذي كان مسجوناً مثلهُ يفطر القلوب . وقد شجع الشاب أباهُ تشجيعاً مؤثراً فقال لهُ « يا أبت لا تخف ولا تجزع ان لي اخوة يعزونك عن فقدي واذا متّ أنا فان أمتي ما ماتت ولن تموت والذي ارجوهُ لك وحرمت نفسي منهُ أن يطيل الله عمرك حتى ترى بعينيك مصرع الباغين وعاقبة أهل الظلم والفساد »

فسقط الوالد المسكين فاقداً صوابه ولم يعد اليهِ رشدهُ الى الآن

«ونقل الذين شنقوا في بيروت بالاتوموبيلات من عاليه الى مدينة بيروت وكان منظرهم يفتت الاكباد . وظلوا ينشدون الاناشيد الحماسية طول طريقهم ويترنمون بالاهازيج القومية كمن شعر بقيامهِ بواجبهِ وعرف ان دمهُ سيكون سبباً لتشديد عرى الرابطة القومية وتحرير البلاد من الاشرار. أما الذين شنقوا في دمشق فقد سيقوا اليها في قطار الركاب الاعتيادي الذي يسافر بين بيروت والشام مرتين . ولما وصل القطار الى محطة الزبداني نزل منهُ المرحوم الامير عمر الجزائري والمرحوم عبد الوهاب المليجي (الانكليزي) لاراحة الجسم من عناء الجلوس والتمتع بآخر نظرة من ربى «بلودات» فرآهما في المحطة صديق لهما وقال لهما «خير انشا الله» فاجابهُ عبد الوهاب بك بأن وضع يدهُ على عنقهِ وضمها كمن يخنق شيئاً اشارة الى المشنقة التي ستنصب لهما ولرفقاهما تلك الليلة . وقد وصل المحكوم عليهم بالاعدام الى دمشق في مساء ذلك اليوم وانزلوا في الثكنة العسكرية في البرامكة وفي منتصف الليل سيقوا الى ساحة المرجة حيث أعدت لهم السدد حوالي العمود التذكارى الحيدى وأتى جمال باشا الى نزل أميركا المطل على تلك البقعة ليمتع نظره بمشانق علماء سورية وأفاضلها ويشفي غلتهُ من الامة العربية

« تقدموا كلهم الى المشانق برباطة جأش نادرة المثال وكان في مقدمتهم شفيق بك المؤيد وهو اكبرهم سناً . فالقى خطبة بليغة مختصرة بيّن فيها الغاية الشريفة التي كان يسعى الى تحقيقها رجال العرب والاصلاح الاساسي الذي كانوا ينشدونه للبلاد العثمانية ثم طلب ان يكون الختام قرأة الفاتحة الشريفة . وسمع شكري بك العسلي يقول على سدة المشنقة — وهو آخر كلام نطق بهِ — «ولا تحسبن الله بغافل عما يعمل الظالمون» . ولما ازيح الكرسي من تحت اقدام

المرحوم السيد الزهراوي لم يحمله الحبل فانقطع بهِ فرفع مرة ثانية وشد من رجليه شداً قوياً »

هذا ما نقله « الرحالة » عن شاهد عيان . وقد نقل الينا احد الذين حضروا المشانق الاولى في بيروت اخباراً تفتت الاكباد عن طريقة الشنق والقسوة التي عومل بها اؤلئك الشهداء السعداء ونتفاً من الخطب التي القوها قبل صعودهم الى المشنقة فقال ان المرحوم الشيخ احمد طباره القى وهو على شدة المشنقة قصيدة حماسية كان نظمها في الطريق بين عاليه و بيروت وان المرحوم محمد المحمصاني صعد الى سدة المشنقة بعد ما ودع اخاه محموداً الذى شنق معهُ يوم واحد فقال: «كنت في السجن اعرّب تاريخ استقلال ايطاليا التي تحررت بدماء اخوين شهيدين فما اسعد حظنا انا واخي محمود اذا كان موتنا حياة للامة العربية » ثم هتف « فليحيي العرب » وازاح سدة المشنقة من تحته

والقى المرحوم عبد الكريم الخليل خطبة وجيزة مؤثرة قال فيها « اني اعرف السبب الحقيقي الذى شنقني جمال باشا من اجله وسيعرفهُ التاريخ ايضاً »

وتقدم جميع المشنوقين الى المشنقة بقدم ثابت وجأش رابط والقوا كلهم خطباً بهذا المعنى لا سبيل الى نشرها الآن وستنشر قريباً مع سائر كتاباتهم واقوالهم في السجن وفي الديوان العرفي

ولا يعلم احد عدد الذين شنقوا من ابناء الامة العربية في سورية والعراق ولكنهم على كل حال يعدون بالالوف فضلاً عن الضباط والجنود العرب الذين اعدموا في الجيش .

ولو اكتفى الاتحاديون باعدام الافراد لهان الامر ولكنهم عمدوا الى النفي والتجويع لقتل الامة شيوخها ونسائها واطفالها فنفوا أسر الذين اعدموا او حكم عليهم بالاعدام مع اصدقائهم وذوي قرباهم ومعظم اصحاب

النفوذ من السكان وكل الذين لم يؤيدوا جمعية الاتحاد والترقي في الماضي. وبديهي ان النفي طريقة من طرق الاعدام في تركيا وان ما حل بالذين نفوا من الارمن يحل الآن بالعرب السوريين والعراقيين

اما المجاعة فحدث عنها ولا حرج . فقد قدرت الصحف عدد الذين ماتوا جوعاً في لبنان فقط بخمسة وثمانين الفاً في خلال ثلاثة اشهر ووصف احد الثقات الذين فروا من سورية الحال الاقتصادية في تلك البلاد كما يلي قال :

« اذا وصل المسافر الى بيروت وفاز بالدخول اليها بسلام فاول ما يستوقف بصرهُ فيها التغيير العظيم الذي طرأ عليها بعد اعلان الحرب فحركة الاخذ والعطاء فيها ساكتة ووجوه الناس قاتمة شاحبة وابدانهم هزيلة وبطونهم خاوية والاسواق التي تباع فيها الكماليات كسوق الطويلة وغيره خاوية تقريباً خالية والاسواق التي تباع فيها الحاجيات من مأكل وملبس لا تحوي الا بضائع يسيرة بعد ما كانت مملوءة بالبضائع الكثيرة

« وقد ارتفعت الاسعار ارتفاعاً هائلاً فاسعار البضائع التي ترد من الخارج زادت اضعافاً مضاعفة حريرية كانت او قطنية او كتانية او حديدية او خشبية او غيرها وامتنع الناس عن شراء الكماليات فكل انسان يقتصر على ما عندهُ ومن النادر ان يفصل احد بدلة جديدة. واقفل الخياطون والتجار دكاكينهم ومخازنهم وصار الخياط الذي يقصدهُ زبون واحد في الشهر ليخيط ثوباً جديداً يعد نفسه سعيداً

« ولو اقتصر الامر على الكماليات لهان لان الانسان يراعي مقتضى الحال ولكن غلاء الاسعار عم الحاجيات كالكماليات فالقمح وسائر الحبوب قلت جداً لانقطاع وسائل النقل بعد ما صادرت الحكومة الخيل والبغال وغيرها من الدواب لقضاء حاجات الجيش فارتفعت الاسعار حتى صار الناس يطلبون الخبز

فلا يجدونهُ الاَّ بقدر وهذا الخبز اسود قذر تعاف النفوس رؤيتهُ . ومع ذلك فثمن الرطل الشامي ١٧ غرشاً . واذا سعى موسر وفاز بشراء كيس من الدقيق فلا يجترئ ان ينقلهُ الى منزله خوفاً من ان يهجم الناس عليه ويتخاطفوهُ كما جرى مراراً

«فكيف جلت ببيروت وابن ادرت نظرك رأيت رجالاً واطفالاً ونساء عراة حفاة يشكون من ألم الجوع جهاراً ويقفون امام كل من يدخل مطعماً من المطاعم القليلة الباقية مفتوحة ليأ كل فيهِ ويغبطونهُ على كل لقمة تدخل الى فمهِ

«ومما زاد بلية ارتفاع الاسعار شدة على شدة سطو الجراد على سورية في سنة ١٩١٥ فالتهم جانباً من الزرع في داخل البلاد وذهب بمحصولات شتى

«واللبيب الذي يتدبر بلايا الجراد و بلايا حكومة الاتحاد والترقي لا يستغرب بعدها ان البلاد التي عرفت منذ قديم الزمان بأنها بلاد تفيض لبناً وعسلاً واشتهرت باليسر والرخاء في الاقطار وعرفت شرقاً وغرباً بقرى الضيف وايلام الولائم تمسي بلاداً خيم العسر والضيق عليها وضرب الفقر والجوع اطنابهُ فيها حتى صار فقراؤها يتزاحمون على قشور الليمون والبرتقال ومصاصة قصب السكر لكي يقتاتوا بها بعد ما بارت فيها التجارة ووقف دولاب الصناعة وقلت الايدي العاملة في الزراعة»

وبيروت احسن حالاً بكثير من سواها ولا سيما لبنان فان الضيق الذي يحيق بهِ والجوع الذي يقاسيه اهله رأى احد القادمين الى القاهرة بعيني رأسهِ آثارهُ فقال انهُ كان لا يسير قليلاً في طريقهِ بين بيروت وطرابلس حتى يلتقي بأناس خائري القوى نحيلي الابدان ونساء واطفال قد رقت اجسامهم حتى صارت كالخلال وهم يشكون ويتألمون من الجوع . ورأى اثنين قد وقعا في الطريق

خائرين فادركهما على آخر رمق ومات احدهما جوعاً امام عينيهِ. واخبره قائمقام قضاء في شمال لبنان ان عندهُ ٦٠٠ نفس يتضورون جوعاً وقد ضاقت به الحيل في تدبير طعام يحفظ به رمقهم قال: وما نبتت البقول في الحقول حتى انتشرت النساء والاولاد فيها لجمع الاعشاب البرية وجذور الشجر التي يقتاتون بها الآن

وقد نفد الفحم في سورية وقطعت الحكومة أشجار الغابات في لبنان وولايتي بيروت ودمشق فصارت البلاد جرداء. ولم تقتصر مصائب سورية في هذه الحرب على تعطيل المتاجر والصنائع والحرف والمهن على اختلاف أنواعها. وانقطاع أسباب الرزق على اختلاف أبوابها. وغلاء أسعار الحاجيات والكماليات على تباين أصنافها. وزوال وسائل النقل على تعداد أشكالها. والتهام الجراد لكثير من المحصولات. وسلب الحكومة الاتحادية للمال القليل الباقي عند الناس بنقودها الورقية حتى اشتد الضيق على الناس وثقلت عليهم وطأة الفقر وأصنام الجوع بل دهمتهم الامراض القتالة أيضاً لتساعد الجوع على قتلهم فتفشت بهم حمى التيفوس في أماكن مختلفة وانتشرت من حلب الى حمص وحماه وطرابلس حتى اتصلت بدمشق وما جاورها وقد خلت البلاد من الاطباء بعد ما أرسلتهم الحكومة مع جنودها الى ساحات الحرب وخلت الصيدليات من الادوية بعد ما أخذت الحكومة ما كان فيها لمداواة جنودها وخلت البلاد كلها من الاحتياطات الصحية وممن يهتم باتخاذ الاحتياطات الصحية اللهم الآ اذا استثنينا الاطباء القليلين في المدرسة الكلية الاميركية وبعض الاطباء الباقين في المدن المختلفة لتقدمهم في السن وعجزهم عن تحمل مشقات الحرب ومرافقة الجيوش.

وقد اتصل بقادم آخر من سورية انه توفي ثمانية آلاف نفس بالتيفوس في ولاية حلب وانه مات في طرابلس يوم مفارقته لها ستون مصاباً بالتيفوس أيضاً وقس على ذلك سائر البلاد الموبوءة

هذا ولو فرضنا انهُ بقي في البلاد رجال قادرون على اغاثة الاهالي المساكين فالاتحاديون يمنعونهم من ذلك كرهاً ان لم يمتنعوا عنهُ طوعاً . والشاهد على ذلك ان الاميركيين كانوا يجمعون الاعانات من المحسنين في بلادهم ثم يوزعونها على الفقراء أجرة لعملهم في اصلاح طرق المدن ونحو ذلك من الاعمال النافعة التي كانوا يستأجرونهم لها حتى يأكلوا خبزهم بعرق جبينهم من جهة وحتى تنتفع بلادهم بتعبهم من جهة أخرى فمنع الاتحاديون الاميركيين من ذلك أولاً في بر الاناضول وأخيراً في بر الشام . وقد نقل الينا ثقة ان أميركياً التفت الى الموظف الاتحادي الذي كان يمنعهُ عن اغاثة العثمانيين المرهقين في بر الاناضول وقال له اذا امتنعنا عن اغاثة هؤلاء المساكين ماتوا جوعاً . فغضب الموظف الاتحادي عند سماع كلامهِ وقال لهُ « وهذا عين ما نقصده »

وقال طبيب أميركي ذو مقام عاد من سورية في صيف سنة ١٩١٦ « كنت ارى في طوافي في شوارع بيروت وبعض القرى اللبنانية الاولاد والنساء والرجال يلتقطون قشر البطيخ والليمون من الاوحال ويأكلونهُ وشاهدت بام عيني التراب وقشر الليمون في معد كثيرين ممن اجريت لهم العمليات الجراحية في احد المستشفيات في بيروت. وقد استولت الحكومة على جميع الغلال في سورية ولبنان حتى التين والعنب والزيتون واخذت توزع على كل بلد تقريباً ثلث ما تحتاج اليهِ من المأكولات حتى ان تلاميذ الكلية الاميركية كانوا يفضلون البقاء في المدرسة على الذهاب الى بيوتهم لعدم وجود الاكل الكافي فيها . ثم تفشت الامراض في جميع البلدان وقلما شفي احد منها لنفاد الادوية والعقاقير الطبية ولقلة الاطباء والجراحين وارتفعت اسعار الحاجيات والمأكولات ارتفاعاً فاحشاً حتى ان صندوق البترول بلغ سعره خمس ليرات وقطعت السلطة التركية اشجار الزيتون واستعملتها لمد سكة الحديد وفرضت على كل قرية من قرى لبنان عشرة جنود

ولربما كان ذلك مقدمة لتجنيد الباقين في قيد الحياة من اللبنانيين . ولا يقبض اصحاب الحوانيت والمكلفون بتوزيع الحنطة عملة الورق الا بثلث قيمتها الذهبية مما يدل على ان الترك احتكروا الغلال ليملأوا جيوبهم من الاموال المغموسة بدماء الابرياء »

وقالت سيدة اميركية ان عشرات الالوف من السوريين يموتون جوعاً كل يوم وان الاصحاء لا يكفون لدفن الموتى

وروى جميع الذين فروا من سورية روايات تفتت الاكباد وتسيل العبرات خلاصتها ان الامهات يمتن جوعاً على قارعة الطريق ضامات اطفالاً ناحلين الى صدور نضب لبنها وتقوست عظامها والرجال هائمون على وجوههم في الحقول والغابات يحاولون انتزاع جذور الاشجار ليسدوا الرمق بما ابقى عليهِ الجراد والجميع يرون المشانق منصوبة وابواب السجون مفتوحة والناس تساق زرافات الى المنفى في داخل الاناضول . فمن لم يمت من السوريين في ساحات الحرب مات شنقاً ومن لم يمت شنقاً مات في السجن او المنفى ومن بقي حياً الى الآن يتجرع الغصص ويتضور جوعاً الى ان يموت موتاً بطيئاً في منزلهِ المقفر وحقلهِ القاحل بعد ما يقاسي من العذاب والالام اشكالاً والواناً

وقد الفت المراقبة الاتحادية هذه الحال في سورية فلم تعد تعبأ بما يكتب عنها في الصحف السيارة واغرب ما قرأناه في هذا الموضوع قصيدة نشرت في جريدة البلاغ البيروتية في مدح جمال باشا وتهنئتهِ بحلول شهر رمضان المبارك لانها تشف عن حقائق لم يتمكن الشاعر من اخفاء مرارتها ففاض مداد قلمه بها وسمح الرقيب بنشرها لانه رآها دون الحقيقة . والى القراء بعض ابيات من تلك القصيدة :

تخيرت لي شهر الصيام ذريعة ⁂ اليك فبعض الجوع فيه تعاتي

تمنيت لو صح التفاهم بيننا فيغنيك عن هذا السماع عياني
وتسمع دقات القلوب قريبة فتعلم شأن البائسين وشاني
وتشهد حوليك العفاة فائت وحي كميت من ضنًى وهوان
عيال قيام عند بابك خشع وأنت أب يحتاجه الثقلان
ازل حيف اصحاب الغنى واحتكارهم فهم شر خصم في بلادك ثان
فادرك بنعماك البلاد فقد مشى بها الجوع والاملاق يصطحبان

ومنها :

اذا اصمت فارحم من يصوم حياته وان تفطر اذكر عادماً لخوان
يبيت الدجى طاوٍ ويسحر طاوياً فيغتاله عند الضحى الحدثان

ومنها

فلم أرَ قبلاً مجرماً نال رفعة وا كليل فخر باهر اللمعان
ولا قاتلاً اخوانهُ عن طاعة يمجدهُ التاريخ كل أوان

* * *

ومنها

ولم أرَ كالسفاح يقرع صدرهُ اذا قام يدعو وهو أ كبر جان

* * *

هذا وليست الحالة في العراق أحسن منها في سورية الآن في الاماكن التي تقلص منها ظل الترك والبلاد التي تقطن فيها القبائل

الفصل الثامن

﴿ انفجار البركان ﴾

العرب في محنتهم — منقذ العرب — فاتحة النهضة — الاستقلال
منشور الشريف الاعظم

تكاثفت غيوم المصائب حول العرب فحجبت عنهم نسيم الحياة وتركتهم بين لهوات الموت ومخالب الفناء ولكنها لم تفقدهم رشدهم ولا اضاعت صوابهم فما لبثوا ان لموا شعثهم وصحوا مما اصابهم من الذهول حتى وثبوا وثبة الاسود دفاعاً عن كيانهم وكيان امتهم مفضلين الموت في سبيل الحياة على الموت اذلاء مهانين

رأى العرب بعد ما دهمتهم المصائب وتوالت عليهم النكبات انهم وصلوا الى حال من الخطر لم يسبق لها مثيل في احرج الازمات فعملوا بهمة لا تعرف الكلل على درء ذلك الخطر العظيم متكلين على الله وعلى ما بقي عندهم من القوة في البلاد. وقد ادركوا ان وجود الجيوش التركية في سورية والعراق وابعاد الجيوش العربية عنهما يحولان دون القيام بعمل ذي شأن فيهما فقرروا ان يلتفوا كلهم جمعياتهم واحزابهم وكل من نجا منهم من مذابح الاتحاديين حول زعيم كبير من زعمائهم البعيدين عن سيطرة الترك والاجانب وان ينظموا تحت امرته قوة عربية كافية للوقوف في وجه الاتحاديين وانقاذ الامة العربية من مخالبهم فلم يروا بين امراء العرب اكبر نفساً وامضى همة من سيادة الشريف الاعظم

« الحسين بن علي » (١) شريف مكة واميرها المعظم . وقد الفوا سيادته مدركاً لشعور الامة العربية التي يعد نفسه منقذها والمسئول عنها والشارك لها في عواطفها واميالها فالقوا عنده عصا الترحال مستغيثين مستنجدين فكان خير من اغاث وانجد

***

أجاب سيادته العرب الى نداثهم لاسباب دينية وقومية . فالاولى هي تلك الفظائع والفواجع التي ارتكبها الاتحاديون في البلاد العثمانية والتي ينكر الاسلام عليهم ارتكابها ويعاف ذكرها كل ذي نفس أبيّة وعاطفة شريفة . ولما كان

---

(١) هو الشريف حسين بن علي بن محمد بن عبد المعين بن عون بن محسن بن عبد الله بن حسن بن ابي نمي محمد بن بركات الامير بن محمد الامير بن بركات بن حسن بن عجلان بن رمية ابو عرارة اسد الدين بن محمد ابي نمي نجم الدين بن ابي سعيد الحسن بن علي بن قتاده بن ادريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن الحسين بن سليمان بن علي بن عبد الله بن محمد الثائر بن موسى بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنّى ابن الامام حسن السبط ابن الامام علي ابن ابي طالب من زوجتهِ السيدة فاطمة الزهراء بنت (النبي محمد) صلى الله عليه وسلم ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصيّ بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر (قريش) بن مالك بن النضر بن كنانه بن خزيمه بن مدركه بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن (عدنان) بن اد بن ادد بن اليسع بن الهميسع بن سلامان بن نبت بن حمل بن قيذار بن اسماعيل بن (ابراهيم) عليهِ السلام ابن نارح بن ناحور بن سروج بن رعو بن فالج بن عابر (ابو قحطان) بن شالخ بن ارفكشاد بن سام بن (نوح) عليهِ السلام

سيادته مسؤولاً عن الاسلام ومجده وسمعته وعن ارث أجداده العظام الذي لطخه الاتحاديون بالعار لم يرَ بداً من القيام في وجوههم انتصاراً للاسلام وانقاذاً له من ظلمهم وطغيانهم . أما الاسباب القومية فأهمها تصميم الاتحاديين على استئصال الامة العربيـة باضطهادهم العرب على اختلاف أديانهم ومذاهبهم ونفيهم لهم وتجويعهم وشنق زعمائهم وأدبائهم وأصحاب الرأي فيهم ظلماً وعدواناً « كعبد الحميـد الزهراوي (١) وعبد الكريم الخليل (٢) ورشدي الشمعة (٣)

---

(١) أحد أعضاء مجلس الاعيان العثماني . وقد كان رحمه الله معارضاً لحكومة الاتحاديين الى سنة ١٩١٣ فجاء من باريس الى الاستانة حينئذ واتفق مع جمعية الاتحاد والترقي على أمور لم تنفذ الجمعية شيئاً منها كما مر في هذا الكتاب وا كتفت بتعيينه وتعيين ستة من السوريين والعراقيين في مجلس لاعيان. فصار من ذلك الحين صديق الاتحاديين الحميم حتى ان فريقاً كبيراً من ابناء العرب نفر منه واتهمه بالخيانة والعمل مع الحكومة الاتحادية على الفتك ببعض زعما العرب كعزيز بك علي وغيره . ولما أعلنت الحرب الاوربية كان اتحادياً لايقل غيرة على الاتحاديين عن أكبر زعمائهم فوافق الحكومة على اصدار أمر التعبئة العامة وسعى الى استمالة العرب اليها . وقد جرى له مع كاتب هذه السطور حديث طويل في هذا الشأن لامجال لذكره الآن . هذا هوالمرحوم عبدالحميد الزهراوي الذي ساقه الاتحاديون ظلماً وعدواناً الى المشنقة في دمشق الشام

(٢) شاب لبناني خرج من مدرسة الحقوق والمدرسة الملكية في الاستانة . وقد كان من الذين سعوا للاتفاق بين العرب والترك سنة ١٩١٣ (راجع صفحة ٨٦ و١٠٠) ثم صار صديق الاتحاديين الحميم بعد ذلك التاريخ حتى نفر العرب منه وكان يتقاضى راتباً كبيراً من صندوق جمعية الاتحاد والترقي مقابل خدم عظيمة لايجهلها أحد من الواقفين على تاريخ المسألة العربية وأدوارها

وقد ظل رحمه الله يد الاتحاديين اليمنى في سورية الى أن نصبت له المشنقة في بيروت وكان اخلاصه لهم نتيجة حسن ظنه بهم واعتقاده التام بأنهم لاينوون للعرب شراً وان الاحوال الحاضرة تقضي على الامتين العربية والتركية بتناسي المنازعات الماضية والاتحاد قلباً وقالباً دفاعاً عن الوطن المشترك (راجع صفحة ١٢٩)

(٣) رشدي بك الشمعة أحـد أعيان دمشق ومبعوثيها السابقين انضم الى الاتحاديين في سنة ١٩١٣ وارسل بمهمة سرية الى سورية . ولما كشفت تلك المهمة عدل عن تنفيذها وامتنع عن الاشتغال بالسياسة فلم يعد يسمع له صوت فيها . وقد كان رحمه الله من أشد الناس غيرة على

وعبد الوهاب بك [١] وشكري بك العسلي [٢] » وتوفيق افندي البساط [٣]
والامير عارف الشهابي [٤] وسليم بك الجزاري من ضباط اركان الحرب [٥]

الدولة العثمانية . تؤيد ذلك خطابه في مجلس النواب وكتاباته واعماله . وهو كاتب مجيد وشاعر بليغ ترك آثاراً عديدة تحيي ذكره في علم الادب

(١) المرحوم عبد الوهاب المليجي الملقب بالانكليزي من أدباء دمشق وخيرة رجالها اخلص للاتحاديين واعتقد باخلاصهم للعرب بعد الاتفاق الذي أبرمه معهم المرحوم عبد الحميد الزهراوي فعين مفتشاً ملكياً في احدى ولايات الاناضول وخدم الدولة والحكومة الاتحادية خدماً عظيمة بمعارفه ونشاطه وغيرته على الاتحاديين أنفسهم . وكان يعمل على تعزيز موقعهم في البلاد العربية وانقاذ الدولة من عواقب الحرب التي خاضت غمارها يوم ساقوه الى المشنقة في دمشق الشام ظلماً وعدواناً

(٢) هو أحد مبعوثي دمشق اشتهر بالخطب التي القاها في مجلس النواب العثماني دفاعاً عن العرب ولكنه اعتقد باخلاص الاتحاديين للامة العربية بعد الاتفاق الذي أبرمته مع مندوبي الجمعيات العربية في المؤتمر وقبل أن يعين مفتشاً ملكياً في احدى الولايات العثمانية

(٣) كان رحمه الله من اذكى شبان العرب تخرج من مدرسة الحقوق والمدرسة الملكية في الاستانة وكان دائماً الاول في صفه بين ارباب تلاميذ ومما هو جدير بان يذكر به عظم وطنيته واعجابه بنشاط الاتحاديين . وقد كان يعتقد أنهم اجدر الاحزاب بتقلد زمام الاحكام في البلاد العثمانية وظل على هذا الاعتقاد الى ان ظهرت له فظائعهم باتم مظاهرها

(٤) شاب لطيف المعشر ذكي الفؤاد تخرج من المدرسة الملكية في الاستانة وعين موظفاً ملكياً في ولاية الشام . ولا يختلف في افكاره وارائه السياسية عن صديقه الحميم المرحوم توفيق البساط

(٥) ضابط من كبار ضباط اركان الحرب في الجيش العثماني . كان رحمه الله من اشد الناس وطنية واعظمهم للبلاد نفعاً . لم يفكر يوماً في الانضمام الى دولة أجنبية او الانفصال عن الترك وقد قال لكاتب هذه السطور في اجتماعه الاخير به بعد اعلان الحرب الاوربية « على هذه الحرب يتوقف كيان الدولة ومصير الشرق الادنى . وسيكون اتحاد العرب قلباً وقالباً مع اخوانهم الترك في هذا الحين العصيب اكبر ضمان للمستقبل المجيد الذي ينتظرنا والذي هو مكفول لنا باخلاص كل فرد منا وتفانيه في سبيل الوطن المشترك »

وقد اخترع رحمه الله « بركاراً » سماه « البركار العربي » يرسم الرسوم الهندسية على اختلافها وقرر أن يرسل الى اوربا من يسجله له باسمه ولكن الحرب حالت دون ذلك

قضى المرحوم سليم الجزاري حياته في خدمة الدولة فتخرج من مكاتبها ودرّس في مدرستها الحربية زمناً طويلاً واشترك في قمع معظم الثورات الداخلية وخاض غمار الحرب البلقانية الاولى

ومحمد افندي المحمصاني [١] ورفيق افندي رزق سلوم [٢] ومختار بك بيهم [٣]

في بولاير حيث كان رئيساً لهيئة اركان حرب احدى الفرق . واسترجعت فرقته مدينة ادرنه في الحرب البلقانية الثانية وكان اول من دخلها من القواد والضباط العثمانيين . ولما اعلنت الحرب الاوربية عينته وزارة الحربية في هيئة اركان الحرب في الدردنيل فكان احد الذين رسموا للجنرال فون ساندرس تلك الخطة الدفاعية البديعة التي انقذت الاستانة وحالت دون وصول الحلفاء اليها ثم عين بعد ذلك في اركان حرب الفيلق العثماني الذي كان مرابطاً في ازمير وضواحيها بقيادة بترو باشا . وبينما هو يحارب هناك دفاعاً عن الوطن المشترك اخذه الاتحاديون من ميدان القتال وساقوه الى المشنقة في سورية مكافأة له على خدمه الباهرة (راجع صفحة ١٢٨)

(١) من ادباء بيروت وخيرة شبانها تخرج في المدارس العالية في فرنسا وحرر جريدة المفيد. جاء مصر بعد اعلان الحرب الاوربية وكان في امكانه ان يبقى فيها الى ان تنتهي الازمة وتعود المياه الى مجاريها وقد اشار عليه بعض اصدقائه في مصر بذلك فكان جوابه « ان الوطن في حاجة الى كل فرد من ابنائه في هذا الاوان العصيب فمن الخيانة ان لا نقوم بالواجب علينا نحوه » فهذا الوطني العظيم الذي آثر خدمة الوطن على نعيم مصر ورغد عيشها وعدّ تقاعده عن خدمته خيانة جازاه الاتحاديون بالاعدام باسم ذلك الوطن الذي خانوه ولطخوه بالعار والقوه في وهدة الهلاك والدمار

(٢) كاتب وشاعر ولد في حمص وتلقى مبادىء العلوم في مدرسة كفتين الاكليركية ثم تركها وسافر الى الاستانة لدرس علم الحقوق . وله آثار فيه تدل على طول باعه وكان رحمه الله من اصدقاء المرحوم عبد الحميد الزهراوي والذين سعوا معهُ لاتفاق العرب والترك وايدوه في الاتفاق الذي ابرمه مع الاتحاديين . ولم يكن قبل الحرب ينتسب الى جمعية من الجمعيات ولكنهُ كان كثير التردد على المنتدى الادبي حيث عين مدرساً للغة الانكليزية . ومما يذكر عنهُ انهُ كان شديد التعلق بالترك غيوراً على المصلحة العثمانية وقد قابل خبر التعبئه العامة في بدء الحرب بسرور عظيم وتطوع في الجيش العثماني ضابطاً في الاحتياطي وكان يدافع عن الدولة يوم ساقه الاتحاديون الى المشنقه

(٣) من اذكى رجال العرب واشدهم غيرة على الدولة . زار الاستانة مرتين بعد رجوعه من باريس فتعرف بزعماء الاتحاديين ولا سيما جمال باشا الذي كان من اعز اصدقائه ونال من الحكومة امتيازاً بتجفيف اراضي الحولة وغير ذلك من الامتيازات التي تدل على ميل الاتحاديين اليه

وقد عين رئيساً لبلدية بيروت بعد اعلان الحرب الاوربيه وعهد اليه في تأليف حكومة محلية للدفاع عن المدينه اذا هاجها الحلفاء وذلك بعد ما قررت القيادة العثمانيه الجلاء عنها (راجع

واحمد طباره [١] وجلال البخاري [٢] والامير عمر الجزايري [٣] ومحمود المحمصاني [٤] وسيف الدين الخطيب [٥] وعبد الغني العريسي [٦] وسعيد عقل [٧]

صفحة ١٢٨) وبعد كتابة هذه السطور وردت صحف أميركا الى القاهرة في اوائل نوفبر وفيها ان مختار بيهم لا يزال حياً يرزق فنتمنى ذلك من صميم الفؤاد

(١) هو صاحب جريدة الاتحاد العثماني واحد اعضاء المؤتمر العربي الذي عقد في باريس والوفد الذي قدم منها الى الاستانة . كاتب بليغ وخطيب مفوه . ولد في بيروت وشنق فيها (راجع صفحة ٨٨)

(٢) تخرج في مدرسة الحقوق السلطانيه في الاستانة وعين عضواً في احدى المحاكم ثم دخل في الجيش برتبة ضابط في الاحتياطي . وكان رحمه الله لطيف المعشر ذكي الفؤاد حسن الصوت جميل الخلق بعيداً عن كل ما له صلة بالسياسة

(٣) هو احد انجال القائد العربي الكبير الامير عبد القادر الجزائري. وقد كان رحمه الله من رعايا فرنسا

(٤) هو شقيق المرحوم محمد المحمصاني . وقد كان موظفاً في مصلحة البريد العثمانية وشنق مع اخيه بيوم واحد في بيروت

(٥) شاب اديب نبيه تخرج من مدرسة الحقوق في الاستانة سنة ١٩١٤ ثم عين عضواً في محكمة بداية حيفا . وقد كان رحمه الله من اعضاء المنتدى الادبي ومؤسسيه

(٦) هو صاحب جريدة المفيد التي كانت تصدر في بيروت ومن خيرة شبان سورية اتم دروسه العاليه في باريس واشترك في المؤتمر العربي الاول . وهو كاتب بليغ وخطيب مفوه زار الاستانة مع صديقه مختار بك بيهم سنة ١٩١٤ واجتمع بزعماء الاتحاديين فيها فاستمالوه بكذبهم وريائهم واقنعوه باخلاصهم وحسن سياستهم وعظم صداقتهم للعرب وجعلوه يبدل سياسة جريدته « المفيد » التي صارت بعد رجوعه الى بيروت من الصحف الموالية لهم . وقد تمكن من الفرار بعد ما ادرك سوء نية الاتحاديين ولكنهم قبضوا عليه لسوء الحظ بجوار مدائن صالح مع رفيقه وصديقه المرحوم توفيق البساط

(٧) شاب لبناني من معلقة الداموركان رئيس تحرير جريدة النصير التي تصدر في بيروت ومن ادباء سورية وخطبائها المشهورين ولم يكن له اقل صلة بالاحزاب العربية. اما آراؤه السياسية فتظهر للقراء من كتاب ارسله الى صديق له في الاستانة في ٢٩ مارس سنة ١٩١٠ وقال فيه ما نصه : « النصير جريدة عثمانية ولكنها عربية وفي بلاد العرب وعلى الانسان ان يخدم المبدأ الاعم ثم المبدأ النسبي فنحن نخدم العثمانية اولاً ثم العربية ثانياً وخطة بعض اخواننا في مسألة

وشفيق المؤيد [١] وغيرهم من شهداء الحرية الذين يرفع الوطن اقدارهم ويدون اسماءهم في أول صفحة من صفحات تاريخهِ الجديد التي كتبت بدمائهم البريه

وتمكن في تلك الاثناء بعض أعضاء الجمعيات العربية الذين نجوا من مذابح جمال باشا السفاح من ترك سورية والعراق الى شبه جزيرة العرب والى خارج البلاد العثمانية فتم التفاهم بواسطتهم بين زعماء العرب وجمعياتهم وبعض المقامات العالية وقرّ القرار على اعلان الثورة في الحجاز. وقد اختاروا الحجاز للقيام بحركاتهم التمهيدية لاسباب سياسية وحربية أهمها ان صاحب الكلمة النافذة فيه أشرف العرب نسباً وان بلاد الحجاز بعيدة عن مركز القوات التركية وقريبة من البحر في آن واحد فضلاً عن وعورة مسالكها وحرضيفها وتعذر وصول العدو اليها وسهولة قطع سكة الحديد التي تصلها بسورية. وقد رأى العرب أن يكتفوا في بدء الامر بقوة تلك البلاد لانتزاعها من يد الترك وجعلها بمأمنٍ من كراتهم عليها ريثما يكملون استعدادهم فيها فيتخذون خطة الهجوم ويقومون قومة واحدة لطرد عصبة الاتحاديين من البلاد العربية التي لا تزال تئن من جورهم وطغيانهم

الترك والعرب اوجبت علينا ان تتصل بما يرى به العرب اجمعهم بدون استثناء لان مبدأنا وخطتنا هي « ان صالحنا كعرب ان نكون مع اخواننا الاتراك . هذا وارجوك ان تلفت نظر طنين الى ما نكتبه حيناً بعد آخر عن السياسة الداخلية ولا سيما مقالتنا « حياة الدولة بحياة الجمعية » الموقعه باسمي والمنشورة في عدد الاثنين»

[١] هو شفيق بك المؤيد العظم من أسرة العظم الشهيرة في سوريه ومن مبعوثي دمشق السابقين واكبر الماليين في البلاد العثمانية تقلب في اعظم وظائف الدولة واكتسب خبرة عظيمة في الشؤون السياسية والاقتصادية والادارية . وقد كان من حزب المعارضين في الماضي وكانت له وقائع مشهورة في مجلس النواب مع طلعت بك وجاويد بك وغيرهما من زعماء الاتحاديين ولكنه كان من اشد الناس تمسكاً بالعثمانيه واعظمهم غيرة عليها وقد انفصل عن المعارضين في اثناء الحرب البلقانية وخدم الحكومة الاتحادية خدماً عظيمه بعد ذلك حتى أن فريقاً كبيراً من أصدقائه السياسيين اعتقد بدخوله في جمعية الاتحاد والترقي . فهذا الوطني الغيور والسياسي المحنك اعدم شنقاً في دمشق لسبب حقيقي واحد وهو حقد طلعت بك عليه لما كانا معاً في مجلس النواب العثماني

﴿ فاتحة النهضة ﴾

بدأ القتال بين العرب وجيوش الاتحاديين في الحجاز في ٩ شعبان سنة ١٣٣٤ (١٠ يونيو سنة ١٩١٦) قبيل الفجر فهجم العرب على الثكنات العسكرية في مكة المكرمة وحصروا الجنود التركية فيها . ولما أدرك قائد ثكنة [illegible] الاعظم ان يعرف أسباب

والتعيب واضطرهم الحال الى فتح باب البيت والصعود الى سطحهِ للتمكن من إطفاء اللهيب وما انتهى أمر الترك بهذا بل عززوا الاثنتين بثالثة على بيت ابراهيم عليهِ السلام وهذا عدا ماوقع منها في بقية المسجد الذي اتخذوه هدفهم الوحيد في غالب مقذوفاتهم بالقنابل والرصاص وما زالوا يقتلون الثلاثة والاربعة في نفس المسجد كل يوم حتى تعذر على العباد القرب منهُ . ولا يخفى انهُ لايقدم على مثل هذه الاعمال المنكرة التي وقعت أسوأ وقع في نفوس المسلمين قاطبة الا الجبان من الاعداء

وفي تلك الاثناء سقطت جده بعد قتال ستة ايام فاسر العرب فيها ١٣٤٦ اسيراً تركياً وغنموا عشرة مدافع ميدان واربعة مدافع جبلية واربعة مدافع من مدافع المتراليوز ومستودع السلاح والذخيرة وكل المهمات الحربية التي كانت للترك فيها من غير ان يتلف منها شيء. ثم نقلوا المدافع التي غنموها الى مكة المكرمة ونصبوها امام قلعة جياد وهجموا عليها بعدما دمروا جانباً منها فاحتلوها عنوة واسروا كل حاميتها وغنموا منها مدفعين من المدافع الكبيرة وثلاثة مدافع جبلية ونحو ثمانية آلاف بندقية ومقداراً كبيراً من القنابل والرصاص والبارود. وكان ذلك يوم الثلاثاء في ٤ رمضان المبارك سنة ١٣٣٤ (٤ يوليو)

وبعد ما فرغ رجال المدفعية من مهمتهم في قلعة « جياد » انضموا الى الجيش العربي الذي كان يحاصر ثكنة « جرول » واصلوها ناراً حامية من مدافعهم . وكانت حاميتها تحاول بين حين وآخر ان تخدع العرب برفع العلم الابيض لتتمكن من الاستراحة وترميم ما دمر من الثكنة ولكن العرب لم ينخدعوا اكثر من مرة بهذه الحيلة الدنيئة التي زادتهم احتقاراً لرجال الحامية فهجموا عليهم بالسلاح الابيض واكرهوهم على التسليم. وكان ذلك يوم الاحد ٩ رمضان المبارك (٩ يوليو) بعد غروب الشمس . وبلغ عدد الاسرى الذين

اسرهم العرب من حامية هذه الثكنة ثلاثين ضابطاً و١١٢٠ جندياً
ثم استولى العرب على ثغري ليث وأوملج على البحر الاحمر . وكان سقوط اوملج يوم الثلاثاء في ١٦ شوال و١٥ اغسطس

وفي ٢٤ ذي القعده (٢٢ سبتمبر) اعلن الامير عبد الله نجل سيادة الشريف الاعظم واحد قواد الجيوش العربية سقوط الطايف في قبضة يدهِ بتلغراف ارسله الى سيادة والدهِ في مكة المكرمة وقال فيه ما خلاصتهُ :

« حضر غالب باشا والي الحجاز وجميع الضباط الى المعسكر العربي وسلموا انفسهم عند منتصف الليل وانصرف جيشي حينئذ الى احتلال ثكنات الجنود ومرابطهم في المدينة فسلمت القوات التركية سلاحها وخرجت منها وطوّق الفرسان العرب المدينة . وكان جميع السكان يجهلون ما هو جارٍ الآ الذين كان لهم دخل في المفاوضات . وعند الصباح دخلنا المدينة واحتلناها

«وقد بلغ مجموع الاسرى الذين اسرناهم في الطائف٨٣ضابطاً و١٩٨٢ جندياً و٧٢ موظفاً . وغنمنا عشرة مدافع (ما عدا مدفعاً كنا قد غنمناهُ منذ ايام) ووجدنا في مخازن الجيش اكثر من ١٧٠٠ بندقية و٨٠٠ قنبلة وقذيفة و١٦٠٣١٠٨ رصاصة من رصاص موزر» وشفع الشريف عبد الله هذا البلاغ المرفوع الى سيادة والدهِ بقوله :

« واني التمس من سيادتكم ان تتفضلوا بالتجاوز عن الضرر الذي لحق بنا من جراء عملهم حتى يوفّقنا الله في جميع اعمالنا . كما اني اسأل سيادتكم ان يعامل الاسرى بكل لطف فان العالم الاسلامي كله ينظر الينا »

***

هذا وقد طهر العرب قسماً كبيراً من بلادهم وبدأوا يعدون المعدات الحربية فيهِ ليواصلوا زحفهم الى الامام . ولما كان احتلال البلاد لا يؤثر كثيراً في نتيجة

الحرب رأوا ان يصرفوا همهم الى تنظيم جيوشهم وجعلها قادرة على القيام بالمهمة العظيمة التي اخذوا قضاءها على عاتقهم. وهم لا يحسبون للترك اليوم اقل حساب في البلاد التي صارت في قبضة يدهم لانهم دمروا سكة الحديد الوحيدة التي تصل شبه جزيرة العرب بمركز القوات التركية ولان جميع امراء العرب وجمعياتهم وزعمائهم وقادة امورهم يحبذون هذه الحركة ويستعدون للاشتراك فيها . فقد جاهر السيد الادريسي وامراء العرب في جنوب الحجاز بصداقتهم لسيادة الشريف الاعظم ونهجوا خطة المداوة مع الترك وكذلك الامير نوري الشعلان اما الامام يحيي وابن السعود فاحوالهما الخصوصية ومصالحهما القومية تقتضي بأن يتحدا مع سيادة الشريف والجمعيات العربية عاجلاً او آجلاً لان ابن السعود عهد في تنظيم جيوشهِ الى بعض المنتسبين الى تلك الجمعيات وجعل يعد معداتهُ لتحقيق امال العرب قاطبة ولان معظم قبائلهِ من بني حرب الذين يحالفون سيادة الشريف الاعظم ويشدون ازره

اما الامام يحيي فعداوتهُ للترك مشهورة وقد صار الجيش التركي الذي في اليمن في قبضة يدهِ لان المؤن والمهمات التي كانت ترد على هذا الجيش بطريق الحجاز قطعت بقطع سكة الحديد [1] واستقلال العرب في تلك الانحاء فاليوم الذي تجتمع فيهِ كلمة امراء العرب وزعمائهم وقادة امورهم بعد اعداد معداتهم الحربية بات قريباً جداً وسيكون يوماً عصيباً ينـال الاتحاديون فيهِ جزاء الفظائع التي اقترفوها في الامة العربية باغتيال الافراد من ابنائها وتصميمهم على سحقها والقضاء عليها

وبديهي انهُ كان في طاقة العرب ان يفعلوا اكثر مما فعلوا الى الآن ولكن

(١) دمر العرب سكة حديد المدينة للمرة الثانيه تدميراً فنياً بخلاف المرة الاولى ونسفوا الجسور والكباري نسفاً على مسافة ١٥٠ كيلو متراً

سيادة الشريف الاعظم ابى سفك الدماء في الحجاز فاصدر اوامرهُ المشددة الى قواد جيوشه بتضييق نطاق الحصار على الجنود التركية وارغامها على التسليم واجتناب سفك الدماء جهد الامكان وهو مهتم من جهة اخرى باعداد جيوشه وتنظيمها وجعلها كما تقدم قادرة على القيام بالمهمة التي اخذت على عاتقها قضائها

وقد اعلن سيادتهُ الاستقلال والانفصال عن حكومة الاتحاديين بخطاب خطير الشأن وجهه الى العالم الاسلامي في مشارق الارض ومغاربها وهذا هو نص الخطاب :

بسم الله الرحمن الرحيم

« ربنا افتح بيننا وبين قومنا »
« بالحق وانت خير الفاتحين »

« كل من لهُ المام بالتاريخ يعلم ان امراء مكة المكرمة هم اول من اعترف بالدولة العلية من حكام المسلمين وامرائهم رغبة منهم في جمع كلمة المسلمين وتحكيماً لعرى جامعتهم لتمسك سلاطينها (من آل عثمان) العظام طاب ثراهم وجعل دار الخلد مثواهم بالعمل بكتاب الله وسنة رسوله صلوات الله عليه وتفانيهم في انفاذ احكامهما . ولنفس تلك الغاية السامية الرفيعة ما زال الامراء المشار اليهم يحافظون عليها حتى اني حلت بالعرب على العرب بذاتي في سنة ١٣٢٧ الف وثلثمائة وسبع وعشرين لفك حصار « ابها » محافظة على شرف الدولة . وفي السنة التي تلتها جرت عين هذه الحركة تحت قيادة احد ابنائي الى غير ذلك مما هو في هذا المعنى كما هو مشهور ومعهود الى ان نشأت في الدولة جمعية الاتحاد والترقي وتوصلت الى القبض على ادارتها وكافة شؤونها فكانت نتيجته انتقاصها من الممالك ما قوض عظمتها مما عرفهُ افراد العالم وخصوصاً بخوضهم غمرات الحروب الحاضرة والقائهم اياها في موقف الهلكة التي لا تحتاج الى بيان

« هذا لمحض غايات معلومة تأبى احساساتنا البحث فيها وتستدعي تفطر قلوب مسلمي المعمورة اسى وحزناً على دولة الاسلام وتمزيق ما بقي من سكان ممالكها مسلميهم وذميهم (١) فريق منهم بالصلب وانواع الاعدام وفريق باجلائهِ عن وطنه وعلى الصورة المعهودة والحالة المشهودة علاوة على ما اصيبوا به في اموالهم وانفسهم من آفات الحروب ولا سيما هذه الاخيرة التي كان للارض المقدسة منها النصيب الاعظم كما يعلم بالاجمال من اضطرار الكثيرين حتى ابناء الدرجة الثانية من الاهالي الى بيع ابواب دورهم ودواليبها واخشاب سقفها بعد بيعهم لجميع ما يملكون وذلك للحصول على سد الرمق . كل هذا وكأن جمعية الاتحاد لم تره كافياً لغرضها كما يظهر من تجاوزها واقدامها على اخلال الرابطة الوحيدة بين السلطنة السنية العثمانية وجميع مسلمي المعمورة ألا وهي التمسك بالكتاب والسنة . فقد وصفت احدى صحفها الموسومة « بالاجتهاد » الصادرة في دار السلطنة السنية سيرهُ صلوات الله عليه وسلامه بشر السير (نسأل الله العافية) وهذا بمرأى ومسمع من وزير الدولة الاعظم وشيخ اسلامها وسائر علمائها ووزرائها واعيان رجالها وشفعت هذه الجرأة بالغاء قولهِ تعالى « للذكر مثل حظ الانثيين » فساوت بينهما في الميراث وعززتهما بالطامة الكبرى وهي هدم احد اركان الاسلام الخمس وهو صوم رمضان اذ امرت الجنود المقيمين بالمدينة المنورة اومكة المكرمة او الشام مثلاً بالافطار في رمضان للمساواة بينهم وبين الجنود الذين يقاتلون في حدود الروس ولفقت لهذا اقاويل لمعارضة صراحة قولهِ تعالى « فمن كان منكم مريضاً او على سفر » الى غير ذلك مما يمس

(١) قال النبي (صلعم) « من آذى ذمياً فانا خصمه ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة » رواه الخطيب في التاريخ من حديث ابن مسعود . ومن الاحاديث المخيفة في هذا الباب ما رواه الطبراني من حديث جابر « اذا ظلم اهل الذمة كانت الدولة دولة العدو » وفي الوصية بحفظ حقوق اهل الذمة والعهد احاديث في الصحاح والسنن

باساسات الاسلام من الاقدام على المنكرات الملومة احكام مرتكبيها من الدين بالضرورة بعد ان ضربت على يدي شوكة السلطان المعظم وسلبتهُ حتى حق الاقتدار على انتخاب رئيس كتاب (ما بين) سلطنته الشريفة او رئيس خاصته المبجلة المنيفة فضلاً عن النظر في امور المسلمين ومصالح البلاد والعباد وما في هذا من اسقاطهم لشروط الخلافة التي يطالب بها المسلمون. فوجوب البراءة منهم والحالة هذه مما لا مشاحة فيه. ومع هذا ما زلنا نتأول صحة هذه الجراءة هرباً وحذراً من نسبة تهمة التفرقة وبواعث الاختلاف حتى ظهر الخفاء وانكشف الغطاء واتضح ان الدولة اصبحت في يد انور باشا وجمال باشا وطلعت بك يحكمون فيها بما يشاؤون ويفعلون بها ما يريدون. وابسط دليل على صحة هذا الامر الذي ورد اخيراً لقاضي محكمة مكة الشرعية بأن لا يحكم الاّ بالشهادة التي تحررت في محكمته وبين يديه ولا يلتفت الى الشهادات التي يكتبها المسلمون فيما بينهم غير مبالين بما في آية البقرة . هذا كلهُ من جهة ومن الاخرى صلبهم في آن واحد لكثير من عظماء افاضل المسلمين وكبراء نوابغ العرب (١) من قبل ومن بعد (كالامير عمر الجزائري والامير عارف الشهابي

(١) قال الحافظ العراقي : حدثنا سلمان قال قال رسول الله (صلعم) (يا سلمان لا تبغضني فتفارق دينك) قلت (يا رسول كيف ابغضك وبك هداني الله عز وجل) قال (تبغض العرب فتبغضني) اخرجه الترمذي هكذا في جامعه ورواه غيره لكن بلفظ (هدانا) بضمير الجمع . اورد هذا الحديث ابن حجر في مبلغ الادب ولكن بلفظ (لا تبغضني فيفارقك دينك)

وقال العراقي ايضاً : عن عليّ رضي الله عنه قال قال رسول الله (صلعم) : لا يبغض العرب الاّ منافق) وعن ابن عمر قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول (لا يبغض العرب مؤمن ولا يحب ثقيفاً مؤمن) وقد اورد هذين الحديثين ابن حجر ايضاً في كتابه مبلغ الادب

وقال العراقي ايضاً : في القرب : حدثنا جرير عن عطا عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (احبوا العرب لثلاث لاني عربي والقرآن عربي وكلام اهل الجنة عربي) هكذا رواه الطبراني في المعجم الكبير . ورواه الحاكم في المستدرك بمثله ولحديث ابن عباس

وشفيق بك المؤيد وشكري بك العسلي وعبد الوهاب بك وتوفيق بك البساط وعبد الحميد الزهراوي وعبد الغني العريسي) ولا ريب انهُ يصعب حتى على ذوي القلوب القاسية ازهاق انفس الجماعات الكثيرة في آن واحد ولو كانت من بهائم الانعام وهب اننا التمسنا لهم عذراً وانتحلنا لهم مسوغاً في قتل هؤلاء الافاضل فما المسوغ لنفي عائلاتهم البائسة البريئة من كل ذنب وفيها من الاطفال والشيوخ وربات الخدور من تتفطر لهم القلوب وتذهب الانفس حسرات عليهم ولاذاقهم انواع العذاب فوق ما قد جرعوهُ من سم المصيبة بقتل عميدهم الذي خربت بفقده منازلهم والله تعالى يقول « ولا تزر وازرة وزر اخرى »[1] واذا انتحلنا لهذه مسوغاً أيضاً فما الذي يسوغ لهم مصادرة املاكهم

شاهد من حديث ابي هريرة رويناه في المعجم الاوسط للطبراني عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (انا عربي والقرآن عربي وكلام اهل الجنة عربي)

وحديث ابن عباس المتقدم حديث صحيح اورده السيوطي ايضاً في الجامع الصغير عن ا معجم الكبير للطبراني والمستدرك للحاكم وشعب الايمان للبيهقي · واورده العلامة ابن حجر الهيتمي في كتابه (مبلغ الادب · في فضل العرب) واورد فيه لفظاً آخر ايضاً وهو (احفظوني في العرب ثلاث)

وقال العراقي ايضاً : اخبرنا الهيثم بن جماز عن ثابت عن انس قال قال رسول الله (صلعم) حب قريش ايمان وبغضهم كفر من احب العرب فقد احبني ومن ابغض العرب فقد ابغضني) اخرجه الحاكم في المستدرك وقال حسن صحيح ·وله شاهد من حديث ابن عمر رويناه في المعجم الكبير للطبراني من رواية عمرو بن دينار عن ابن عمرو عن النبي (صلعم) في اثناء حديث قال فيه (فمن احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغض العرب فببغضي ابغضهم) وقد تقدم باسناده

وقال ايضاً حدثنا سالم عن ابيه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : (حب العرب ايمان وبغضهم نفاق)

وفي مبلغ الادب لابن حجر : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من احب العرب احبني حقاً) اخرجه حبان

(١) جعل الله تعالى امر نفي المرء من وطنه مقارناً لامر قتاله ليرتد عن دينه وسبباً لمشروعية القتال فقال تعالى في تعليل الاذن بالجهاد (اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم

واموالهم التي يأوون اليها ويعيشون بها بعد ان قضوا على عزيزهم وسلبوا من ايديهم اسباب عزهم. واذا تعامينا عن هذا كله أيضاً وقلنا ربما كان لهم مسوغ سوغة لهم فكيف يمكن ان تنتحل مسوغاً لجرأتهم على قبر الامير الابر والمجاهد التقي الزاهد مولانا الشريف عبد القادر الجزائري الحسني واهانته وتحقيره

«هذا بعض ما ابدوهُ من الاعمال اتينا به مختصراً تاركين الحكم فيه للعالم الانساني عموماً والعالم الاسلامي خصوصاً وحسبنا برهاناً على ما تكنهُ صدورهم للدين الاسلامي والعرب رميهم للبيت العتيق الذي اضافهُ العزة الاحدية لذاتها السبحانية في قوله تعالى « وطهر بيتي للطائفين »وهو قبلة المسلمين وكعبة الموحدين بقنبلتين من قنابل مدافعهم التي بحصن جياد اثناء قيام البلاد بالمطالبة باستقلالها وقعت احداها فوق الحجر الاسود بنحو ذراع ونصف والثانية تبعد عنهُ بمقدار ثلاثة اذرع التهمت بنارهما استار البيت حتى هرع الالوف من المسلمين لاطفاء لهيبه بالضجيج والنحيب واضطروا الى فتح باب البيت والصعود الى سطحه للتمكن من اطفاء اللهيب . وما انتهي امرهم بهذا حتى عززوا الاثنتين بثالثة على مقام ابراهيم عدا ما وقع منها في بقية المسجد الذي اتخذوه هدفهم الوحيد في غالب مقذوفاتهم بالقنابل والرصاص وما زالوا يقتلون الثلاثة والاربعة في نفس المسجد كل يوم حتى تعذر على العباد القرب من البيت وفي هذا من الاستخفاف والازدراء بالبيت وتعظيمه وحرمته ما نترك القول والحكم فيهِ ايضاً لعموم المسلمين في مشارق الارض ومغاربها (نعم) نترك الحكم في هذا الاستخفاف والازدراء للعالم الاسلامي ولكننا لا نترك كياننا الديني والقومي ألعوبة في أيدي

لقدير . الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق.. الآية) وفي شأن معاملة غير المسلمين بالعدل والبر والاحسان (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين انما ينهاكم عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون »

الاتحاديين.وقد يسر الله تبارك وتعالى للبلاد نهضتها كما وفقها بحوله وقوته لاخذ استقلالها وتكليل مساعيها بالفوز والنجاح بعد ان ضربت على أيدي موظفي الاتحاديين بيننا ورجال حامياتهم فاستقلت فعلاً وانفصلت عن البلاد التي لم تزل تئن تحت سلطة المتغلبين من الاتحاديين انفصالاً تاماً مطلقاً بكل معاني الاستقلال الذي لاتشوبه شائبة مداخلة أجنبية ولاتحكم خارجي جاعلة غايتها ومبادئها نصرة دين الاسلام والسعي لاعلاء شأن المسلمين قائمة في كل أعمالها على أساس أحكام الشرع الشريف الذي لايكون لنا مرجع سواهُ ولا مستند غيرهُ في جميع الاحكام وأصول القضاء وفروعهِ مع استعدادها لقبول كل ماينطبق على أصول الدين ويلائم شعائره من أنواع فنون الترقي الحديث وأسباب النهضة الصحيحة باذلة كل مافي الجهد والطاقة لاعزاز العلم وتعميمهِ بين الناس على اختلاف الطبقات وعلى حسب الحاجة والاستعداد

«هذا ماقد قمنا به لاداء الواجب الديني علينا راجين من اخواننا المسلمين في مشارق الارض ومغاربها أن يؤدوا كذلك مايرونهُ واجباً لنا عليهم من احكام روابط الاخاء الاسلامي رافعين أكف الضراعة لرب الارباب ومتوسلين برسول الملك الوهاب أن يتولانا بالتوفيق ويمدنا بالهداية الى مافيهِ خير الاسلام والمسلمين والاعتماد على الله العلي الكبير وهو حسبنا ونعم النصير»

«شريف مكة وأميرها»

«الحسين بن علي»

(وسينشر ملحق لهذا المنشور) (١)

---

(١) لم تعرض الآن لوصف المسائل السياسية والحربية المتعلقة بحركة العرب ولعلنا فاعلون انشاء الله حين سنوح الفرصة المناسبة

الفصل التاسع

أوروبا واستقلال العرب

انكلترا والعرب — فرنسا والعرب — الحركة العربية والرأي الاسلامي العام — البلاغات والتلغرافات الرسمية — وفود المسلمين في مكة المكرمة — اراء صحف الغرب واقوالها

وقع خبر استقلال العرب اعظم وقع في العالم كله فاد له الاسلام طرباً وقابله الحلفاء بابتهاج عظيم والمحايدون بالارتياح التام والجرمان بقلق واضطراب لا مزيد عليهما

انكلترا والعرب — ففي ٢٨ يوليو (٢٨ رمضان المبارك) نشرت صحف لندن البلاغ الرسمي التالي وهذا نصه كما عربته ادارة المطبوعات في مصر

« منذ سنين والعرب المعذبون بسوء الحكم التركي ينتظرون اليوم الذي »
« يتمكنون فيه من استرجاع حريتهم السابقة . وقد قاموا في الماضي بثورات »
« عديدة ضد الاستبداد التركي في البلاد العربية »

« وقد ادى سوء تصرف الحكومة الحالية في الاستانة وخضوعها التام »
« لسلطة الالمان الى دخول تركيا مضطرة في حرب مشؤومة اوصلت الاحوال »
« فيها الى حد النهاية فرأى شريف مكة وغيره من الزعماء في البلاد العربية »
« ان الآوان قد آن لخلع النير التركي عن اعناقهم والمناداة باستقلالهم »

« وكانت بريطانيا العظمى تعطف دائماً على العرب ولكن صداقتها »
« التقليدية لتركيا اضطرتها في الماضي الى البقاء على الحياد . اما الآن وقد »
« انضمت تركيا الى صف الدول الوسطى (المانيا والنمسا) فقد اصبحت »

« بريطانيا العظمى حرة في اظهار عطفها على أولئك العرب الذين انخرطوا في »
« عداد الحلفاء ضد العدو المشترك »

«على ان بريطانيا العظمى ستبقى محافظة على سياستها السابقة في الابتعاد»
«عن اية مداخلة في الشؤون الدينية وعلى بذل غاية جهدها في ابقاء الاماكن»
« المقدسة امينة من كل طارىء خارجي »

« ومن النقط المهمة التي لا تقبل التبديل والتغيير في سياسة بريطانيا »
« العظمى هو ان تبقى هذه الاماكن المقدسة في ايدي حكومة اسلامية »
« مستقلة »

« ولا يخفى ان احوال الحرب الحاضرة تلقي العقاب الكثيرة والاخطار »
« في سبيل الذين يرغبون في القيام بفريضة الحج ولكن العمل الذي قام به »
«شريف مكة يجعل الامل كبيراً في اتخاذ التدابير اللازمة التي تمكن الحجاج في»
«المستقبل من زيارة الاراضي المقدسة بسلام واطمئنان »

وفي ١٨ يونيو (٢٧ شعبان) وقف اللورد كرومر في مجلس الاعيان البريطاني والقى خطبة عن ثورة العرب قال فيها ما خلاصته نقلاً عن جريدة التيمس :

« ان الاخبار التي نشرتها الصحف عما جرى في جزيرة العرب عظيمة الشان جداً ومن رأيي انها داعية الى الارتياح ايضاً ومما يزيدها وقعاً في النفوس انها حدثت على حين غرة وبلا انتظار. اما كونها خطيرة الشأن فلأن كل ما يختص بالمواطن المقدسة يثير اهتمام العالم الاسلامي كله تقريباً . واما كونها داعية الى الارتياح فلان في العمل الذي قام بشريف مكة وسائر المشتركين معهُ دليلاً على ثقتهم التامة في الاعلان الذي اصابت حكومة جلالة الملك في نشره في اول الحرب وهو انها لا تنوي الدخول في شؤون ادارة اهل الحجاز اواستقلالهم

« قلت ان هذه الحركة لم تكن منتظرة ومع ان جزيرة العرب كانت في

حالة ثورة مزمنة في السنين العديدة الماضية فلو سئل المطلع على شؤون الشرق لنفى احتمال حدوث ثورة فيها وقد كانت ظواهر الحال تدل على ان الفوز الذي احرزه الاتراك (العثمانيون) في كوت الامارة يكفي لخنق فكرة الثورة في بلاد العرب قبل اكتمالها ولكن الحقيقة جاءت مناقضة لها فكان لنا من ذلك عبرة جديدة تضاف الى ميئات من العبر التي تقدمتها وهي انه يستحيل على الاوربي ان ينبيء بما سيقع في الشرق اذ جل ما نعرفه عنه هو ان نتوقع فيه حدوث غير المنتظر وما ليس في الحسبان »

وعقبهُ اللورد بريس فسأل عن صحة ماروتهُ الصحف من ان شريف مكة دمّر قسماً من سكة الحديد شمال المدينة المنورة وقال اني أود الوقوف على أحوال بلاد العرب ولا سيما سورية تلك البلاد التعسة التي حلت بها المجاعة وتفشت فيها الامراض بسبب جور الحكومة الاتحادية وما ابتدعتهُ من المظالم التي لم يسمع بمثلها من قبل »

فأجاب المركيز كروعا يأتي بلسم الحكومة قال: «لا يسعني أن أزيد على مانشرتهُ الصحف عن سير الحال في جزيرة العرب شيئاً يذكر سوى ان حكومة جلالة الملك لم تؤخذ بأخبار بلاد العرب على غرة . فقد كانت خطة الحكومة من أول الامر الى آخرهِ وجوب المحافظة على الاراضي المقدسة في الحجاز والعراق العربي تحت سلطة اسلامية على انهُ لما ظهر ان الحكومة العثمانية أخذت تضيع منزلتها كالدولة الممثلة للدين الاسلامي والعالم الاسلامي الحقيقي بفعل النفوذ الاجنبي والسيطرة الالمانية اتضح ان حدوث ثورة كالثورة التي جرت الآن لم يكن بعيد الاحتمال فان الحكومة العثمانية أخذت تضيع حقها كممثلة للاسلام منذ مدة طويلة ولذلك لم يبق مجال للدهشة والاستغراب مما قام به قوم يعدون أنفسهم الممثلين الحقيقيين للدين الاسلامي »

قال : ولا يسع أحد منا أن يردع نفسهُ عن العطف والميل الى أولئك الذين يفرغون قصارى جهدهم في نزع النير الاجنبي عنهم

« أما العامل الآخر الذي يحملنا على العطف على المساعي التي يبذلها العرب لتحرير أنفسهم من ربقة السيادة التركية فهو ان هـذه الحرب أثرت في موسم الحج تأثيراً عظيماً أوجبتهُ الضرورة الحربية على كره منا وقد كان ألوف وألوف من رعايا جلالة الملك يحجون من الهندوما وراءها شرقاً الى المواطن المقدسة. ويحتمل ان ماجرى الآن يسهل اعادة موسم الحج الذي قضت الضرورة بالدخول في شأنهِ بسبب حصر الموانيء العثمانية على سواحل جزيرة العرب وينشطهُ تنشيطاً عظيماً

« وليس عند الحكومة ماينفي صحة خبر تدمير سكة حـديد الحجاز ولـكن ليس لديها أخبار أو معلومات أخرى بهذا الصدد

واستطرد الكلام الى سورية فقال « ان عند الحكومة مايؤيد صحة الاخبار عن حالتها المفتتة للاكباد فان الاتراك أطلقوا تحت جمال باشا عقال الجور فيها ومدوا يد الشدة والقسوة الى أعيان السوريين الذين وقعت عليهم الشبهة عند الحكومة الاتحادية وقد أعـدم عشرون على الاقل من أصحاب المكانة والوجاهة ونفي كثيرون سواهم أو سجنوا . وعلاوة على ذلك ان في سورية الآن تلك الحالة المرعبة التي أشار اليها اللورد بريس. فقد ضرب الاتراك نطاقاً محكماً على لبنان واخذوا يجوعون أهله بهذا الحصر ويحرمونهم من حاجيات المعيشة وقد خاطبت الحكومة الاميركية الحكومة العثمانيـة — أو هي تخاطبها الآن — مشيرة الى مافي هذا العمل من المخالفة للسير المعتاد الذي تجري عليهِ الحكومات المتمدنة

« ولـكن يصعب ان نفكر بطريقة اخرى تمكننـا من تفريج كربة هذا الشعب التعس

« ولا غرو اذا قلقنا اشد القلق لسوء المصير الذي يحيق باهل سورية بعد الذي رسخ في الاذهان مما حل بارمينية . وان الفرنسويين الذين يهتمون بمصير مسيحيي سورية اشد اهتمام يهمهم مصير المسلمين السوريين ايضاً ومن البديهي ان مستقبل سورية يشغل بال الحكومة جداً ورجاؤها الوحيد ان الفوز الذي يمكن احرازهُ في انحاء العالم المختلفة من الوجهة الحربية قد يساعد على حل هذا المشكل

« وقد ظهر الآن ان الاتراك هاجموا كربلاء واطلقوا النار على أحد مشاهدها ويستنتج من ذلك ان الجانب الاكبر من العرب سكان تلك الشقة في العراق العربي معادٍ للحكومة التركية وناقم على حكمها »

وقالت جريدة التيمس الشهيرة في مقالة افتتاحية انشأتها عن ثورة العرب ما ترجمتهُ :

« ان الخبر المدهش الذي اذيع اليوم عن ان عرب الحجاز طردوا الاتراك من مكة المكرمة واعلنوا استقلال بلاد العرب سيكون لهُ اعظم وقع في العالم الاسلامي ويحدث هزة في نفوس المسلمين في مشارق الارض ومغاربها وقد استولى العرب ايضاً على جده ميناء مكه وسلمت حاميتها التركية اليهودات لهم مدينة الطائف الواقعة على مسافة سبعين ميلاً الى الجنوب الشرقي من مكة وهي الآن في قبضة يدهم

«وحاصر العرب الآن المدينة ثاني الحرمين الشريفين حيث قبر نبي المسلمين والادلة متوفرة على ان الثورة العربية اخذت تمتد وراء الحجاز ويتسع نطاقها

« وزعيم الحركة العربية الحاضرة سيادة شريف مكة ولا نخطىء اذا استنتجنا ان لانجاله الموصوفين بالمقدرة والكفاءة يداً كبيرة فيها. اما (الشريف الاعظم) فهو امير مكة الحقيقي وقد كان لهُ دائماً نفوذ كبير وسلطة واسعة في غرب

شبه جزيرة العرب واوسطها وهو سليل بيت امارة متحدرة من نبي المسلمين ووظيفتهُ زمنية ومصطبغة بالصبغة الدينية ومع ان سلطان تركيا كان يعين اشراف مكة في عقود السنين الاخيرة فان معظم هؤلاء الاشراف كانوا يتمتعون بشيء كثير من الاستقلال والمسلمون يحترمون شريف مكة احتراماً عظيماً لانهُ من عترة النبي وصميم قريش قبيلة النبي

«وعندنا ان الثورة التي شبت نارها في مكة تقدمتها فتنة مثلها في كربلا بالعراق العربي وهي مدينة يجلها الشيعة لاحتوائها على قبر الحسين سبط النبي والمفهوم ان الاتراك طردوا كلهم منها

«وليست هذه اول مرة انتزعت فيها الولاية على الاراضي المقدسة من يد الترك العثمانيين الذين ادعوا حق الولاية عليها منذ اربعة قرون فقط . فقد قام منذ مئة سنة الوهابيون الذين راموا احياء شعائر الدين الاسلامي القديمة وطردوا الاتراك من الحرمين الشريفين وسائر شبه جزيرة العرب وكربلا ايضاً

« واعترض للترك منذ حاولوا بسط سيادتهم على شبه جزيرة العرب فتن متوالية وثورات متعاقبة اضطروا الى قمعها واخماد نارها بسوق الجيوش واراقة الدماء . ولم يتسن للترك غزوة ولاية اليمن الا في سنة ١٨٧٢ ومع ذلك لم يتمكنوا من تدويخها وقضوا تلك السنين الطوال يحاربون اهلها حرباً عواناً لم تخمد لها نار

«وقام العرب في سنة ١٩١٣ على الحامية التركية في الحسا وطردوها من تلك الانحاء ذليلة مهانة فالتجأت الى باخرة بريطانية كانت منحدرة في خليج العجم فنجت

« اما في بلاد العسير جنوبي الحجاز تماماً فقد ثار السيد الادريسي منذ سنة ١٩٠٩ وشق عصا الطاعة على تركيا ونادى باستقلاله

«ولا نعيد في هذا المقام ذكر الحوادث المتقدمة وهي قليل من كثير مما جرى في بلاد العرب الآ لنظهر ان ما يجري في مكة والمدينة الآن ليس الآ النتيجة الكبرى للاميال التي انقضى عليها زمن طويل وهي تنمو وتتأصل في نفوس العرب وتتعاظم تدريجاً

« وقد انبأت التيمس بحدوث هذه الحوادث في مقالة افتتاحية نشرتها في ٢٠ اغسطس سنة ١٩١٣ اشارت فيها الى تجدد القوة العربية وملازمة الضعف للترك في شبه جزيرة العرب وقالت ان طرق الحرمين الشريفين « باتت الآن تحت رحمة زعماء العرب المنصورين »

« وللثورة التي شبت نارها الآن في الحجاز عاملان احدهما كان يعمل منذ قرون عديدة والآخر منذ سنوات. اما العامل الاول فهو ان العرب لم يذعنوا لحكم الترك ولا تمكن الترك من تدويخ بلاد العرب واخضاعها اخضاعاً حقيقياً ولم يمد عبد الحميد سكة حديد الحجاز الى المدينة الا توقعاً لقيام العرب يوماً وانتزاعهم الاماكن المقدسة من الترك مرة اخرى فانشأ هذه السكة ليتمكن من نقل الجنود بها الى الحجاز على جناح السرعة وباعظم عدد ممكن

« اما العامل الثاني وهو الاهم فهو ان جماعة المتآمرين الذين استبدوا بالحكم في تركيا جحدوا الدين الاسلامي وارتدوا عنهُ فلما اشتد ساعد عصابة الفجر الغرباء والملحدين المسيطرين على الجمعية الاتحادية ثبت حينئذ انهُ لابد للمسلمين الحقيقيين في بلاد العرب الذين اكبر زعمائهم شريف مكة من طرد الترك من مكة المكرمة

«ولما رأى الناس في الخريف الماضي ان تركيا زال كيانها كدولة وان انور باشا وزملاءهُ باعوا البلاد للالمان وقبضوا ثمنها ذهباً وهاجاً وان الضباط البروسيين صاروا الوراث الحقيقيين للسلطة التركية وقد استأثروا بالسيادة كلها

اتضح لهم ان آخرة تركيا دنت واجلها قرب

«وكان لتركيا مقام في العالم الاسلامي واحترام في نفوس المسلمين لما كانت متمتعة باستقلالها ولكنها بعد ماصارت ولاية المانية وصار وزراؤها يتلقون الاوامر من برلين جهاراً اضاعت سلطتها وهيبتها وقضت على نفسها بنفسها

«وقد انبأ آغاخان بما سيقع من الحوادث في رسالتهِ التاريخية الى مسلمي الهند وسائر الاملاك البريطانية لما شبت نار الحرب مع تركيا . فقال انهُ اذا فازت المانيا فتركيا تصبح خاضعة لالمانيا ويصير « المقيم » النائب عن امبراطور المانيا الحاكم الحقيقي لتركيا والمشرف على ادارة شؤون الحرمين الشريفين ثم قال « اما الآن وقد جعلت تركيا نفسها آلةً بيد الالمان فانها لم تخرب نفسها فقط بل اضاعت ما كان لها من الزعامة على الاسلام ولا بدَّ ان يدركها الشر»

«فطرد الاتراك من مكة الآن هو ما قصدهُ آغاخان وعناه بكلامه الآنف الذكر.فقد انكر العرب الذين نقموا للاسلام ثأروا لهُ ما يدعيه الترك لانفسهم من حق السيادة وخدمة الحرمين الشريفين

«والواجب علينا ان لا نغفل الوجهة الزمنية من هذه الثورة الغريبة . فان للعرب أسباباً عديدة عظيمة الشأن للشكوى . فقد عوملوا في سورية أخيراً معاملة تقشعر منها الابدان وعلى آخر طرز ابتكرتهُ القرائح الالمانية من اساليب الجور والفظاعة . وعلاوة على ذلك ان الاتراك عكفوا في كل مكان دخلوهُ في بلاد العرب على ضرب الضرائب الباهظة وجمعها وابتزاز اموال الناس ولم يحسنوا حكمه ولا اعاروا ادارة شؤونهِ اقل التفات . فالحركة العربية القومية ليست الاَّ نتيجة مباشرة لسوء الحكم والعسف والمرجح ان الذين قاموا بها اغتنموا فرصة فوز الغرندوق نقولا في ارمينية فهبوا الى الثورة

«ان زعماء العرب موصوفون بالفطنة والحصافة وآراؤهم السياسية صحيحة

واحكامهم فيها بوجه الاجمال صائبة سديدة فلم يخدعوا بانسحابنا من الدردنيل ولا بالحادث المشؤوم الذي اتفق لنا في كوت الامارة بل رأوا النبوة بقرب زوال تركيا مسطورة على لوح القدر فاتخذوا لذلك عدتهم وعمدوا الى التدابير التي أقروها منذ زمن طويل لمثل هذا الاوان

« واذا نظرنا الى ماجرى في الحجاز حتى الآن من الوجهة الزمنية الفيناه من شؤون العرب البحتة ومسائلهم الداخلية أما اذا نظرنا اليه من الوجهة الدينية فاننا نراهُ يهم العالم الاسلامي أيضاً ولكنهُ لا يتعداهُ الى سواهُ

«وقد أعلن الحلفاء في أوائل سنة ١٩١٥ اعلاناً قاطعاً فاصلاً انهم لا يدخلون في المسائل الاسلامية التي تكون مصطبغة بالصبغة الدينية البحتة فأحسنوا صنعاً لأن مثل هذه المسائل التي تؤثر في أمر الولاية على المواطن الاسلامية المقدسة قد تؤدي الى منشا كل عويصة عظيمة الشأن

«ولا بد لنا في الختام من التنبيه الى أمرين أولهما انهُ وان يكن العرب قد استولوا على مكة فقد بقي عليهم أن يحافظوا عليها فان للاتراك عدداً كبيراً من الجنود المحشودة في فلسطين . ثم ان قبائل العرب كانت تنقصها روابط التآزر والاتحاد في القرون العديدة الماضية وعليها أن تبرهن الآن على اجتماع كلمتها وشدة اتحادها وتآزرها ونبذ عوامل التفريق بينها

«أما الامر الثاني فهو ان الواجب على صحف هذه البلاد (بريطانيا العظمى) أن تراعي الحذر والاحتراس وعدم الاندفاع في ماتعلقهُ على الاخبار التي تصل اليها من بلاد العرب فلا تحاول أن تؤول البلاغات والانباء بأكثر مما تضمنهُ حقيقة أو تسوغهُ الحال في هذا الاوان لان كل كلمة لا يعنى بكتابتها العناية التامة يصل صداها الى الشرق وتترك فيهِ أثراً في الاذهان »

فرنسا والعرب

وما كادت تظهر الحركة العربية في أرض الحجاز المباركة حتى فكرت فرنسا في الاعراب عن صداقتها نحوها وعطفها عليها فأرسلت الى سيادة الشريف حسين شريف مكة وأميرها ورافع العلم العربي بعد انطوائهِ وفداً من خيرة رجال المسلمين في المغرب الاقصى والجزائر وتونس يعربون لهُ عن ميل الحكومة الفرنسوية والمسلمين الذين تحت حكمها الى العرب وحكومتهم الجديدة فأرسل سيادتهُ تلغراف شكر الى رئيس الجمهورية الفرنسوية أثر وصول رجال هذا الوفد الى الحجاز. وهذه ترجمة التلغراف :

« ابشركم بسرور لا مزيد عليهِ بوصول الوفد الاسلامي الفرنساوي المؤلف من ملكيين وعسكريين . فقد استقبله الاهالي استقبالاً فخماً يليق بمقامهِ فاهلا ومرحباً بهِ . وانا لنشكر من صميم الفؤاد الذين اوفدوه الينا ونعرب للامة الفرنسوية عن اعجابنا بعملها في هذا الوقت الذي تدافع به هي وحلفاؤها عن المدنية وحقوق الامم . وما خلا ذلك فان التاريخ لاكبر شاهد على العواطف الكريمة التي اظهرتها الامة الفرنسوية للاسلام والمسلمين . لهذا اتمنى من صميم فؤادي دوام هذه العواطف . واعرب لحضرتكم عن اخلص عواطفي لشخصكم الكريم وللامة الفرنسوية » « حسين »

فاجاب المسيو بوانكاره بالتلغراف التالي وهذه ترجمته :

عن قصر الاليزه في باريس

الى صاحب العظمة الحسين بن علي شريف مكة المكرمة واميرها

« انني أشكر لعظمتكم تفضلكم بذاتكم باخباري عن وصول الوفد الذي ندبتهُ الى عظمتكم حكومة الجمهورية الفرنسوية . ولم يكن عندي ادنى شك بالمقابلة الودية التي أقتموها له . وليكن لعظمتكم تمام الثقة بان الامة الفرنسوية

تتمنى بمنتهى الاخلاص النصر المبين لجيوشكم . واني أشاطرها بنفسي هذه المواطف واتمنى لعظمتكم الفوز » « رايمون بوانكاره »

وانشأت جريدة الطان الشهيرة مقالة في العرب قالت فيها ما ترجمته :

« ان الفوز الجديد الذي احرزتهُ جنود الشريف حسين (١). وسع الدائرة التي قامت على اسس ثورة مكة معيدة استقلال العرب . ولم يمترف امراء مكة بسلطة الحكومة العثمانية الا رغبة منهم بتعزيز شأن الاسلام لذلك ابوا اليوم ان يخضعوا لنفوذ حكومة تركية يبمت للاجنبي يديرها اناس اصحاب بدع وزندقة . فلما رأى الشريف الاعظم الذي يسميه العرب ابن النبي الواقف على مجاري السياسة في العالم ضغط يد الالماني على الاستانةوان هذه اليدتزداد عليها ضغطاً يوماً فيوماً بدأ يحاذر المطامع الالمانية التي استكشفها تحت ستار مواثيق الحاج غليوم (٢) الكاذبة . فبدأ منذ ذلك العهد الجديد الذي حل امبراطور المانيا شيخ اسلام الاستانة عليهِ.ولكنهُ بدأ ضد الاتراك عبيد المانيا واذلائها لاضدنا

«ان الحركةالعربية التي بدأت في مكة ذات شأن على رغم كونها محلية الى الان . والفوز الذي يؤيد هذه الحركة التي قام بها شعب مظلوم ويدعمها ينزع من يد سلطان الاستانة النفوذ الذي اكسبهُ اياه بسط نفوذه على ارض الحجاز فالسلطنة العثمانية التي كسرت في ارمينيا والتي ستقطع صلاتهاغداً باور باخذت منذ اليوم تتهدم في جهة الجنوب من بلادها . فالثورة تتمخض اليوم في صدور العرب الابية بعد ان لبثت منذ قرن مضى أي منذ ثورة الوهابيين تظهر للوجود حينا بعد حين في ثورات اليمن المتوالية .

---

(١) كتبت هذه المقالة على اثر سقوط الطايف

(٢) لقب اختاره الامبراطور غليوم لخدع المسلمين

« لقد استعادت ارض الحجاز المقدسة استقلالها وتبادل الامير حسين الشريف الاعظم الرسائل البرقية مع رئيس حكومة الجمهورية وهي توازي الاعتراف بهذه الحكومة الاسلامية الجديدة صديقة فرنسا . فقد شكر الشريف حسين رئيس الحكومة على ارسال البعثة الاسلامية الملكية العسكرية التي ذهبت لتحييه ولتعرب له عن صداقة فرنسا للعالم الاسلامي واخلاصها له . ويستطيع المسلمون اليوم زيارة مكة المكرمة احراراً بعد أن ارتفع عنها نير الاتحاديين . ففرنسا مسرورة في الاعراب عن صداقتها لهم بمساعدتهم على الحج وفي تحية الشريف حسين تحية الرئيس الديني والمدني الذي اعاد الى قلب بلاد العرب حكومة عربية مستقلة لا تزعجها اية مداخلة اجنبية وأي نفوذ خارجي »

وانشأت الطان مقالة اخرى بعنوان « مذابح سورية واستقلال الحجاز » قالت فيها ما خلاصتهُ :

« طلبت اللجنة الخارجية في مجلس النواب الفرنسوي من حكومة الجمهورية انَ تتخذ التدابير الفعالة لتوقيف الفظائع التي جعل الاتراك يرتكبونها في سكان سورية في حين ان عرب الحجاز قاموا على الترك وضربوهم ضربة شديدة وخلعوا النير العثماني عن عاتقهم . فبينما العرب العثمانيون يضطهدون ويموتون جوعاً ويشنقون في لبنان ودمشق نراهم بين جده والمدينة المنورة يعمدون الى القوة دفاعاً عن حقوقهم . وهاتان الحادثتان مهما اختلفت اسبابهما تعرضان امامنا الخطة السياسية التي اتبعناها في تركيا فان فرنسا التي راعت التقاليد اكثر من العقل والمنطق نهجت في البلاد العثمانيـة خطتين متناقضتين قبل الحرب فكانت تدافع عن الامم المحكومة من جهة وتعمل على تقوية مركز الاتحاديين المالي من جهة اخرى . ثم انها جعلت حمايتها لتلك الامم دينية محضة مراعاة

للتقاليد فرمت بسياستها الى الدفاع عن لبنان وهي تجهل احوال سوريةوبالتالي احوال بلاد العرب اكثر من سورية

«ولقد كانت هذه الحماية مذبذبة وغير فعالة فادت الى ايقاع الامة التي تود حمايتها في المشا كل من غير ان تعمل على تقويتها سياسياً واقتصادياً . وكنا في تلك الاثناء نوالي عقد القروض مع الاتحاديين الذين اخذوا عن عبد الحميد سياسة اضطهاد العناصر غير التركيةالتي كانت ولا تزال سبباً في الحروب الداخلية والخارجية ايضاً فلما اعلنت الحرب الاوربية اسفنا على الملايين التي اقرضناها للترك . ولكن سبق السيف العذل

«قام الشريف اليوم واعلن الثورة في الحجاز فقلقت حكومة الترك لذلك قلقاً شديداً لان غاية هذه الثورة الدفاع عن حقوق امة مضطهدة

« اما السوريون ولا سيما اللبنانيين منهم فلم يساعدهم الحظ على اظهار كفاءتهم في هذه الحرب . وكل ما اصابهم منها انهم حوصروا واضطهدوا ونالوا نصيبهم من مصائبها وويلاتها . ومما زادهم شقاء من الوجهة الاقتصادية الحصر البحري الذي اضطر الحلفاء الى اعلانهِ لاسباب حربية فمضهم الجوع بنابه قبل ان يلقوا في غياهب السجون . وقدكان في طاقتنا على ما يظن ان نخفف ويلاتهم ومصائبهم بواسطة الدول الحايدة او بمساعدتهم على الخروج من بلادهم بطريق البحر

«وقد صار اليوم المفكرون اللبنانيون واعيان العرب في دمشق عرضة لما يسمونهُ بالعدل التركي فتوالت حوادث النفي والشنق بلا انقطاع وساد حكم الارهاب البلاد

«زار انور باشا سورية وبرحها بعد ما اصدر اوامره القطعية الى حكامها بدليل ما نراهُ فيها اليوم اذ الفعل ينمُ على فاعله . فلماذا لم نسلح السوريين؟ سؤال

كان يحتمل الاخذ والرد يوم كنا نخشى ان تقع الشبهات عليهم . اما اليوم فيجب ان نفكر في انقاذهم فقط

«ان الحالة في سورية حرجة وانكار هذه الحقيقة يدل على التشيع وقد كان في امكاننا ان نمنع عن السوريين قسماً كبيراً من المصائب التي نزلت بهم لو فكرنا في ذلك قبل الآن اذ لا يكفي ان نقول للعرب اننا نحبكم بل يجب ان نساعدهم ونشد ازرهم في الدفاع عن كيانهم ومستقبل بلادهم

وأنشأ المسيو هربيت الكاتب والسياسي المشهور فصلا في جريدة « ايكو-دى باري » بمناسبة ارسال البعثة الاسلامية الى الحجاز قال فيه « ان فرنسا لاتحاول أن تستعمل حول الاماكن الاسلامية المقدسة أدنى نوع من النفوذ السياسي أو الديني وانها ترى لسيادة شريف مكة الحق في الاستقلال التام وتترك للمسلمين أمر انتقاء الرجل الذي يحق له أن يكون خليفة » ونصح أحد كبار الكتاب الفرنسويين حكومته بابرام اتفاق دائم بين فرنسا وانكلترا والعرب الى آخر ماذكر في هذا الموضوع ويضيق نطاق الكتاب عن نشره (١)

العرب والدول الاوربية الاخرى

وقع خبر استقلال العرب أعظم وقع في أوربا فأعرب القائد الروسي لجيش القوقاس عن سرور جنوده المسلمين بحركة العرب وأصدرت حكومة بتروغراد أمرها بمعاملة الاسرى العرب العثمانيين معاملة خاصة. وأعربت ايطاليا وسائر دول الحلفاء عن عطف شديد على العرب

أما المحايدون فقد قابلوا خبر استقلال الشريف الاعظم بارتياح عظيم

(١) اقتصرنا على اجمال ما قالته اهم صحف الغرب التي تنطق بلسان الحكومات وتعبر عن اراء الامم وذلك لضيق المقام في هذا الكتاب وكثرة المقالات التي نشرت في صحف العالم على أثر استقلال العرب .

واعترفوا بما للعرب من المزايا التي تؤهلهم للاستقلال وتكفل لهم تجديد مجدهم المندثر

واستولى القلق على الالمان والترك وحلفائهم من جراء الحركة العربية فقال أحد رجال الترك ان هـذه الحركة اكبر ضربة على تركيا أصابت منها مقتلاً . وأنشأ الكاتب الالماني الشهير الهرمكسميليان هاردن فصلاً سياسياً خطير الشأن تكلم فيه عن ثورة العرب فقال « اذا تمكن الامير حسين شريف مكة من استمالة العرب اليهِ فان ارادته تصبح أمراً مطاعاً لايخالف ولا ينازع في سورية والعراق وطهران واصفهان وافغانستان ويقضي على نفوذ المانيا في الشرق القضاء المبرم »

وقال كاتب كبير مقيم في سويسرا :

«وصلت الاخبار الى هنا (سويسرا) بان جمال باشا أصبح في وجل وخوف لا مزيد عليهما من النهضة الحجازية . خصوصاً بعد ما يئس من مساعدة الاستانة له بالجيش فقد طلب عشرين الف جندي للمحافظة على سوريا فجاء الجواب برفض طلبه لان الاستانة لا تستطيع أن تستغني عن جندي واحد ولان الذخيرة والمدافع قليلة جداً

« وقد بحثت مع كثير من الاتحاديين الموجودين في سويسرا ومن جملتهم جاويد بك واحمد رضا بك ورفعت باشا فوجدتهم مقدرين اهمية الحركة العربية وعالمين بانهُ لا يقف شيء في طريق وصول العرب الى الاستقلال»

المسلمون واستقلال العرب

نشرت جريدة التيمس في ٢٦ يونيو و ٢٥ شعبان تلغرافاً من مكاتبها في بومباي في الهند قال فيهِ : « ان المسلمين الهنود يرقبون سير ثورة العرب فى الحجاز باهتمام لامزيد عليه وهم يرجون أن يتمكن سيادة الشريف الاعظم من تأمين طريق الحج . والمسألة التي تشغل بال المسلمين الهنود هي : هل يفوز

الشريف حسين يبسط سياته الزمنية على البلاد لان مسلمي الهند يحترمون السلطة الزمنية كالسلطة الروحية »

وأذاع شبان البوسنه والهرسك المسلمون المقيمون في خارج بلادهم المنشور التالي وهو:

«نحن شبان البوسنه والهرسك المسلمين راضون بالاجماع عن عمل الشريف حسين أمير مكة المكرمة ونبرر قيامه على الاتحاديين الذين سببوا خراب البلاد الاسلامية وهلاك اهلها في سائر الانحاء باتخاذهم سياسة عوجاء تضر بمصالح الاسلام والمسلمين وقد رأينا من الواجب اظهار اعتمادنا وموافقتنا لجميع الوسائل التي يتخذها سيادة الامير لتحقيق شعائرنا الدينية وحفظ كيان الاسلام الذي يتلاعب به فتيان الترك ونرى ان ماعمله الاتحاديون الملاحدة المارقون لشد أزر الدولتين التوتونيتين عاراً علينا وعلى الاسلام

«وليس لتركيا أدنى عذر تبرر به تهورها باعلان الجهاد في مصلحة الدولتين الجرمانيتين اللتين تحسبان عدوتين للاسلام فهي اذاً مسؤولة عن سياستها العوجاء أمام سيادة الشريف والعالم الاسلامي ونحن نعلم الاساليب التي تحكم بها الحكومة الجرمانية رعاياها ونعرف تلاعبها بأمورنا الدينية

« ولا يسعنا الآن الهتاف للامة العربية التي نهضت للدفاع عن حرمة الدين القويم ولاغاثة المسلمين . نسأل الله أن يوفق الشريف حسين وجميع الابطال القائمين لنصرة كيان الدين . فعليه نرى من الواجب اظهار اخلاصنا وعواطفنا للذين يبذلون أثمن ماعندهم للدفاع عن مبادىء حرية الاديان والشعوب »

* * *

وقد سبقت الاشارة الى الوفود الاسلامية التي وصلت الى مكة المكرمة في أواخر شهر ذي القعدة (سبتمبر) للاعراب عن عواطف المسلمين نحو العرب

فرأينا ان نجمل فى هـذا المقام الخطب التى القوها على مسامع سيادة الشريف الاعظم فى مقابلتهِ الرسمية لهم . قال مندوب جلالة سلطان المغرب الاقصى :

« سيدي ، اني ارفع لجنابكم العالي بالله ما أمرني به جلالة أميرنا المؤيد سلطان المغرب مولانا يوسف بن السلطان مولانا الحسن بعد التهنئة لمقامكم الرفيع الجليل وتأدية التحيات اللائقة بمنصبكم الاسمى الملحوظ بعين الاحترام والتبجيل

« واني بحسب النيابة عن جنابه الشريف اعرب لكم بلسان العجز عما داخله من السرور باسترجاع السيطرة العربية الى مقرّها الاصلي باستقلالكم التام مجدداً الروابط الودية والتذكار فيما سلف لسلفهِ الطاهر مع سلفكم الطاهر من المصاهرة

« فأرجو من حضرتكم قبول احتراماتي وتشكراتي لجنابكم في الاشارة بما يناسب في النظر في الوقف الذي عزمت الحضرة الشريفة على ابرامه وفق ماتشيرون به بعد المفاوضة فيه مع جنابكم الشريف ورئيس الوفد والخديم

« وها كتاب مولانا أيدهُ الله مزفوف لسيادتكم بكل سرور . فاقبلوا هديته المباركة ولكم مزيد الشكر ودوام الجود »

وقال مندوب سمو باي تونس :

« ايها الامير الخطير

« لقد كان لاستقلالكم رنة عظيمة بين جميع طبقات المسلمين بافريقية وقد أسرع سمو مولانا دام عزّه وعلاه سيدنا ومولانا محمد الناصر باشا باي صاحب المملكة التونسية بتبليغ واجب التهاني . وأصدر للعاجز اذنه المطاع في تأسيس حبس من خزينته الخاصة على بيت الله الحرام . وارى نفسي من السعداء لمباشرة هذا المشروع المحمود وأرجو من حضرتكم السامية ومن همتكم الهاشمية أن

تأمروا من يرشدنا لما عسى أن نحتاج اليهِ من الارشاد حتى يحصل المراد »

وقال حضرة رئيس البعثة الاسلامية الفرنسوية في خطبة طويلة مانصه:

« سيدنا ومولانا الامير

« مما يحق ان يذكر فيشكر ويحمد امره ولا ينكر ما نهضت بهِ حضرة سيدنا الامير الموفق المنيف شريف مكة المشرفة الجامع بين كمال السياسة الدينية والدنيوية باتقان معرفة مولانا الحسين الذي اقر الله بهِ للاسلام الميننين دامت راياتهُ بالنصر خافقة واياتهُ باهرة باهية متناسقة وذلك بنهضته في الحجاز لحفظ شعائر الاسلام واتخاذ الوسائل في تأمين البلد الحرام

« وان اجل من اعترف لحضرته بهذه الفضيلة التي قام بها احسن قيام وسلك من الطرق فيها ما يبلغ المسلمين المرام بحفظ سيطرة الامة العربية ذات النفوس الابية هم رجال الدولة الفرنسوية الفخيمة التي هى ام المدنية والانسانية

« وقد شرفنا فخامة رئيس جمهوريتنا بالمثول بين يديكم الكريمتين مع بقية الوفد الذي بمعيتي للتشرف بملاقاتكم الفخيمة لتبليغ مراسم التهاني الصادرة من صميم الافئدة الدالة على خلوص المودة القلبية في استرجاع حقوق أسلافكم الكرام اليكم في منابعها الاصلية

« وان نهضتكم المشكورة والاعلان باستقلال حضرتكم المبرورة قد أدخلا سروراً كبيراً على دولة فرنسا حيث رأت في ذلك حسم مواد المظالم الفادحة التي ارتكبها ذوو الاغراض من حزب فتيان الاتراك الذين استحوذ عليهم حزب الشيطان وغرهم حتى نبذوا وراء ظهورهم الايمان ونظروا للعرب أينما كانوا بعيون البغض وأملوا محو اللغة العربية ونفي اهلها من كل ارض وما قصروا بالعتو في تخريب القصور والديار وفتكوا باجلة احرار ابرار ومدوا يد

التعدى لكل عائلة محترمة مع هتك الحرمات المعظمة مثل عائلة الامير عبد القادر الجزائري بشنق بعض افاضلهم وعدم توقير ضريحهِ وغير هذه الفعال الشنيعة التي يأباها الدين وتمجها الانسانية والمدنية الى يوم الدين

« ولكن جرت عادة الله في الخلق بالانتصار لاهل الحق من احياء واموات على طول الاوقات فكان الانتقام من هؤلاء الاحزاب المعتدين بما مد الله بهِ حضرتكم السامية من النصر المكين والفتح المبين

«وقد اثرت هذه النهضة الجنسية في نفوس الملايين من المسلمين الساكنين بافريقيا الذين تحت ظل حماية هذهِ الدولة الموقرة للامة الاسلامية والمحترمة للعوائد الدينية بما جبلت عليهِ من المدنية والانسانية سروراً وحبوراً ما عليهِ من مزيد

« وهؤلاء المسلمون كلهم كانوا في كدر خشية حدوث حادث فى هذهِ الديار المقدسةِ مما تقتضيه الظروف الحربية وقد نشطوا وفرحوا واستبشروا وانشرحوا بنهضتكم القويمة التي تحقق فيها تحرير القطر الحجازي بوجودكم من كل مداخلة اجنبية

« والشاهد على ما حصل لهم من السرور الذي انشرحت به الصدور

«اولاً ما شاهدهُ مولانا من مثول اعيان هذا الوفد بين يديه لاداء حقوق التهاني المبنية على اقوم المباني

« ثانياً ان جماً غفيراً من اعيان مسلمي قطر الجزائر وتونس والمغرب الاقصى ممن تحت ظل حكم الدولة الفرنسوية قد تاقت نفوسهم الى حج بيت الله الحرام والتشرف بالوقوف بين الركن والمقام فاعلنوا للحكومة بمطلوبهم فسوعدوا منها في الحين بكمال مرغوبهم فهيأت لهم المراكب الحسنة ووقفت معهم اتم وقوف على طريقة مستحسنة لما لها من الاحترام لعقائد المسلمين

ودياناتهم والاهتمام بادخال السرور عليهم في عاداتهم وعباداتهم وسيرد في الاثر هؤلاء المسلمون في كمال ونشاط وارتياح . وقد اخبرت امس انهم حلوا جده المحروسة بسلامة حلول احتلال وكرامة

«ولا بأس ان نقول في الختام لسيدنا الامير الهمام بانهُ في قريب بحول الله يشاهد النصر النهائي في الحالة الحاضرة بجانب الدول المتمدنة المتحدة المؤيدة للانسانية بالحقوق الخفية والظاهرة المادة يد المساعدة للمسلمين الضاربة على يد من صير المغرور منهم في ضلال مبين ولا شك ان الباغي باغر وسوف على الباغي تدور الدوائر

«ونسأل الله لمولانا الشريف التأييد المبين على ممر السنين ويمد في عمرهِ البركة . ويديم سلامته في كل سكون وحركة

آمين آمين لا ارضى بواحدة حتى اضيف لها آلاف آمينا

***

فاجاب سيادة الشريف الاعظم اعضاء الوفد الكرام بخطبة مرتجلة قال فيها :

« اكرر الآن الترحيب بالوفد وموفديه واشكركم على تجشمكم العناء في القدوم الينا ثم اقول :

« ان نهضتنا التي اشرتم اليها انما قامت لتأييد الحق ونصرة العدل واعزاز كتاب الله واحياء سنة رسولهِ صلى الله عليه وسلم ولم ارد لنفسي زيادة جاه وثروة في هذه الدنيا بعد ان كنت حاصلاً على كل شيء من ذلك . ولو أردت الدنيا مع المسايرة في اغماض العين عما يستلزمه حق الانسانيةِ والاصلاح لما امتنع عليّ شيء منها . وها اني اشهدكم واشهد الله باني مستعد لان اضع يدي في يد كل من يرى فيه المسلمون الكفاءة للقيام باعباء هذا الامر

«واني لم اكن اخشى شيئاً غير ان يسيء احد من المسلمين الظن بهذه النهضة لعدم وقوفهم على حقيقتها فيفسروها بغير الواقع ولكن اقوالكم السديدة قد طمنتني من هذه الجهة فاستبشرت بان الحق يعلو ولا يعلا عليه وان النية الخالصة لا تخفى على احد مهما اراد اعداء الحق إخفاءها

«فالغضب للحق والغيرة على سلامة البلاد واهلها هو الذي حملني على الجهاد بالنفس والولد والقوم لصيانة كل ما يزيدنا قرباً من رحمة الله ورضاه مما امرنا الله باتباعه واوصانا سلفنا الصالح بالتزامه

«من هذا ترون ان اعظم غاياتنا المحافظة على كياننا الديني والقومي كما صرحت بذلك في منشوري الذي اعربت فيه بالاختصار عن اسباب هذه النهضة ومقاصدها . واننا سنبذل كل ما نستطيعهُ للحصول على هاتين الغايتين ومقاومة كل من يحول بيننا وبينهما واعداد الاسباب المالية والوسائل الشريفة السامية التي تخلد للمسلمين عامة والعرب خاصة العزّ والمنعة

«واننا لا ننسى مزايا الحكومة الفرنسوية الفخيمة ومحاسن امتها الموقرة وحسن معاضدتها للانسانية ومؤازرتها للاسلام والمسلمين كما شهد لها التاريخ بذلك في اوقات الشدة والضيق . لذلك لا يستنكر عليها اذا تلقت نهضة العرب الحديثة بما تستحقهُ من التعضيد والتأييد كما اشرتم الى ذلك في خطابكم وتلك منقبة جديدة لها تذكر فتشكر. وان اعظم دليل حسي اتخذهُ على ذلك ايفادها حضراتكم الينا بما تحملونهُ من عبارات الود والوفاء والنفائس الكريمة وذلك كما صرحتم لمحض المعاضدة والمؤازرة لحكومتنا الاسلامية فبلساني ولسان قومي خاصة وبلسان كل من يعرف هذا من المسلمين عامة اعترف لها بهذه اليد اللاحقة لعواطفها السابقة نحو المسلمين . ولتكن حكومتكم على ثقة من ثقتنا بها وبحسن مؤازرتها

«واننا معاشر العرب والمسلمين قد فطرنا على أن نمد يدنا الى كل من يمد يد

المصافحة والمصادقة لنا فنقابل الحسنة باعظم منها على حسب استطاعتنا ونعترف بالجيل لاهلهِ مهما تقادمت عليه الدهور. واذا كانت هذه خطتنا مع حلفائنا الدول الخارجية كما تقضي بذلك شريعتنا المطهرة فان سيرتنا مع رعيتنا وساكني ديارنا واهل ذمتنا على اختلاف الاجناس والنزعات هي سيرة العدل والاحسان التي امر بها شرعنا وسار عليها أسلافنا فنال بها المسلمون والعرب في كل زمان حسن الاحدوثة وجيل الذكر

«هذا واني أشكر لحضرتي الاميرين العظيمين جلالة سلطان المغرب الاقصى المعظم وسموّ باي تونس المحترم عنايتهما بنهضتنا واهتمامهما بتوثيق أواصر المودة والمحبة وأحييهما في شخصي حضرتي ممثليهما الفاضلين وفقنا الله لما فيهِ الخير والصلاح والله ولي المصلحين»

***

هذا ومن مناسك الحج ان يقيم الحجاج في منى المجاورة لمكة المكرمة يوم العيد الاكبر وايام التشريف الثلاثة بعده لذكر الله وذبح الذبائح التي يهدونها لاهل الحرم وهي تسمى الاضاحي في غير الحجاز من بلاد الاسلام

وقد جرت العادة بان تكون حفلة العيد الاكبر التي يهنيء بها الناس شريف مكة واميرها بالعيد في اول ايام التشريف لانه يهبط يوم العيد مكة المكرمة لصلاة العيد وطواف الافاضة وكسوة الكعبة المعظمة. وهذه الحفلة يحضرها في العادة اميرا المحملين الشامي والمصري وكبراء الحجاج من كل بلاد الاسلام وكان يتلى فيها الفرمان السلطاني المرسل لشريف مكة مع الاوسمة وغيرها من الهدايا. ففي هذه الحفلة العظيمة من الحج الاخير سنة ١٣٣٤ هجرية القى فضيلة الاستاذ السيد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الاسلامية خطبة شائقة بين يدي سيادة الشريف الاعظم جاء فيها على ذكر كثير من الحقايق السياسية التي تهم المسلمين

عامة . وهذه خلاصة تلك الخطبة النفيسة :

«ايها المسلمون الكرام . من سكان حرم الله وحجاج بيته الحرام . انكم تعلمون ان الاسلام دين سيادة وسلطة . وان شريعته انزلت ليقيم احكامها اهله لقوله تعالى (اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم) على التأويل المشهور للاية . وتعلمون ان الله تعالى قد جعل هذا الدين عربياً اذ انزل القرآن الذي هو اصله واساسه باللغة العربية على لسان النبي الامي العربي محمد صلى الله عليه وآله وسلم . قد بين الله تعالى ذلك بقوله (وكذلك انزلناهُ حكماً عربياً) فهذه الآية اخص من الآيات الناطقة بانزال القرآن عربياً لانها مصرحة بان حكم هذا الدين عربي مع العلم بان كتابه المتعبد به عربي . وهذه البلاد العربية هي مهد هذا الدين ومهبط وحيه ومشرق نوره وكان اهلها هم السابقين الى تلقيه والاهتداء به ثم تبعهم فيه غيرهم من عرب الحجاز فسائر هذه الجزيرة العربية ثم حمله العرب الى سائر الاقطار ونشروه فيها فامتد في الجيل الاول منهم حتى عم نورهُ الشرق والغرب وأروا الامم باقامة احكامه من العدل والرحمة ما لم يعرفوا ولم يسمعوا لهُ نظيراً كما اعترف بذلك المنصفون من الافرنج وغيرهم

« طرأ الضعف على السلطة الاسلامية بتفرق الوحدة العربية الكافلة لها وتغلغل الاعاجم في الدول الاسلامية التي تعددت بسبب ضعف سلطة الخلافة فبعد ان كانت الفتوحات الاسلامية في مدّ لا جزر معه صارت دول الطوائف الاسلامية بين مد وجزر وقوة وضعف حتى وصلت الدولة العثمانية منها الى درجة عالية ومكانة سامية من القوة الحربية وسعة الفتح والتغلب فسر بها المسلمون ورضي بعض حكامهم المستقلين بسيادتها طوعاً واختياراً كما دخل بعضهم تحتها اضطراراً . وقد كان امراء مكة العظام اهل بيت سيدنا هذا (وأشار الخطيب الى جلالة الملك) في مقدمة من ايد هذه الدولة واعترفوا بسلطتها وسيادتها

لاجل جمع كلمة المسلمين بها واعلاء شأن الشريعة الاسلامية بنفوذها (ههنا قال جلالة الملك للخطيب صدقت)

«ثم ان هذه الدولة قد سرى اليها الضعف ودب اليها الوهن من زهاء ثلاثة قرون (وذكر الخطيب لمحة تاريخية سياسية عن الادوار التي مرت بها الدولة العثمانية الى عهد عبد الحميد ثم قال):

« واما سيرة السلطان عبد الحميد فهي معروفة لان العهد بها قريب وقد خلعته جمعية الاتحاد والترقي بقوة جند الدولة واعتقلته وتولت الجمعية السيطرة على الدولة بعده فماذا كان من امرها هل كانت خيراً من اولئك السلاطين العظام الذين لم يقدروا ان يصلحوا ملكهم الذي ورثوه عن آبائهم واجدادهم ؟ كلا ان زعماء هذه الجمعية الذين غلبوا الدولة على امرها هم من الملاحدة المارقين قد وصلوا الى ما وصلوا اليه بكيد عودتية سلانيك وشركائهم في النمسا والمانيا اقوى أنصارهم ولذلك نرى اكبر همهم جمع المال . فلا هم على دين هذه الدولة فيغارون عليه بل هم يقاومونه ويهدمونه . ولا هم من اصل راسخ فيها فيكونون احرص على حياتها من ابناء سلاطينها واساطينها

« واذا نظرنا الى اعمالهم دون عقيدتهم وآرائهم نرى انهم قد فعلوا في الدولة من الافساد والتخريب ما لم يفعله غيرهم فيها منذ اصيبت بالضعف الى ان اصيبت بهم

«ثبت انهم اخذوا من مال الدولة لنظارة الحربية خمسين مليون جنيه ليجددوا قوتها العسكرية ثم رأينا دولة البلغار ـ التي كانت ولاية من ولايات الدولة ولم يتم لها الاستقلال الا في عهدهم ـ قد كسرت جيوش الدولة وكادت مدافعها في شطلجه تمزق مسامع اهل الاستانة . وكان السبب الحسي لذلك قلة ما عند الجيش العثماني من المؤنة والذخيرة والدواب وسائر اسباب الحرب

« وقد خسرت الدولة في عهدهم المشؤوم من الممالك ما لم تخسر مثله في عدة اجيال : خسرت البوسنه والهرسك ببيع الجمعية اياهما للنمسا وطرابلس الغرب وبرقة ببيعها اياهما لايطاليا ومكدونيا والبانيا وكريت وجزائر الارخبيل. ونسكت عما خسرته في هذه الحرب من الولايات فقد اضاعوا نصف الدولة في بضع سنين وحملوها فيها من اثقال الديون ما لم تحمل مثله قبلهم في بضعة قرون . ثم عادوا الى الامة فافقروها كما افقروا الدولة . فهذا هو الاصلاح الذي خلعوا لاجل القيام به سلطان الدولة وخليفتها عبد الحميد وحجروا على خلفه من بعده

«فيا ايها المسلمون الغيورون المبصرون اذا كان قد ثبت من تاريخ الدولة الرسمي بما ذكرته لكم من شواهده انها كانت ضعيفة يخشى عليها من الزوال قبل هذه الارزاء والمصائب التي منيت بها بشؤم هذه الجمعية فكيف يكون حالها الآن وقد اصطلت بنار هذه الحرب وتعرضت لعداوة اكبر دول الارض

« ان سواد المسلمين الاعظم يغارون على هذه الدولة ويتمنون لها دوام الاستقلال وكمال القوة للسبب الذي بيناه في فاتحة الكلام ولكن يقل في المسلمين من يعرف حقيقة حالها وكنه الخطر الحائق بها . ويقل فيمن يعرف ذلك من يسعى لتدارك ما يترتب على هذا الخطر اذا وقع من فقد الاسلام لما بقي من احكام شريعته . وحرمان المسلمين من آخر ما كان لهم من الاستقلال السياسي على علاته

« لم نرَ احداً من زعماء المسلمين وكبرائهم قدر الحال الخطرة التي وصل اليها الاسلام قدرها وانبرى لتداركها الا هذا الرجل العظيم (واشار الى جلالة الملك) فانه رأى ان الدولة ـ وهو اعلم اهلها بحالها ـ قد امست على شفا جرف وان ملاحدة الاتحاديين قد اتخذوا الاحكام العرفية والقوة العسكرية ذريعة للتنكيل بالامة العربية بتقتيل رجال الفكر والعمل ومصادرة اموال اهل الثروة حتى لا يبقى

فيها رجاء في عامل ولا عمل فانتدب لتـدارك الخطب ومصارعة الخطر بنفسه الكريمة وانفس انجاله النجباء . ولو استطاع ان ينقذ الدولة نفسها من الخطر لفعل ولو بذل في ذلك دمه ودم هؤلاء الانجال الـكرام (هنا قال جلالة الملك للخطيب صدقت)

« لـكن العمل لانقاذ الدولة نفسها من الخطر قد اصبح فوق طاقته وطاقة غيره (صدقت) فرأى ان يبدأ بالمستطاع وهو انقاذ الحجاز مهد الاسـلام ومشرق نوره مما نزل به من البلاء والشقاء ثم انقاذ غيره مما يمكن انقاذه من البلاد العربية ليكون ذلك بيئة لحفظ الاستقلال الاسلامي وعدم زواله بما يخشى ويتوقع ان يحل بالدولة العثمانية والعياذ بالله تعالى

« ولا يخفى على ذي بصيرة ان الاتحاديين ماحشدوا الالوف من جيوشهم في الحجاز الا بنية سيئة لانهم يعلمون كما نعلم ان اعداءهم من الحلفاء لا يحاولون الاستيلاء على الحجاز ولا يحاربون اهله فكان من المعقول ان يرسلوا تلك الجيوش الى قتال اعدائهم الروس وانقاذ مافتحوه من الولايات التركية ولـكن التنكيل بالعرب اهم عندهم من دفع الروس عن عقر دارهم . ولو تم لهم ماارادوا لرأينا من فظائعهم في الحجاز ماهو اشد من فظائعهم في الشام (تصديق . . .)

« نعم ان الحلفاء لا يحاربون الحجاز ولـكن وجود الجيوش الاتحادية فيه ألجأهم الى ضرب الحصر البحري على ثغوره فضاقت المعيشة على اهله حتى باعوا حليهم واثاثهم وابواب بيوتهم وخشب سقفها ولو طال عليهم امد ذلك سـنة اخرى لاكلتهم المجاعة وما يتبعها عادة من الاوبئة (تصديق)

« اعلن سيدنا هذا استقلال العرب في الحجاز والحاجة قد اشتدت اليه حتى وصل الى حد الضرورة . وما كان ليوجد في الامة العربية ولا الامـة الاسلامية كلها من آتاه الله من البصيرة والشجاعة والثقة بالله والتوكل عليه ما

ينهض بهِ للقيام بهذا العبء العظيم ولولا ثقتهُ بالله وتوكلهُ عليـهِ لما تجرأ على ذلك لاننا كلنا نعلم انهُ لا يوجد في الحجاز قوة عسكرية ولا ثروة مالية يعتمد عليها في مثل هذا العمل (تصديق)

« كلنا نعلم انهُ لا يوجد في الدنيا كلها مكان يصلح لتأسيس دولة اسلامية تخلف الدولة العثمانية اذا وقع بها ما نخشاهُ عليها الا جزيرة العرب وما يتصل بها من البلاد العربية لما خص الله تعالى بهِ هذه البقعة وأهلها من الخصائص . ولا يعقل ان يحفظ استقلال الاسلام في مثل بلاد الافغان ان هو زال من مهدهِ وموطن نشأتهِ ومحل اقامة شعائرهِ . انفردت هذه البقاع الطاهرة المقدسة بأنها اجدر بقاع العالم الاسلامي لاقامة استقلالهِ . وكذلك انفرد سيدها وأميرها في هذا العصر للنهوض بما يجب من العمل والاستعداد لتجديد هذا الاستقلال . فكان لهُ بعملهِ اكبر منة في اعناق اهل هذه البلاد وفي اعناق جميع المسلمين الذين يشعرون بأن امر هذا الاستقلال هو اهم المصالح العامة الدينية والاجتماعية . ولكن منهم من فقد هذا الشعور

« ايها الحجازيون ان من يكفر لهذا الرجل المصلح المنقذ هذه النعمة فهو اكفر الناس للنعم . ايها المسلمون يجب ان تعلموا ان هذا العمل اعظم خدمة للاسلام في هذا الزمن . فان الدولة العثمانية ان سلمت من السقوط وحفظ استقلالها لم يكن استقلال العرب في الحجاز وغيرهِ مانعاً من ذلك ولا من تعاضد العرب والترك مع حفظ حقوق كل منهم . وان سقطت وفقدت استقلالها لم يكن هذا الاستقلال هو السبب فيهِ ولكنهُ يكون سبب حفظ استقلال الحكم الاسلامي في اشرف بقاع الاسلام . هل يغيب عن اذهانكم انهُ لولا اعلان هذا الاستقلال لترتب على سقوط الدولة العثمانية وقوع حرم الله تعالى وحرم رسولهِ صلى الله عليهِ وسلم غنيمة في أيدي الدول الفاتحة . فان تركوها بعد ذلك

لنا كان لهم منهُ التصدق بهما علينا . والا كانا تحت سيادتهم والعياذ بالله تعالى .
وبهذا يتبين لكم ان هذا العمل العظيم الذي قام بهِ هذا الزعيم العظيم قد انقذ الحرمين الشريفين وما حولهما من الخطر الجسيم . ووضع اقوى اساس لحفظ الاستقلال الاسلامي بانشاء دولة جديدة لهُ. فلهُ بهذا اكبر منة على جميع المسلمين.
وما اقول هذا تملقاً لهُ ولا مدحاً شعرياً وانما الحقيقة البيضاء الناصعة بينتها لكم بالايجاز الذي يحتملهُ المقام والسلام »

وقد اثنى جلالة الملك على الخطيب ثناء عاطراً لانهُ عبر عن حقيقة افكارهِ وآرائهِ ثم قال : « ان وجودنا السياسي مكفول لنا بالاستقلال التام الذي لا تشوبهُ شائبة . واني لواثق بالله سبحانهُ وتعالى من حسن النتيجة وماض في سبيلي . ولو ان هذا العمل الذي اعتقد فيهِ كل الصلاح لقومي وبلادي وديني يعترضهُ احد بسوء ولو كان احد اولادي لصلبتهُ بيدي غير آسف عليهِ. لاني احب قومي وبلادي وديني اكثر من كل شيء في هذا الوجود . ولولا هذه المحبة لما نهضت هذه النهضة وسأبقى مستمراً في خطتي غير متزعزع فيها ولا متحول عنها حتى يقضي الله امرهُ ولينصرن الله من ينصرهُ »

ثم اكد سيادتهُ ولاءهُ لحلفائهِ ولكل من يساعدهُ على الخير وقال :

« ان هذه النهضة عربية تشمل كل عربي كائناً من كان على شرط ان يكون صادقاً لوطنهِ مخلصاً لقومهِ »

الفصل العاشر

﴿ الملك في العرب ﴾

الوزارة العربية — مجلس الشيوخ الاعلى — الحسين بن علي ملك العرب
البيعة العامة

تألفت اول وزارة عربية في العهد الجديد في ٧ ذي الحجة سنة ١٣٣٤ و٥ اكتوبر سنة ١٩١٦ وهذه هي صورة الارادة السنية المؤذنة بتأليف تلك الوزارة

« حضرة العالم الكامل الشيخ عبد الله سراج

« انه لما كانت مصالح الرعايا وانتظام شؤون المجتمع وتوفر اسباب العمران لابد لها من دواوين يتوزع عليها النظر في الحكومة وما هو في معنى ذلك من المصالح العامة والخاصة ويتعين بها اساس الوظائف الذي تبنى عليهِ المسؤولية وتكوين حكومة لبلادنا المحروسة . وبالنظر الى ما تحققناهُ فيكم من الكفاءة والاستقامة عزمنا بعد الاستعانة بالله عز وجل على توجيه منصب قاضي القضاة لعهدتكم وتعينكم وكيلاً عن رئيس الوكلاء العظام وقد اخترنا لبقية الوكالات حضرات الذوات الآتية اسماؤهم وهم ولدنا عبد الله بن الحسين لوكالة الخارجية ويكون وكيلاً عن وكيل الداخلية وعبد العزيز بن علي رئيس اركان حرب ووكيل رياسة الجند مع ترفيع درجتهِ عن رتبتهِ الحاضرة والشيخ علي مالكي وكيلاً للمعارف والشيخ يوسف بن سالم رئيس البلدية سابقاً وكيلاً للمنافع العمومية والشيخ محمد امين مدير الحرم الشريف سابقاً وكيلاً للاوقاف مع بقائهِ في نظارة امور الحرم وكلما يتعلق بوظيفتهِ الشريفة والشيخ احمد بن عبد الرحمن باناجه وكيلاً للمالية وذلك لما توسمناه من درايتهم واستعدادهم للسهر على مصالح البلاد واهلها على ما

يرضي الله وانّنا ننتظر منكم المبادرة الى تأسيس الدوائر والدواوين الرسمية وتعيين العمال والموظفين لها وارجو الله سبحانه ان يجعلنا مظهر توفيقهِ وهداه في كل ما يحبهُ ويرضاهُ »

شريف مكة واميرها

في ٧ ذي الحجة الحرام سنة ١٣٣٤

الحسين بن علي

وفي اليوم عينهِ صدرت ارادة سنية اخرى بتأليف مجلس الشيوخ الاعلى وهذا نصها :

« بما اننا قد استنسبنا تعيين هيئة اطلقنا عليها اسم « مجلس الشيوخ » وجعلنا وظيفة هذا المجلس النظر في كل ما يتعلق بمنافع البلاد والمراقبة على اعمال الدواوين والدوائر الرسمية وابداء الرأي في ما تعرضه الدوائر على مقام وكيل رئيس الوكلاء وسيقرر فيما بعد صلاحية هذا المجلس العالي . وقد جعلنا رئيساً له جناب الفاضل الاجل فاتح بيت الله الحرام الشيخ محمد صالح الشيبي واعضاءهُ حضرات الافاضل الاجلاء مفتي الشافعية السيد عبد الله بن محمد صالح الزواوي ومفتي المالكية الشيخ عابدين حسين والشيخ عبد القادر بن علي الشيبي ونائب الحرم السيد ابراهيم بن علي ووكيل شيخ السادة السيد محمد بن علوي السقاف والشيخ عبد الله علي رضا والشيخ علي بن عبد الله الشرباصي والشيخ ابو بكر بن محمد خوقير وذوي السيادة والشرف حمزه بن عبد الله الفعر وفتن بن محسن وسليمان بن احمد بن سعيد وناصر بن شكر ولتبليغهم ما ذكر اقتضى تحريره في ٧ ذي الحجة سنة ١٣٣٤ »

شريف مكة واميرها

حسين

هذا ولم تعين الحكومة العربية الى الآن معتمدين لها في عواصم دول الحلفاء والدول المحايدة ولعلها تفعل ذلك قريباً . اما معتمدها الحالي في القاهرة فشاب من خيرة شبان العرب وأشرف الاسر العربية في العراق جاء مصر في اوائل سنة

١٩١٦ نخدم العرب فيها خدماً عظيمة بما اوتيهُ من الفطنة والاخلاص والتفاني في سبيل المصلحة العامة وقد سافر الى الحجاز قبيل اعلان الثورة العربية فتفاهم مع القائمين بها ثم عين وكيلاً لجلالة ملك العرب في القطر المصري فما لبث ان عاد اليهِ بعد ما اقام في الاقطار الحجازية اسبوعاً وبعض الاسبوع

فليحى ملك العرب

بايع العرب صاحب الجلالة الهاشمية الحسين بن علي بالملك عليهم يوم الخميس في ٦ محرم سنة ١٣٣٥ هجرية الموافق ليوم ٦ اكتوبر سنة ١٩١٦ مسيحية فما ازفت الساعة الثامنة من صباح ذلك اليوم حتى كان جلالة الملك المعظم قد جاء من القصر الملكي الى مدرستهِ الملاصقة لبيت الله الحرام فدخلها يحف به آل البيت وعلماء الشرع ووجوه الامة . ولما استقر بهم المقام سلم حضرة صاحب الفضيلة نائب رئيس الوزارة عريضة اهل الحل والعقد الى حضرة الشيخ عبد الله الخطيب ليتلوها على مسامع من لم يسمعها من رجال الامة فصعد حضرة الخطيب على دكة اقيمت امام رواق الحرم الشريف وقرأها على الجماهير فقابلوها بسرور لا يوصف . ثم اقبل حضرة قاضي القضاة على يد صاحب الجلالة الهاشمية ملك البلاد العربية فبايعهُ بالملك وتبعهُ حضرات الاشراف والسادة ورجال الدولة والعلماء والاعيان ووفود البلاد فجماهير الامة على اختلاف طبقاتها وكان رجال الشرطة يحافظون على النظام بكل دقة وانتباه . وقد رأى حضرة قاضي القضاة بعد ان تشرف بضعة الوف من الناس بشرف المبايعة السعيدة ان الوقت لا يتسع لاستمرار الالوف الكثيرة في ذلك فطلب منهم ان يجيزوه في اخذ البيعة عنهم فاجازوه اجازة اجماع عام مطلق فبايع عنهم على مسمع منهم . ثم صعد حضرة الشيخ عبد الملك مرداد على الدكة فتلا دعاء بليغاً خشعت له

القلوب وأمنت عليه الالسنة . وعند ختام الدعاء عاد جلالة الملك المحبوب الى المدرسة فلبث فيها برهة ثم سار في موكبه الفخم الى الديوان الهاشمي العالي وجماهير الامة تهتف له بالنصر والعز والتأييد وتلاميذ المدارس مصطفة تحت الاعلام العربية المنصورة تنشد اناشيد الحماسة والاستبشار بالمستقبل الباهر السعيد . ولما وصل الموكب الفخم الى القصر الملكي العالي أقبلت الوف الناس من العظماء والاعيان والتجار ومن في طبقتهم للتشرف بالاعتاب الهاشمية . وأخذ الخطباء والشعراء يتبارون في بيان عواطف الامة بهذا العيد الاعظم للعرب والاسلام

وأبلغت وزارة الخارجية العربية خبر مبايعة صاحب الجلالة الهاشمية بالملك الى وزارات الخارجية في دول الحلفاء وفي الدول المحايدة طالبة منها الاعتراف بجلالة الملك حسين ملكاً على العرب واسترداد ملك العرب من الترك مغتصبيه

ولقد رأى جلالة ملك العرب ان يبدأ ملكهُ السعيد الجد الميمون الطالع بالذكر الحسن والاثر الخالد فأمر بأن توزع خمسة وعشرون الف جنيه من جيبه الخاص على ذوي الحاجة تفريجاً للكرب وازالة لاسباب الضيق والضنك وصدرت ارادتهُ السنية بأن تؤلف لجنة من الكبراء والعظماء تتولى توزيع تلك النقود وتسوية مشاكل الاجور والرهون والديون تسوية ترضي الخاصة ويقبلها العامة فتم الامر على ما يرام وأزيل الضيق وسوي كل خلاف بين المؤجر والمستأجر والمدين والدائن فشكر العرب لصاحب الجلالة الهاشمية كرمهُ الذي عم وشمل جميع المحتاجين منهم وما كان من عظم اهتمامه بشؤونهم .

وكان لعقد البيعة بالملك لصاحب الجلالة حسين بن علي سرور عام في البلاد العربية من اقصائها الى اقصائها فأتت وفود العرب مكة المكرمة من كل حدب وصوب يحدوها الاخلاص وصدق الولاء داعية لجلالتـه بالعز والتأييد ولجيشـه الباسل بالفوز والنصر

الفصل الحادي عشر

مستقبل العرب

ان المصائب التي نزلت بالعرب في مختلف الازمنة كانت قاسية بتأثيرها مرة بنتائجها ولكنها لم تقتل فيهم روحاً كبيرة عرفوا بها ولا ابادت منهم آمالاً طالما طمحت الى العلى وذهبت بهم الى المجد كل مذهب. فما ابتسمت لهم سوانح الفرص حتى انتهزوها ونهضوا نهضة الاسد الرئبال لاسترجاع حقوقهم المهضومة واستعادة مجدهم المندثر. وها هم يسيرون الآن في طريق حياة جديدة الى مدنية حية راقية

لقد برهن العرب في ابان دولتهم على انهم كبار بنفوسهم، كبار بأعمالهم، كبار بآمالهم، لا تأخذهم برقشة الظواهر ولا ينخدعون بكذب المظاهر قيمة المال عندهم قيمة ما يحتاجون اليهِ في تعزيز العلم ونشر لواء الحضارة وقيمة الفرد بينهم قيمة النفع المرجو منهُ للامة والبلاد. ومن راجع تاريخهم المجيد ورأى ما امتازوا بهِ من الخلال الفريدة والخصال الجميلة والاخلاق السامية التي بلغت بهم ذروة المجد ولا تزال متأصلة في نفوس احفادهم الى الآن استطاع ان يحكم بما سيكون لهم من عظم الشان

ان العصور التي مرت بالعرب كانت قاتلة بحوادثها فمن اضطهاد واستبداد ونفي وقتل واغتيال الى امراض نفسية ولد جراثيمها الجهل الذي اندسّ في اساس المدنية العربية القديمة فأفسدهُ. ثم جاءت التعاليم التركية وغير التركية فضربت على نغماتها ما يلائم مشرب كل منها بحيث اصبحت الامة العربية لعبة بيد الاجانب كما كانت لعبة بيد القدر وهدفاً لحوادثهِ الفظيمة. ومع ان كل عامل من هذه العوامل يكفي وحدهُ لان يقتل امة مهما بلغت من القوة والمنعة فقد اجتمعت

كلها على الامة العربية وصوبت نحوها سهامها القاتلة فلم تنل من عزة نفوس العرب قلامة ظفر ولا تمكنت من خضد شوكتهم والقضاء على قوميتهم وجل ما فعلته انها سدلت على عيونهم نقاباً كثيفاً من نسيج الجهل فحجبت عنهم نور الهداية وتركتهم يتخبطون في دياجي الظلمة زمناً انقضى الآن بتمزيق ذلك الحجاب فبرزت من ورائهِ العروس العربية في اجمل ما عرفت بهِ من البهاء والجمال

اجل برزت اليوم الامة العربية الى ميدان الحياة عروساً في مقتبل العمر لها من حميتها ونشاطها واستعدادها ما يثبّت قدمها ويدفعها الى الامام كما ان لها في طريق الوطنية الصادقة التي سلكتها ما يكفل لها اسمى مقام بين الانام لذلك لا يخشى عليها من العثار لا سيما وقد علمتها الحوادث بمواقع الاخطار. فثقتنا عظيمة في هذه الحال بان العرب سيسيرون في سبلٍ امينة مهدتها اختباراتهم وروتها دماؤهم وظللتها ارواح شهدائهم

ومما يقوي الآمال بنجاح الامة العربية الكريمة ان فيها رجالاً زانهم الله بعقول ثاقبة يقويها الاخلاص والتفاني في مصلحة الامة وطرق كل باب فيه خير البلاد وترقية العلوم والفنون والصنائع وتوفير موارد الثروة وبذل كل وسيلة لانهاض العرب مادياً وأدبياً

ومتى وجد في الامة رجال مفكرون اصحاب رأي وحجى سهلت قيادة مجموعها واستقامت سبلها ولا سيما ان الامة العربية الآن على فطرتها الطبيعية طفلة نقية الصفيحة لم تلطخها المظاهر الكاذبة ولم تشوهها التقاليد الفاسدة فهي على استعداد لان تنطبع فيها المبادىء الصحيحة على اقوم طريق تلائم حالها ومزاجها والغاية التي تتوخاها . ولنا من اجراءات العرب حتى اليوم ما يحقق ثقتنا بانهم لا يهملون وسيلة صغيرة او كبيرة لانهاض الامة ودعم الاساس الذي ستقوم عليه مدنية العرب الجديدة

على اننا لا نجهل ان في بعض الجهات العربية انحاء غرست فيها بزور مدنية لا تلائمها ونمت بين افراد لم يستمدوا للتغذي بها فثقلت على معدهم الضعيفة واورثتهم من سوء الهضم سقماً في اخلاقهم وانحرافاً في نظرهم فباتوا من جرائهِ يتخبطون في فيافي الضلال عكازهم تقليد خلاب ونبراسهم في ظلماتهم سراب على ان لنا من اهتمام الدولة العربية الجديدة بشؤون العرب على اختلاف نزعاتهم واميالهم ما يكفل اصلاح الخلل ومداواة العلل كما ان لنا من حزم الغربي ومحكم رويتهِ وصدق وطنيتهِ وما سيراه من عدل حكومتهِ واعتنائها بشؤونهِ مايستميلهُ على عجل الى السبيل السوي

* * *

كان العرب في القرون الاخيرة اقواماً مشتتين لا وطنية تجمعهم فيلجأون اليها ولا حكومة تعنى بهم فيتكاتفون على خدمتها ولا مدنية خاصة بهم فيرتبطون بها ولا آلات تستخرج كنوز تربتهم فيمملون بها ويرتزقون من خيراتها فلا عجب والحالة هذه اذا هجروا اوطانهم العزيزة وتجنبوا حكومتهم الظالمة وخجلوا بجنسيتهم المستعارة لما يلقون من انحطاطها في نظر الامم الراقية

ولكنهم متى رأوا مناعة ملكهم واعتزاز شأن امتهم وعدل حكومتهم عادوا الى اوطانهم فرحين وانضووا تحت العلم العربي الجيل مهللين وهاتفين بصوت واحد :

فليحي العرب ولتحيَ الامة العربية

كل انسان في العالم يود ان تكون لهُ دولة قوية يعتز بها وأمة راقية يفاخر بالانتساب اليها . ولا مشاحة في ان العرب على اختلاف نحلهم وتباين درجات افهامهم وأحوالهم سينضوون تحت ظل العلم العربي ويكونون جميعهم قلباً واحداً ويداً واحدة في العمل لخير امتهم وانهاض بلادهم وتجديد مدنيتهم

ومما يقوي فينا هذه الآمال شكل الادارة التي تدار بها البلاد العربية . فالاحزاب العربية التي ساعدت على استقلال العرب في الحجاز كانت ترى في عهد الترك ان خير الطرق لادارة بلاد مترامية الاطراف مختلفة العادات والاخلاق كالبلاد العثمانية انما هي الادارة اللامركزية الواسعة . فقد جاء في المادة الثانية من برنامج حزب اللامركزية «ان القصد من تأليف هذا الحزب بيان لحسنات الادارة اللامركزية والمطالبة بكل الوسائل المشروعة بحكومة تؤسس على قواعد اللامركزية الادارية في جميع ولايات الدولة العثمانية »

وجاء في المادة الثالثة من برنامج هذا الحزب انهُ يعتقد يقيناً « ان الدولة لا تبقى في العالم السياسي الا اذا بنيت حكومتها على اساس اللامركزية الادارية» (١)

وكذلك جمعية الاصلاح البيروتية والعراقية والمنتدى الادبي وسائر الاحزاب العربية فقد كانت غايتها الحصول على ادارة لامركزية في البلاد فجاء في المادة الثالثة من قرارات المؤتمر العربي الاول الذي عقد في باريس وكان يمثل معظم الاحزاب العربية انهُ «يجب ان تنشأ في كل ولاية عربية ادارة لامركزية تنظر في حاجاتها وعاداتها » (٢) وليس ما يدلنا الآن على ان مفكري العرب وزعماءهم وأحزابهم عدلوا عن رأيهم في الادارة اللامركزية

وقال جلالة ملك العرب في الخطاب الديني الذي وجههُ الى العالم الاسلامي قبل ان يبايع بالملك « وقد يسر الله تبارك وتعالى للبلاد نهضتها كما وفقها بحوله وقوتهِ لاخذ استقلالها وتتويج مساعيها بالفوز والنجاح بعد ان ضربت على ايدي موظفي الاتحاديين بيننا ورجال حامياتهم فاستقلت فعلاً وانفصلت عن البلاد التي لا تزال تئن تحت سلطة المتغلبين من الاتحاديين انفصالاً تاماً مطلقاً بكل معاني

(١) راجع صفحتي ٥٧ و ١٥٨

(٢) راجع صفحة ٧٢

الاستقلال الذي لا تشوبهُ شائبة مداخلة اجنبية ولا تحكم خارجي جاعلة غايتها ومبادئها نصرة دين الاسلام والسعي لاعلاء شأن المسلمين قائمة في كل اعمالها على اساس احكام الشرع الشريف الذي لا يكون لنا مرجع سواهُ ولا مستند غيرهُ في جميع الاحكام واصول القضاء وفروعه مع استعدادها لقبول كل ما ينطبق على اصول الدين ويلائم شعائرهُ من انواع فنون الترقي الحديث واسباب النهضة الصحيحة باذلة الجهد الجهيد في تعزيز العلم وتعميمه بين الناس على اختلاف الطبقات وعلى حسب الحاجة والاستعداد » (١)

فعلى هذا المنوال يسير العرب في سياستهم الداخلية متوخين انهاض البلاد واسعاد العباد واعلاء شأن الامة ماديًا وادبيًا

وستقوم سياستهم الخارجية على الصدق في القول والاخلاص في العمل والانتصار للحرية والمدنية اليوم وفي مستقبل الايام. وقد قالوا في بيان سياسي نشر في مصر في ١٨ شوال سنة ١٣٣٤ و١٧ اغسطس سنة ١٩١٦ « ولا نرمي في سياستنا الخارجية الى اكثر مما يمكننا الحصول عليه » وهو تصريح على جانب عظيم من الاهمية لانه لا يترك أقل مجال للخلاف في المستقبل

هذا واذا كان مستقبل الامة يتوقف على صدق وطنية افرادها وثروة بلادها الطبيعية فمستقبل العرب مجيد باهر. وقد اظهر رجال العرب من صدق الوطنية وبعد النظر والتفاني في سبيل المصلحة العامة ما يحملنا على الايقان بأنهم يحسنون الانتفاع بمواهبهم العظيمة ويعنون باستثمار موارد بلادهم التي هي من اغنى بلاد العالم فينهضون بها الى اسمى درجات المنعة والمجد

(١) راجع صفحة ٢٠٣

﴿ وصية شهيد ﴾

(وتحية مجاهد)

ان الشهيد الذي نودُّ أن ندون وصيتهُ للامة العربيةالكريمة في ختام هذا الكتاب هو المرحوم عبد الغني العريسي الذي أدركتهُ يد السلطة الاتحادية في مدائن صالح وشنق في بيروت مع شهداء الوطن المخلصين بعد ما أرسل الخطاب التالي الى جميع الناطقين بالضاد قال رحمهُ الله :

« يابني يعرب ويا سلالة قحطان يانسل الاكارم الاماجد وياخلف الاشاوس الصيد الذين دوخوا العالم بعزمهم وملكوا الدنيا بعدلهم ياذوي الهمم الشماء والنفوس العصماء والمآثر الغراء ياأباة الضيم وياحماة الذمار وحافظي العهود يأيها الاخوان المنتشرون في جميع أنحاء العالم المعمور وأقطارهِ سلام

« أوجه خطابي هذا اليكم وأنا على شفير هاوية الموت وبين براثن الوحش التركي الذي خرب بلادكم ودمّر بيوتكم ويتم أطفالكم ورمّل نساءكم وأذل أخواتكم وامتهن حرمتكم وحبس ملاك الحياة وقوامها عن أطفالكم المعولين وأولادكم الصارخين ليقدمها طعاماً لاطماعه وليقيت بها أبناء عنصره الخبيث. أوجه اليكم خطابي هذا من بادية الشام من بين مضارب اخوانكم الاعراب الاسود الذين عليهم المعول الاكبر في انقاذ البلاد ودك عرش الظلم والبغي والجور وكل فاحشة ومنكر

« وقد لا يصلكم كلامي هذا قبل وصول منعاي لان الاتراك الظالمين الكفرة قد أصدروا أحكامهم الجائرة عليّ وعلى عشرات غيري من خيرة أبناء سورية وبعد ما أفلتُ من أيديهم وأصبحت حراً حيث تتجلى الحرية باسمى مظاهرها بين خيام الاسود ومضارب الظباء أرى الواجب علي يدعوني الى نواحي الشام واني مبكر غداً بعد ان أعهد الى أخي في الجهاد ...... النجدي في ابلاغكم

خطابي بالطريقة التي يراها فان تيسر لي الخلاص والافلات مرة ثانيـة أتممت الواجب والا فحسبي انني خدمت أمتي وبلادي حتى آخر نقطة من دمي ولست بالفدائي الاول الذي يموت اليوم في سبيل القومية العربية فالرفاق كثروا والغاية النبيلة التي نقوم بها وندعوا اليها تقتضي ضحايا كثيرة لان أركان الحرية والاستقلال لا تتثبت الاّ على الدماء الزكية ولا تصان بغير النفوس الابية فلا تيأسوا اذا بلغكم غداً ان مئات من نخبة رجال الامة العربيـة قتلوا فالغد يتلوهُ غد أيضاً وبعد غد فرج ان شاء الله

«ستسمعون — وربما سمعتم — بما ترتعد لهُ الفرائص وتقشعر لهُ الابدان من الفظائع التي يمثلها أبناء جنكيزخان المغولي وسلالة تيمورلنك الوحش الضاري في الامة العربيـة النجيبة لانهم قد قرروا افناء الشعب السوري برمتهِ حتى الاطفال وهم منذ أشهر عاملون على احتكار الاقوات تحت سلطتهم العسكرية وقد قرروا أيضاً محق العراقيين الاباة ولكنهم في العراق أقصر يداً مما هم في سورية

«ربما خلت سورية من ثلثي سكانها الحاليين لان من ينجو من المشنقة يميتونهُ تجويعاً وهزالاً ومن كتب لهُ عمر في دفتر القـدر ينفونهُ الى الاناضول والروملي فيندغم هناك في العنصر التركي ويصبح تركياً بعد قليل من الزمن لا يذكر أحفاده أصلهم الشريف. وقد باشر هؤلاء الكفرة الذين رفع العرب مجدهم وصانوا عرشهم اذلال العرب وابادتهم فاعملوا السيف والمشنقة ونفوا عائلات كثيرة من سورية ولبنان المحبوبين وأخذوا يعدون معدات الهـلاك ويفرغون البيوت ويخلون القرى والمدن — في سورية المفداة — من سكانها لكي يسكنوا مهاجري الاكراد والاتراك ويعيدوا بواسطتهم تمثيل المأساة المفجعة التي مثلوها بالعنصر الارمني الشريف الباسل بالامة العربية الـكريمة

« لقد حاولوا قتل لغتنا وجربوا أن يميتوا عاطفتنا القومية وبذلوا الجهد في

تريكنا فلم يفلحوا . كل هذا ونحن صابرون صبر الكرام أما وقد باشروا ابادتنا واجلاء من يبقى من المزارعين والعمال عن البلاد السورية الى حيث يفقد جوهر عنصرهِ الشريف فلا صبر على هذا ولا طاقة

«ان قائد الفيلق الرابع جمال باشا الجاسوس الاكبر قد عرقل بحيله مساعينا وأخر قيامنا فانهُ بعد خيبتهِ بغزوة مصر واسترجاع القطر الشقيق الى العبودية تظاهر بالميل الى العرب وأسرَّ الى عشرات من كبار الشعب السوري انهُ يريد الاستقلال بسورية وقد المع مرات في الولائم الخاصة التي كانت تقام لهُ الى استقلال سورية وحث المتنفذين على النهوض والقيام وشق عصا الطاعة على الحكومة فوثق كثيرون منا بهِ ولكن البعض الآخر منا لم يأمن غدره ولا تغافل عن تنبيه اخوانهِ الى الحذر من الوقوع في حبائل مكره وقد تمكن بهذه الاساليب الخداعة والاكاذيب السياسية من اكتشاف بعض دخائل السوريين فاعمل فيهم السيف وأمعن فيهم قتلاً ولكن سيفهُ ومشنقة دواوينهِ العسكرية واحكامهُ الجائرة ومنكراتهِ الفظيعة هذه كلها كانت اكبر مساعد لنا على دعوتنا واعظم منشط لنا في جهادنا وهي وان تكن اخرت اوآن القيام بهِ الا انها وطدتهُ وثبتتهُ ودعتنا الى التحفظ والتعقل والروية والتفكير

«نحن الآن نطلب حياتنا من براثن الموت. ان خطتنا منظمة كما يجب وستجود سورية بالمبشرين بدين الاستقلال العربي . والفرج معقود على اسنة الاسل ومكتوب على شفار بيض الظبي. الفرج يأتي من البادية والجذوة الميمونة المتقدة الآن في الحجاز هي فاتحة البركات للبلاد العربية جمعاء

«لا تلبث نجد ان تثور والاسد العراقي ان يثب عند ما تصل اليهِ الامداد والشبل السوري الضعيف المحبوس في قفصهِ الحديدي ستهبهُ النخوة القومية وتكسبهُ الغيرة الجنسية قوة وعزماً فيكسر قضبان سجنهِ الفولاذي ويحطم

بقوائمهِ رأس مقيدهِ . وقد لا ينقضي الخريف وتهب عواصف الشتاء الاوتثور زوابعنا وتنقض صواعقنا على هامات الظلام الاوغاد الاجلاف العلوج

«فيا اخواني الاعزاء المهاجرين في الاصقاع البعيدة عن مظالم الاتراك وجورهم اطلب اليكم باسم القومية الشريفة التي تنتمي اليها ان لا تتقاعسوا ولا تتقاعدوا ولا تتصاموا عن نداء الوطنية والحرية والاستقلال العذب الذي يدعوكم الى الاتفاق الى الاتحاد الى التعاضد الى الوئام الى الانضمام والالتفاف لما فيهِ خيركم وخير بلادكم ونجاة ذويكم وحريمكم وأعراضكم من الدمار والفناء والموت والانهتاك والدنس

« اعلموا ان اخوانكم هنا يقدمون أرواحهم ويضحون نفوسهم في سبيل القومية فلا تضنوا انتم بالاتحاد والاتفاق. التمس منكم أن لا تفترقوا فرقاً وطوائف فاليوم لا مسيحي ولا مسلم ولا يهودي ولا درزي ولا وثني بل الجميع عرب وفي العرب وللعرب لا لبناني ولا بيروتي ولا شامي ولا حلبي ولا حمصي ولا حموي لحظ بيروت هو حظ لبنان وحظ الشام وحلب وفلسطين والعراق والحجاز واليمن

« اني لعلى ثقة مما أقول فلا تشكوا. وحدوا جمعياتكم وحدوا افكاركم وحدوا آراءكم وفقوا بين مشاربكم وأذواقكم ومساعيكم

«ادعوكم أيها الاخوان المحبوبون أينما كنتم وحيثما اجتمع منكم عشرة أن تبادروا الى تأليف جمعيات باسم سورية تتعارفون بها وتتفاهمون وتكرسون مما رزقكم الله من خيراتهِ وبركاتهِ ونعمهِ وأمواله لاجل سورية الجديدة لاجل سورية المستقلة »

***

اما المجاهد فهو الشاعر العربي فؤاد الخطيب الذي كان اول من حيا استقلال العرب في الحجاز بقصيدة شائقة كتبها بمداد الوطنية والاخلاص وهي

حي الشريف وحي البيت والحرما وانهض فمثلك يرعى العهد والذمما

يا صاحب الهمة الشماء أنت لها ان كان غيرك يرضى الاين والسأما
واسمع قصائد ثارت من مكامنها ان شئتها شهباً أو شئتها رجما
من شاعر عربي غير ذي عوج قد بارك الله منهُ النفس والكلما

***

«يا آل جنكيز»(١) ان تثقل مظالمكم على الشعوب فقد كانت لهم نعما
فالظلم أيقظ منهم كل ذي سنة ما كان ينهض لولا انهُ ظلما
ارهقتم الشعب ضرباً في مفاصلهِ حتى استفاق وسل السيف منتقما
فالشنق عن حنق منكم وموجدة قد ارهف العزمات الشم والهمما
هيهات يصفح عنكم أو يصالحكم حر ولو عبدَ الطاغوت والصنما

***

بالله يا دار قسطنطين ان نطقت فيك الرسوم وصاح البحر ملتطما
واقتصّ منك قضاء الله ثانية شر القصاص وأمضى فيك ما حكما
لحدثي آل جنكيز وصاحبهم عن مصرع الروم والعرش الذي انحطما
ان امهلتهم فما كانت لتهملهم تلك الشرور التي تستأصل الامما
انحوا على أمة كانت لهم عضداً في النائبات وردءا يدفع النقما
وقد سكت فلم انبس ببادرة جاشت الي كأني ما رزقت فما
وكيف اقعد عن ثأر واندبهم ندب العجائز حلس الدار مهتضما
هيهات اكتب منذ اليوم مرثية الا اذا كان حد السيف لي قلما
فمن يكن عن اباة الضيم في صمم فليسمع اليوم صوتاً يحسم الصمما
فقد تكلم صوت النار مرتفعاً من الحجاز فشق البيد والاكما

***

(١) . يقصد بها الاتحاديون وهي التسمية التي اختاروها لانفسهم ووضعوا فيها الاغاني والاناشيد

يا ابن النبي وانت اليوم ناصرهُ قد عاد متصلاً ما كان منفصما
والتف حولك ابطال غطارفة شم الانوف يرون الموت مغتنما
فاصدم بهم حدثان الدهر مخترقاً صداً من الترك ان تعرض لهُ انهدما
وابتر بسيفك عضواً لا حياة لهُ لولاه لم يكن الاسلام متهما
ان كان قد ورث المجد المدلّ بهِ عجباً فلم يرث الاخلاق والشيما
اين المفاخر بل اين المكارم بل اين الحضارة . امست كلها عدما
وقد تكون على الايام وارفة في المشرقين تظل السهل والعلما
وكيف يصدر خير من بزنطية والشر يمسك بالانفاس محتكما
لا كنت يا يوم جنكيز وعترته يوماً فلولاك لم تبك البلاد دما
فقد تهدم ركن كان ممتنعاً وقد تفرق شمل كان ملتئما

***

يا من ألح علينا في ملامته بعضَ الملام وجرب مثلنا الألما
لو كان من يسمع الشكوى كصاحبها مضنى لما ضج بالزعم الذي زعما

***

ايه بني العرب الاحرار ان لكم فجراً اطل على الاكوان مبتسماً
يستقبل الناس من انفاسه ارج ماهب في الشرق حتى انشر الرمما
تلك الحياة التي كانت محجبة في الغيب لا سأماً تخشى ولا سقما
سارت مع الدهر من بدو الى حضر حتى استتبت فكانت نهضة عمما
من ذلك البيت ـ من تلك البطاح ـ على تلك الطريق مشت اجدادكم قدما
من كل اروع وثاب اذا انتسبت بيض الصوارم كان الصارم الخذما
وانقض من عدواء الدار منصلتاً والنغل في غمرات الموت مقتحما
لستم بنيهم ولستم من سلالتهم ان لم يكن سعيكم من سعيهم أمما
الى الشام ـ الى ارض العراق ـ الى اقصى الجزيرة ـ سيروا واحملوا العلما

تصحيح خطأ

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣٩	٧	الدرك	المقام
٤٠	١	ايقاف	توقيف
٤٤	١٤	الترر انيون	التورانيون
٤٨	١٣	وساوساً	وساوس
٨٥	٥	واذ	واذا
١٠٤	١٧	وغيرهم	وغيرهما
١٦٢	١٢	مدرسة	مكتب
١٦٩	٢٢	الانحادين	الاتحادين
١٨٥	٢٢	تماتي	تماني

واغلاط اخرى مطبعية لا تخفى على القراء

فهرست